


# يعقوب والابن الضال

## كيف أعاد يسوع سرد قصة إسرائيل؟

كينيث أ. بيلي

# يعقوب والابن الضال

## كيف أعاد يسوع سرد قصة إسرائيل؟


بقلم

**كينيث أ. بيلي**

ترجمة

**إدوارد وديع عبد المسيح**





**دار الثقافة**

**Book Name** : ***Jacob and the Prodigal***

**Author** : Kenneth E. Bailey

**Originaly Published by**: InterVarsity Christian Fellowship/USA

Originally published by InterVarsity Press as Jacob and the Prodigal by Kenneth E.Bailey.



P.O.Box 1400,Downers Grove,IL 60515, USA



---

**الطبعة الأولى**

**الكتـاب** : **يعقوب والابن الضال**

**المـؤلف** : **كينيث أ. بيلي**

**صدر عن** : دار الثقافة - ص. ب ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة

**رقـــم الإيداع** : ٢٠١٠ /١٤٠٤٩

**الترقيم الدولـــي** : 977 - 213 - 867 - 0

**المطبعـــــــــة** : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦

**الإخراج الفني والجمع**: دار الثقافة

**تصميم الغـــــلاف** : آن مجدي



١٠ / ١٠٩١ ط١ / ١-١ / ٢٠١٠

بيلي، كينيث أ.

يعقوب والابن الضال: كيف أعاد يسوع سرد قصة إسرائيل؟/ بقلم كينيث أ. بيلي؛ ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح. - ط١. - القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٠.

٢٣٩ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك ٠ ٨٦٧ ٢١٣ ٩٧٧

١ - الكتاب المقدس - العهد الجديد - الأمثال.

أ- عبد المسيح، إدوارد وديع ( المترجم).

ب- العنوان

٢٧٢,٦٨

# مقدمة الدار

إن أوجه التشابه بين قصة يعقوب وقصة الابن الضال محملة بالمعاني اللاهوتية التي تستحق الدارسة، كما أن الاختلافات بين القصتين هو موضوع هذه الدراسة، فهذه الدراسة لا تتناول النص الكتابي فقط ولكنها تتوسع لدراسة قصة يعقوب في عصر ما قبل المسيحية وتعليق معلمي اليهود في القرن الرابع للميلاد، وهل كان في قصد يسوع أن يسرد قصة على غرار قصة يعقوب.

لقد تعمق كينيث أ. بيلي في دراسة قصة يعقوب والعلاقة بينها وبين قصة الابن الضال، وهو ما لم يتطرق إليه اللاهوتيون من قبل، ولذلك فإن هذه الدراسة شيقة ومثيرة فهو يأخذك معه كأحد أبرز المعلمين والباحثين اللاهوتيين والملم بحضارات الشرق الأوسط، في رحلة لمعرفة الخلفية التاريخية والدينية والثقافية أثناء سرد يسوع لهذا المثل. وهو يقدم لنا هذا الكتاب الذي بين أيدينا خلاصة سنوات من الدراسة والبحث اللاهوتي المستفيض.

يسر دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب الرائع للمكتبة العربية لكي تساهم في إثراء كل قارىء بمعرفة لاهوتية جديدة.

**دار الثقافة**

# الإهـــداء

إلى سارة جان بيلي

امتنانًا لإيمانها الحي وشجاعتها في وقت الشدة وعطفها على الجميع

ورقتها تجاه كل كائن حي وحبها العميق لعائلتها وأصدقائها.

# المحتويات

**الفصل العاشر: إعادة سرد قصة يعقوب**



**الفصل الحادي عشر: التمرد الكبير**



**الفصل الثاني عشر: السبي:**

**الفصل الثالث عشر: سلام للبعيد**



**الفصل الرابع عشر: سلام للقريب**

# فهرس الأشكال التوضيحية الواردة في الكتاب

# مقدمة المؤلف

«إذ كان كثيرون قد أخذوا» بتفسير الأمثال، «رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي» (لو ١ : ١ ، ٣) عما تعلمته عن لوقا ١٥، وكيف أن مثل الابن الضال قصة جديدة محبوكة على نمط قصة يعقوب.

لقد كانت إقامتي في الشرق الأوسط لمدة ٦٠ عامًا من ١٩٣٥ إلى ١٩٩٥، أولًا كطفل ثم كشخص بالغ. وكشخص بالغ، إذ قمت بالتدريس في الأوساط العربية المسيحية، وكنت أقرأ الأدب المسيحي العربي والسرياني من القرون الأولى للمسيحية، محاولًا أن أجمع المعلومات بقدر الإمكان من الكتابات المستفيضة لمعلمي اليهود الأوائل، فقد كان لي امتياز أن أدرس العهد الجديد في ضوء الثقافة السائدة في الشرق الأوسط. ومن تلك الخلفية اقترب من هذا الموضوع.

ظل التقليد اللاتيني لمئات السنين ينادي بهذا (*Evangelium in Evangelio* الإنجيل بداخل الإنجيل)، وهو هكذا بالفعل. ولكن لاكتشاف خباياه فلابد للمرء أن يبحث في جوانب فكرية عديدة، وهو يتصارع في نفس الوقت مع العديد من المشكلات الهامة التي يبرزها النص حتى بالنسبة للقارئ العادي.

يظهر يسوع في الأناجيل كعالم لاهوتي يبدأ متمكنًا من التقليد ثم يعيد صياغته بتقديم رؤية جديدة له يكون محورها شخصه. سوف يحاول هذا الكتاب تتبع فكر يسوع في مرحلة هامة من تلك الرؤية. وهدفي أن أفحص بعناية الطريقة التي يأخذ بها يسوع قصة يعقوب الرائعة ويحولها إلى قصة جديدة يكون هو محورها. ويمشي يسوع على مسرح الأحداث ليس كشخصية مغايرة ليعقوب، بل، كشخصية معدلة من الأب (إسحاق). إن التوصل إلى هذا الاستنتاج تطلب صبرًا دءوبًا.

إن التفسير الكتابي أشبه ما يكون بعلم حفريات الشرق الأوسط. إن عالم الحفريات يعود في أغلب الأحيان، عامًا وراء الآخر، إلى نفس «التل»، محاولًا الوصول إلى مستوى أعمق في الموقع القديم على أمل أن يخرج باكتشاف جديد وهام، ويكون ذلك مصحوبًا دائمًا بالاحتمال المؤلم بأن الحفرية القادمة قد تكشف أرضية من الموزايك، ولوحة حجرية عليها بعض الكتابات والنقوش، أو حتى مكتبة.

ظل الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا، لعدة عقود، محور دراستي للعهد الجديد.[1] وقد كنت واثقًا، حتى وقت قريب، أنى قد درست على الأقل كل الخيارات التفسيرية الكبرى المتاحة وعندئذ، وبعد تركيز عميق شامل على هذا «التل» كدت أفقد توازني وأنا أقف فوق أرضية قديمة من الموزايك عليها بعض النقوش. ولم أكن أفطن لوجودها تمامًا. لقد ظل عالم الحفريات البريطاني هوارد كارتر، طيلة سبع سنوات، ينقب عن قصد عن قبر توت عنخ آمون بالذات وأخيرًا اكتشفه. وإني لا أستطيع أن أعطي لهذا البحث وصف «بحث مقصود» لأنه قد تصادف أني عثرت على كنز دون حتى أن أبحث عنه.

لقد انتابني شعور غير مريح لعدة عقود بشأن وجود صلة ما بين ما جاء في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا وقصة يعقوب. وقد أيقظ هذا التشابه المحتمل في وجداني ملحوظة هامشية مختصرة في كتاب ن. ت. رايت «يسوع وانتصار الله»[2]: يقول رايت «إن عيسو يفعل نفس الشيء الذي فعله الأب (في قصة الابن الضال «الذي» ركض ووقع على العنق وقبَّل الابن الأصغر الضال الذي يأتي من كورة بعيدة. هذه العلاقة، جنبًا إلى جنب مع التباينات العديدة بين «الأخ الأكبر» مقابل «الأخ الأصغر» في العهد القديم، قد سبق أن تمت ملاحظتها لأنها ذات صلة بمثل الابن الضال».[3]

ولكن، على حد معرفتي، لم يتم إجراء مقارنة شاملة بين الابن الضال ويعقوب بعد. وقد ظهرت بالتدريج في دراستي الشخصية، قائمة تحتوي على ٥١ نقطة خلاف وتشابه بين الشخصيتين. ولأن الـ ٥١ نقطة متداخلة، فأي نقاش لها ينتج حتمًا بعض التشابك والتداخل.[4] وبالإضافة إلى ذلك، فالمغزى الشامل لنقاط التشابه لا يمكن حصرها في كتاب موجز واحد. وبدلًا من ذلك، فأنا أنوي أن استعرض هنا بعض الأشياء المصطنعة التي اكتشفتها (إذا جاز التعبير)، مع بعض التأملات الأولية القليلة على ما يمكن أن تعنيه.

وبعض أوجه التشابه هذه محمّلة بالكثير من المعاني اللاهوتية. والبعض الآخر يبدو أنه يؤدي فقط دور الخيوط التي تساعد في ارتباط القصتين معًا. وهناك العديد من الأمثلة علي كل نوع فيما بعد. وقد يقول البعض إنه في لوقا ١٥ : ٤-٣٢، فإن يسوع الناصري يخاطب الكتبة والفريسيين ومن خلالهم يتحدث إلى الأمة بأكملها. فهو يتعمد تأليف قصة جديدة على نمط قصة يعقوب، ويقدم لشعبه قصة هوية معدلة يكون هو نفسه محورها. وكما يقول رايت: «إن معظم الشخصيات التاريخية تستحق الدراسة بسبب أنها تحمل وجهات نظر تضفي اختلافات ذات مغزى على وجهة نظر الأب».[5] وهذه «الاختلافات عن وجهة نظر الأب، هي موضوع هذه الدراسة.

وهناك طريقة أخرى للنظر إلى هذا الكتاب وهي أن ننظر إلى مثل الابن الضال كقصة ذات ثلاثة أبعاد مثل الصور الفوتوغرافية المأخوذة للمشهد الواحد بثلاث عدسات زووم سينمائية أو تلفزيونية. تخيل رؤيتك لصورة فوتوغرافية لطفل سعيد فوق أرجوحة. فالصورة لها مصداقيتها الخاصة ومن الممتع النظر إليها. ثم يضع المصوِّر صورة ثانية بجوار الأولى، والصورة الثانية تعرض نفس المشهد ولكنها مأخوذة بعدسة أكبر فالآن يمكنك أن ترى الأم وهي تدفع الطفل على الأرجوحة وتلاحظ أن الأرجوحة معلقة على فرع في شجرة كريز يانعة. هنا ترى أن الابتسامة على وجه الطفل تتخذ معنى جديدًا، وتزود الصورة الكبرى المشاهد بمباهج إضافية. وأخيرًا، يقدم المصوّر صورة ثالثة، لنفس المشهد. هنا فقط تكون اللقطة ذات بُعد أشمل، ومن الواضح أن شجرة الكرز بالأرجوحة التي عليها تنمو في حديقة للحيوان وأن الطفل ينظر إلى فيل رضيع ترضعه أمه. ومرة أخرى يضيف المشهد الأكبر بعدًا جديدًا وهامًا للمشهدين السابقين.

بنفس الطريقة، يمكن دراسة مثل الابن الضال لوحده. ولا غبار بالتأكيد على مثل هذا الاتجاه في النظر إلى هذا المشهد عن قرب. ولكن هناك عدسة أكبر تظهر مثل الابن الضال كجزء من القصص الثلاث الواردة في الإصحاح الـ ١٥ من إنجيل لوقا.[٦] بخصوص الأشياء المفقودة التي وجدت. وهذا أشبه ما يكون بالنظر إلى الطفل على الأرجوحة مع ظهور الأم وشجرة الكرز في الكادر. اللقطة الثالثة توضح كيف أن مثل الأب العطوف والابنين الضالين، كما أحب أن أدعوه، هو إعادة لصياغة قصة يعقوب. إنه أقرب ما يكون إلى الصورة الثالثة التي تُظهر الطفل على الأرجوحة في حديقة الحيوان، وهو ينظر إلى الفيلة. إن فحص الصورة الثالثة هو الهدف الرئيسي من هذا الكتاب سوف يكون من الضروري أن نتأمل بإيجاز في الصور عن قرب قبل اللجوء إلى استخدام «العدسة الأكبر»، وربما تكون نقطة بداية جيدة لمجهودنا كله أن نلاحظ عددًا قليلًا من المشكلات غير المتوقعة تتضح في هذا الإصحاح.

إن مثل الابن الضال يبدو أنه لا يشير لمخلص. فالضال (يمثل نوعًا واحدًا من الخطاة) «رجع إلى نفسه» في الكورة البعيدة. وقد فُهم من ذلك تقليديًا إنه يعني: إنه تاب. فالضال يكتشف في النهاية إنه لا يمكن أن يفلح وهو يقوم بإطعام الخنازير وعندئذ فقط يبدأ في رحلة العودة إلى البيت، حيث يرحب به أبوه. وقد ظل الأب لعدة قرون يُنظر إليه كرمز لله. ولذلك، يبدو أن الله ينتظرنا لنعود إلى البيت وعندئذ يرحب بنا ولكنه لا يبحث عنا ولا يسعى في إثرنا. ويبدو أن قصة الابن الضال لا تشير إلى التجسد، والكلمة لا يصير جسدًا، ولا يوجد بالقصة صليب أو تاج، وليس هناك ألم أو موت، وليس هناك قيامة

أو وسيط بين الله والناس. كيف يمكن أن يطلق على ذلك المثل «الإنجيل بداخل الإنجيل» عندما يكون الإنجيل، كما هو معروف في كل أجزاء العهد الجديد، غائبًا بصورة واضحة في هذا المثل؟ وأيضًا هناك المزيد من المشكلات.

القصتان الأولتان تبدوان في تناقض مع القصة الثالثة. في القصتين الأولتين يقوم "الباحث" بكل العمل. فالراعي الصالح يترك قطيعه ويبحث عن الخروف الضال «حتى يجده» والخروف المسكين لا يستطيع أن يعرف الطريق إلى البيت. يقول لي بعض الرعاة في الشرق الأوسط إن الخروف الضال يفقد الاتجاه بسرعة ويزحف مختبئًا تحت أقرب شجرة منتظرًا من ينقذه. والمرأة الصالحة توقد سراجًا، وتكنس المنزل، «وتفتش باجتهاد» حتى تجد الدرهم. فالدرهم لا يخرج من شق بين أحجار الأرضية الوعرة ليستقر فوق المائدة لكن على المرأة أن تبحث عنه. ولكن الابن الضال، يذهب إلى البيت وحده من الكورة البعيدة. هل هناك تشويش في فكر يسوع؟ إن مثل هذه المشكلات ومشكلات أخرى متعلقة بالتفسير سوف تفحص بعناية في هذا الكتاب.

ولكن، كما ذكرنا، فالهدف الرئيسي من هذا المجهود المتواضع أن نتعرف على العلاقة بين قصة يعقوب (تك ٢٧: ١-٣٦: ٨) ومثل الأب والابنين الضالين، ونتأمل في تلك العلاقة. وكما ذكرنا، فقد لاحظ البعض هذه العبارة «ركض، ووقع على عنقه وقبله»، وتعرف آخرون على الصراع بين الأخ الأصغر والأخ الأكبر الظاهر في كلا القصتين.[٧] سوف تفحص هذه الدراسة العديد من النقاط الإضافية لأوجه الشبه والاختلاف بين القصتين الرائعتين. وسوف نعطي اهتمامنا لمشكلة أهمية هذه العلاقة المتبادلة لنفهم يسوع كعالم لاهوتي ونقترب من فكره اللاهوتي وكما كتب ن. ت. رايت: «لقد كان (يسوع) يحكي قصة إسرائيل، معطيًا إياها اتجاهًا جديدًا مفاجئًا وعنيفًا، داعيًا سامعيه لاعتبارها قصتهم الخاصة، ودعاهم للالتفات إلى تحذيراته وإتباع دعوته».[٨]

وأبادر بالقول بأن هذا الكتاب سوف لا يحاول بادئ ذي بدء في توجيه النقد لقصة يعقوب «ولن يتصارع مع مشكلة تحديد الوقت الذي تم فيه جمع كل أجزاء سفر التكوين معًا ليصبح في شكله النهائي». إن الدراسة المعاصرة لقصة يعقوب الكتابية هامة ولكنها غير مختصة بهذا الموضوع. التركيز هنا سوف يكون مركزًا بدقة على إصحاحات سفر التكوين من ٢٧-٣٥ كقصة قرأها يسوع ومعاصروه في القرن الأول للميلاد. وبدءًا من مؤلف كتاب «اليوبيلات» Jubilees أي أعياد اليوبيل (حوالي ١٥٠ ق.م) وحتى يوسيفوس (حوالى ٩٠ م) يتضح أن يهود القرن الأول للميلاد كانوا على دراية بقصة يعقوب

كقصة متصلة الحلقات. ـ «وقد اعتبرها الكتبة والفريسيون الذين كانوا يشكّلون الجمهور المستمع ليسوع أيضًا قصة واحدة. ونحن لا يمكن أن نستعيد تمامًا كيفية تفسيرهم لها، وليس ذلك ذي أهمية لأهداف هذه الدراسة. وما فعله يوسيفوس، وفيلو ومؤلف اليوبيلات اليهودي في عصر ما قبل المسيحية بقصة يعقوب سوف يشار إليه باختصار. وسوف نتطرق إلى تعليق معلمي اليهود في القرن الرابع للميلاد والمعروف باسم (*Genesis Rabbah*) في هذا الصدد. وهدفي أن أقصر موضوع البحث على فحص ما يسجله لوقا من أقوال يسوع في مثل الابن الضال وكيف أن يتشابه ويختلف مع الأقوال الواردة في سفر التكوين ٢٧-٣٦ : ٨.

إن الكتب المنشورة في القرن العشرين عن أمثال يسوع كثيرة ومتعددة. وقد استعرض كريج ل. بلومبيرج وآخرون باقتدار المؤلفين العديدين وطرق البحث التي اتبعوها.[٩] وسوف لن أحاول إتباع طرق بحث مشابهة. وليس هدفي أن أتجادل مع أولئك الذين اعترضوا علي مؤلفي المنشور عن لوقا ١٥. إن هذه الدراسة الموجزة سوف تكشف عن منطقة مجهولة وجديدة بدلًا من الدفاع عن الماضي. وكما ذكرنا، فإن الدراسة الحالية عن الأمثال لا تناقش هذا الموضوع. وأني لأرجو أن يكون الميدان الجديد الذي تطرقنا إليه هنا ذا فائدة للكنيسة في كل أرجاء العالم، شرقًا وغربًا. إن شعوب ثلثي سكان العالم، حيث يعيش أغلبية المسيحيين الآن، يفهمون بسهولة قصص العائلة الممتدة ويمكنهم أن يعبِّروا، بأفضل مما نستطيع، عن الفهم العميق لكلتا هاتين القصتين.

يحوي لوقا ١٥ قصة «كلاسيكية» معروفة جيدًا، وقد اخترت الطبعة المنقحة (RSV) كالنص الذي اقتبس منه لأن أسلوبها رسمي أكثر من العديد من الترجمات الحديثة. وفي مناسبات نادرة قمت بترجماتي الخاصة من النص اليوناني، وسوف أشير إلى تلك الترجمات موضحًا ذلك.

وأقدم خالص امتناني للآلاف من المسيحيين المتحدثين باللغة العربية في كل أنحاء الشرق الأوسط والذين درست معهم الأمثال لعدة عقود. وإني لا أستطيع التعبير عن مديونيتي وامتناني لهم ولتراث التفسير المسيحي باللغة العربية ولا أستطيع وفاء هذا الدين. وأني ممتن أيضًا امتنانًا عميقًا إلى توم كوزينس، وهاريس، وسوزان كمنجز، والكنيسة المشيخية في إيست مينستر، والكنيسة المشيخية بـ لوك رافن، ورتشارد وبيڤرلي سبان لتمكينني من الحصول على موارد خاصة، وضمان المساعدة في أعمال السكرتارية الخاصة المطلوبة للأبحاث وكتابة هذا الكتاب، لجميع هؤلاء أقدم شكري. ويجب أن أعبر عن امتناني أيضًا للمحرر، أندرو لي بيو من مطبعة انترڤارستي، لرؤيته وبصيرته، وصبره وتشجيعه.

وقد تحملت زوجتي العزيزة، إيثيل، البالغة من العمر خمسين عامًا، المزيد من الساعات في النقاش وإلقاء المحاضرات على لوقا ١٥ أكثر مما يستطيع أي شخص آخر أن يتحمله. ولولا مساعدتها الدؤوبة وتشجيعها لما استطاع هذا الكتاب أن يرى النور.

وأدعوك، أيها القارئ العزيز، أن تتأمل معي أولًا في الطفل الذي يجلس على الأرجوحة ثم تنظر بتدقيق أكثر لتراها مع أمها. وتبلغ الدراسة الذروة عندما تبذل محاولة لتقديم المشهد كله مع الفيلة في منظر واحد مكتمل.

# أولًا: المقدمة

## ما معنى أن ندعو يسوع كلاهوتي؟



## الفصل الأول

# يسوع كلاهوتي يتحدث بالمجاز وعالم معلمي اليهود (الربيين)

ما هو علم اللاهوت، وماذا يعني أن تكون لاهوتيًا؟ وهل المعنى اللاهوتي يتكون عن طريق ترابط الأفكار معًا بالعقل/المنطق، والأفكار التي قد تكون أو لا تكون متصلة بأمثلة توضيحية؟ في عالم مثل عالمنا، يكون المثل في بعض الأحيان مفيدًا، ولكن، في حقيقة الأمر، فإنه يكون غير ضروري ويمكن التخلص منه إذا تم فهم الفكرة بوضوح تام. ويصبح المثل وعاءً لتوصيل الفكرة. ومن المرجح أن صاحب المعنى الذي يستخدم هذه الطريقة لن يضيف مثالًا إيضاحيًا إذا كانت الفكرة واضحة لدى القارئ المستمع بدون إضافة المثال.[1] الفكرة هامة، ولكن المثال الإيضاحي المقدم لتوضيح أو توصيل تلك الفكرة ليس كذلك. هذه طريقة كانت تحظى بكل تقديس في الماضي لتوصيل الفكرة اللاهوتية وسوف تظل ذات أهمية.

ولكن هناك طريقة أخرى لابتكار المعنى وتوصيله. إنها تتضمن استخدام الصور اللفظية، والأعمال الدرامية، والاستعارات والقصص. وهذه الطريقة الأخيرة للتعبير عن الفكر اللاهوتي تتلألأ على كل صفحات الكتاب المقدس. كتب ديل أليسون: «المعنى مثل الماء: فهو يتشكّل حسب الوعاء الذي يملأه».[2]

إن كُتّاب الكتاب المقدس والذين يسردون فقراته يستخدمون الاستعارات، والأمثال والأعمال الدرامية على نطاق واسع. إن يسوع لا يقول «إن محبة الله لا حدود لها» ولكنه يروي قصة الابن الضال بدلًا من ذلك. وهو يقول «إن ميلك لفعل الخير يجب أن يتخطى دائرة المقربين منا وأقربائنا». ولكنه، بدلًا من ذلك يروى قصة السامري الصالح. إنه لا يقول «حاول أن تترك أثرًا طيبًا على المجتمع المحيط بك»، ولكنه

يقول: «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت» (مت ٥ : ١٤-١٦).

ابتكر توما الأكويني المعنى بالاستخدام المتمكن للغة الفلسفية واللاهوتية. وأثَّر القديس فرانسيس على الكنيسة والعالم بالأعمال الدرامية القوية التي ظل صداها يرن لأكثر من سبعمائة عام. من السهل أن تقول إن القديس توما كان لاهوتيًا بينما القديس فرانسيس كان رجلًا بسيطًا وكان يجول يصنع خيرًا. ولكن مثل هذا الاستنتاج لا يتفق مع حقيقة أهمية هذين العملاقين اللاهوتيين. فكلا الرجلين قد ابتكرا المعاني وأوصلاها، ولكن كُلٌ بطريقته الخاصة، وكل طريقة منهما صحيحة لا غبار عليها.

من الواضح أن يسوع، كما ذكرنا، كان «لاهوتيًا» يوضح أفكاره عن طريق الاستعارات والتشبيهات، وكان أسلوبه الرئيسي لتوصيل المعنى الاستخدام الماهر للاستعارة والمثل والعمل الدرامي.[٣] ولكن هل من المناسب الإشارة إلى يسوع كلاهوتي أصلًا؟ إن اللاهوتيين يشتهرون بتغيير آرائهم. إنهم ينشرون طبعات ثانية لكتبهم ويصفون أنفسهم بأنهم طيور تحلق في الفضاء. ولكن يسوع كان يحق مختلفًا تمامًا عن ذلك. فبسبب طبيعته الإلهية، فإنه يفهم أمور الله بالفطرة وهو لم يكن بحاجة لأن يصارع، مثل الآخرين، في كيفية فهم الحق الإلهي والتعبير عنه. إنه لم يكن متحيرًا أو متشككًا فيما يتعلق بأمور الله التي تستعصي على الفهم.

إن الآراء المبنية على الإيمان الراسخ بلاهوت المسيح وعمله والتي تعد مصدرًا للتحفظات السابقة هامة، وإني على يقين تام بها. ولكن هل لدينا الحق في أن نضع يسوع في خانة مجرد «نجار بسيط؟» أليس «كلمة الله (الذي) صار جسدًا» هو أول من يفكر بعمق في أهمية مغزى تلك الكلمة؟ هل كان من الممكن أن يحدث يسوع تأثيرًا فائق الوصف على التاريخ لو أنه لم يكن مفكرًا عميق التفكير؟

الإجابة على هذه الأسئلة واضحة. لقد كان يسوع بحق حِرافيًا ماهرًا. وفي مرقس ٦: ٣ يشار إليه بأنه (Tekton)[٤]. وتترجم هذه الكلمة عادة بكلمة "نجار" ولكنها يمكن أن تعني أيضًا نجارًا/بناءً أو صانعًا ماهرًا. والثقافة الفردية التقليدية في الشرق الأوسط تستخدم القليل من الأثاث. فنادرًا ما تذكر الأناجيل الأثاث المنزلي[٥]. وبالاختصار، فإن نجار الأثاث الفاخر (الموبيليا) كان لا يجد أشياء كثيرة ليصنعها في قرية صغيرة مثل الناصرة. ولكن الأبواب ودعامات الأسقف ضرورية في كل منزل، وهي

تتطلب مهارات النجار.[٦] يروي يسوع عددًا من الأمثال التي تشير لحرفة البناء (مت ٥ : ١٤-١٥)، وقد ذكرنا ذلك سابقًا، (لو ٦ : ٤٦-٤٩ وبالمثل في مت ٧ : ٢٤-٢٧). وبينما كان يسوع ينمو في الناصرة، كانت العاصمة الإقليمية سيفوريس يتم إنشاؤها على يد هيرودس انتيباس.[٧] وربما انتقل يوسف إلى الناصرة لأنه كان يوجد له عمل كنجار/بناء في سيفوريس على بعد أربعة أميال. ولكن النجار/البنائين. معروف عنهم عادة بأنهم أناس عمليون وغير مفكرين. فهل من الممكن أن نتخيل نجارًا/بناءً يفكر في الأمور اللاهوتية؟

في عالم الربيين (معلمي اليهود)، كان المتوقع أن يتعلم الدارس الإنفاق على نفسه بتعلم حرفة دنيوية. تقول قوانين المشنا".

«لا تجعلها (كلمات الناموس) تاجًا لرأسك لتمجد به نفسك أو وسيلة لكسب العيش. وهكذا كان هليل معتادًا أن يقول: من يجعل من التاج وسيلة للفائدة العالمية سوف يهلك حتى تعلموا أن من يحصل على نفع مادي من كلمات الناموس سوف يُمحى اسمه من العالم».[٨]

بناء على هذا القانون الصارم يسهل أن نفهم أن معلمي اليهود في وقت يسوع كان يتوقع منهم أن يعولوا أنفسهم بالقيام بحِرَف دنيوية. إن القصص الجذابة في التلمود توضح المبدأ الصارم «بتحريم الحصول على المكاسب المادية من وراء الأمور الدينية».

لقد قام يوحانان بن زاكاي، وقد كان معاصرًا ليسوع، بإلقاء محاضرة ذات مرة على طلبته في ظل الهيكل. وقد أنتقد ذلك المعلم الغزير العلم وقتها لأنه تلقى نفعًا ماديًا نظير الشئون الدينية. أي أنه اتُّهم «بالحصول على نفع مادي من وراء الأمور الدينية» وفيما بعد وجد له التقليد عذرًا لأن ما حدث بداخل الهيكل كان من الأمور الدينية، ولكن الظل خارج الهيكل لم يكن كذلك. يقول النص:

«لقد نسب إلى ر. يوحانان بن زاكاي أنه كان يجلس في ظل الهيكل ويعلم طول النهار ولكن كان من المستحيل (ألا يحاضر)، وقد قصد (الانتفاع بالظل)، فهل ذلك مسموح له؟ ولكن رابا Raba قال: الهيكل مختلف، لأنه قد بُني لأجل ما بداخله»[٩].

إن شرط «عدم الحصول على نفع مادي من وراء الأمور الدينية» كان يتناغم تناغمًا تامًا مع المهمة الأساسية للقصص الدينية، التي كان هدفها تفسير وتطبيق التوارة على شئون الحياة اليومية. ولذلك،

فإذا كانت لهم حرفة يكسبون منها لقمة العيش في العالم وإلمام شامل بعالم التوراة وناموسه، يكون من الأسهل عليهم أن يوجدوا ترابطًا بين هذين العالمين.(١٠)

لقد عاش شمعي وهليل، اثنان من أعظم معلِّمي اليهود، قبل يسوع بجيل من الزمان. وكان شمعي بناءً ، ومن المرجح أن هليل كان يكسب لقمة عيشه كحمَّال. لذلك، فإن يسوع (نجار) وبولس (صانع خيام) لم يكونا استثناءً من القاعدة ولكن كانا مثالين واقعيين على هذه الممارسة الأكيدة. وعلى خلاف العالم المعاصر، فإن العالم الذي عاش فيه يسوع كان يتوقع من الدارس أن يمارس حرفة كالنجارة مثلًا. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن بصورة طبيعية نتيجة لذلك هو: أي نوع من الحياة الفكرية يمكن أن يكون متاحًا لشاب ينمو في قرية منعزلة؟

في عصر يسوع، في كل قرى الجليل واليهودية، كان هناك جماعات من اليهود الجادين الذين أسموا أنفسهم «الحبريم» (الرفاق/الأصدقاء).(١١) لقد أُخذ هذا الاسم من مزمور ١١٩ : ٦٣ الذي يقول: «رفيق (Haber) لكل الذين يتقونك ولحافظي وصاياك». وكانت هذه الجماعات تتكون من رجال يعملون في حِرف دنيوية ولكنهم كان يقضون وقت فراغهم في النقاش في الناموس ومحاولة تطبيقه على عالمهم. وكان من حق أي شاب يهودي في أوائل سنوات مراهقته، أن ينضم إلى مثل هذه الجماعات. فإذا قرر أن يفعل ذلك، كان يلتزم بأن يصبح «تلميذًا للربيين» ويشترك في مناقشاتهم. أما اليهود الذين كانوا يرغبون في أن يقضوا وقت فراغهم في أنشطة بخلاف تلك المناقشات الدينية فلا ينضم لهذه الجماعات. وكان الربييون يطلقون على مثل هؤلاء الشبان لفظ (am ha-arets) «شعب الأرض». لم يكن هذا اللقب نوعًا من المجاملة، وقد نشأت عداوة كبرى بين هاتين الجماعتين.(١٢) كان يبدو طبيعيًا أن نفترض أن يسوع انضم إلى الحبريم». والقصة التي ذكرت عنه في الهيكل عندما كان في الثانية عشرة من عمره تؤكد ذكاءه وميله للعلم (لو ٢ : ٤١-٥١). ومع وجود مثل هذا النمط الثقافي لديه، من السهل أن نفترض أن يسوع قد قضى ١٨ سنة في نقاش مستفيض مع ألمع وأفضل المفكرين في الناصرة والقرى المجاورة. وعندما بلغ سن الثلاثين، وبدأ يسوع خدمته العلنية، أظهر مرارًا وتكرارًا مهارة فائقة في أسلوب معلمي اليهود في الحوار، ولذلك، فليس من المدهش أن المجتمع أطلق عليه لفظ "معلم".

لقد برز لفظ ربيَ (معلم) في الديانة اليهودية في القرن الأول للميلاد كلقب يدل على احترام العلماء. وقد أطلقه الطلبة على معلميهم، وأطلقه المجتمع ككل على الكتبة والحكماء. يقول إدوارد لوهس Eduard

Lohse: «عندما يطلق على يسوع لفظ ربّي من قِبل تلاميذه وآخرين، يدل ذلك على أنه كان يتصرف مثل الكتبة اليهود».[١٣] ويكتب العالِم الإسرائيلي القدير داڤيد فلوسر: «من السهل أن نلاحظ أن يسوع كان أبعد ما يكون عن أنه غير متعلم. فقد كان على إلمام تام بكل من الأسفار المقدسة والتقليد الشفهي، وكان يعرف كيف يُطبِّق هذا التراث الثقافي».[١٤] ويمضي فلوسر إلى القول بأن النجارين بنوع خاص كانوا يشتهرون بحب التعلم والمعرفة. وبناء على هذه الخلفية فقد رفض فلوسر «الفكرة الشائعة المحبوبة أن يسوع كان مجرد عامل يدوي بسيط، ساذج ومحبوب».[١٥]

وبالاختصار، كان يسوع معلمًا لاهوتيًا متمكنًا من استخدام المجاز، والمثل وسرد القصص، وكان جمهوره يتكون من الكتبة والفريسيين. إن قارئ الأناجيل بحاجة ليدرك أنه عند ذكر الجمهور المتعلم بنوع خاص، يمكن افتراض حدوث حوار علمي على مستوى رفيع بين الطرفين.[١٦] وعند التسليم بهذا الافتراض، تبرز أفكار جديدة عن يسوع ورسالته. يقدم النص التالي مثالًا لذلك.

نحن نجد تسجيلًا لأول عظة ليسوع ورد فعل السامعين عليها في لوقا ٤ : ١٦-٣٠. في ذلك المشهد الشهير يقرأ يسوع من إشعياء ٦١ : ١-٢. ولكن النص تعرض للتحرير في أربعة مواضع. هناك عبارة واحدة من النص الذي قبله محذوفة. وهناك سطر مستعار من إشعياء ٥٨ : ٦ ومُضاف إلى القراءة. وهناك كلمة رئيسية قد تغيرت من «أقول» إلى «أنادي»، والعدد الأخير مقسوم إلى نصفين. من أجرى هذا التغيير؟ تشترط المشنا بوضوح أنه في أي قراءة جهرية من أسفار الأنبياء، يسمح للقارئ بإجراء بعض التعديلات. وكانت قواعد قراءة توراة موسى أشد صرامة.[١٧] إن الشخص الذي أشرف على كتابة النص الوارد في إشعياء ٦١ : ١-٢ والذي يظهر في لوقا ٤ : ١٨-١٩ (مهما كانت شخصيته) اتبع تلك القواعد، وهكذا فإننا نفهم جيدًا أن هذا الشخص يهودي من القرن الأول للميلاد. هل قام يسوع بإجراء هذا التعديل؟ أم أن الرسل هم الذين تذكروا وسجلوا فيما بعد، وأجروا تعديلًا على المشهد والنص الواردين في إشعياء والذي قرأه يسوع في تلك المناسبة؟ أم أن لوقا هو الذي حاول أن يلخص فهمه لكل ما تضمنته خدمة يسوع؟ لو لم يكن يسوع أكثر من مجرد نجار بسيط، فإنه يصعب أن نتصور أنه هو الذي أجرى تعديلًا على النص. ولو كان دارسًا له ١٨ سنة وهو يتدرب على تفكير اليهود، معلمي اليهود، يكون من المعقول تمامًا أن نتصور أنه أجرى تعديلًا قانونيًا على النص. إن الافتراضات المسبقة التي لدينا عن يسوع «كرجل بسيط» أو «كلاهوتي جاد/ عالم» تحدد الزاوية التي ننظر بها إلى النص وكيف نفهمه.

عند فحص الطبيعة المتناغمة للأقوال التي قدمها يسوع لمعاصريه في إطار تعليم معلمي اليهود في القرن الأول للميلاد، يمكن أن نرى يسوع كأول وجهة نظر يقدمها العهد الجديد وبولس كوجهة النظر الثانية. ويمكننا أن نستمد من يسوع آراء لاهوتية عميقة فائقة الوصف تعبر عن الإيمان المتاح لنا.

وكما ذكرنا، فإن الهدف من هذا الكتاب فحص كيف أن يسوع اللاهوتي قد ابتكر قصة جديدة، هو محورها، وهي مرتبطة مرارًا وتكرارًا بقصة يعقوب. ولكن مثل هذا البحث لا يصبح ممكنًا ما لم نكن واثقين أن الأناجيل الثلاثة الأولى المتفقة عمومًا، وإنجيل لوقا بنوع خاص يقدم بالفعل قصة حقيقية لما قاله يسوع وعمله! ومن الناحية الأخرى فهناك بعض العلماء على طرفي نقيض من ذلك يصرون على أن سجلات الإنجيل ما هي إلا ابتكارات خيالية من قبل الجيل الثاني والثالث أو حتى الرابع من المسيحيين الذين اخترعوا قصصًا لتلبية احتياجاتهم الروحية وأن هذه القصص ليس لها علاقة كبيرة بتلك الشخصية الغامضة التي تدعى يسوع والتي اختفت في ضباب الزمن في أوائل القرن الأول للميلاد. ولكن يزعم آخرون بأن الأناجيل سجل (على شكل قصة) للاختبار الديني للمسيحيين الأوائل، وليست سجلًا لما قاله وعمله يسوع. هل هناك أي تأكيد لصحة القصص الواردة في الأناجيل الثلاثة الأولى (المتفقة) كسجلات تاريخية ليسوع؟ لنتجه بسرعة للإجابة على هذا السؤال.

# هوامش الفصل الأول

1. Dietrich Bonhoeffer is capable of creating profound meaning relying strictly on concepts. He can pen entire essays or sermons without a single illustration. He dosen't need them (cf. Bonhoeffer, *Meditations on the Cross*).

2. Dale Allison, "Books and the Book," installation address by Dr. Dale C. Allison Jr., 2001, p. 16.

3. For a more complete discussion of this chapter's topic, cf. K. E. Bailey, *Finding*, pp. 15-28.

4. The only other use of this Greek word is in Matthew 13: 55, which identifies Joseph as a *tekiōn.*

5. There was a seat in the synagogue designated as "Moses' seat" (Mt 23: 2), and in the temple those who sold pigeons had "seats" (Mk 11: 15; Mt 21: 12), but the word *Kathedra* (chair/Seat) does not occur again anywhere in the New Testament. Likewise, the word *trapeza* (table) appears as a table for money changers (Mt 21: 12; Jn 2: 1) and as a bank (Lk 11: 23). Rich men have tables for meals (Mt 15: 27; Lk 16: 21), and the great banquet with the Messiah at the end of all things will be at a table (Lk 22: 30). Only Luke 22: 21 refers to a table in the upper room. The *Krabattos* of the Gospels is a pallet that the sick man at the pool of Bethzatha could pick up (Jn 5: 2-9). The other word for a bed in the Gospels. *klinē*, is also something a healed sick man could carry (Mk 9: 2, 6; Lk 5: 18).

6. The occasional farm implement would also be shaped by the village carpenter/builder. The Greek words for *Plow* (Lk 9: 62), *winnowing fork* (Lk 3: 17; parallel Mt 3: 12) and *yoke* (Mt 11: 29- 30) each occur in only account in the Gospels.

7. R. A. Batey, *Jesus and the Forgotten City*, pp. 65- 82.

8. Mishnah, *Avot* 4: 5, trans. Danby, p. 453.

9. Habylonian Talmud, *Pesabim* 26a.

10. Rabban Gamaliel, the son of R. Judah the Patriarch, is erported to have said, "Excellent is the study of the Law together with worldly occupation, for toil in them both puts sin out of mind" (Mishnah, *Avot* 2: 2, trans. Danby, p. 447).

11. Shemuel Safari, "Religion in Everyday Life, "*The Jewish People in the First Century*; 2: 793- 833. Note especially pp. 802-5, 820-81, 824.

12. Babylonian Talmud, *Pesabim* 49b.

13. E. Lohse, "Rabbi," in *Theological Dictionary of the New Testament*, 6: 961-65.

14. David Flusser, *Jesus*, p. 30.

15. David Flusser, *Jesus*, p. 33.

16. For a fuller discussion of this topic, cf. K. E. Bailey, "Jesus as Metaphorical Theologian," and "Jesus Within First Century Judaism," *in Finding*, pp. 15-28.

17. Mishnah, *Mo'ed* 4: 4. Around A.D. 200 the Mishnah recorded the traditions of the past. It is not Possible to prove that these regulations for synagogue rading were in force at the ime of Jesus. What is striking is that they are followrd in the Lucan text. The Talmud expands these same regulations into a set of six rules (Minor Tractates, *Soferim* chap. 11 [39a(2)-39b(2)]).

## الفصل الثاني

# تقليد يسوع وصحة الأناجيل

ظل عدد كبير من الناس يدَّعون أن الأناجيل محرفة لأنها لا تقدم للقراء سجلًا دقيقًا لما قاله يسوع وفعله. ولأسباب مختلفة، توصل بعض العلماء العصريين إلى نفس الاستنتاج. ظل الجدل حول صحة الأناجيل كسجلات لما قاله وعمله يسوع ظل محتدمًا طوال معظم القرن العشرين ومازال كذلك في القرن الحادي والعشرين. والقضية تتعلق بجوهر كل ما هو مكتوب في الأناجيل وبموضوع هذا الكتاب. هل الأمثال الثلاثة في لوقا ١٥ تعبِّر عن الفكر اللاهوتي ليسوع، أم أنها قصص ابتكرها التلاميذ بعد يسوع بوقت طويل؟ هل جمعها لوقا للقراء من الأمم ونسبها ليسوع، أم أنها يمكن أن تنسب «للاهوتي الناصرة»؟

لقد سبق لي أن ناقشت هذه الموضوعات بشيء من التفصيل في مناسبة أخرى، يكفي هنا موجز قصير.[1] ونحن بحاجة لنعي جيدًا الجوانب الخمسة الهامة التالية:

## يسوع الربِّي (المعلم)

كان التقليد الربِّي معتادًا على النقل الشفاهي لأقوال الشخصيات الهامة في تقليده. وبعد قرون من الحفظ الشفاهي، كانت هذه المادة تسجل أخيرًا كتابة، أولًا في المشنا ثم في تلمودين اثنين. إن مؤسسي الديانة اليهودية، على مدى القرون، لم يسجلوا تعاليمهم في كتب. ولكن العلماء الصغار مثل ابن سيراخ، جمعوا الوثائق، التي كانت تنسخ أحيانًا وتُحفظ. ولكن تعليم الشخصيات الأولى العظيمة حقًا، مثل هليل، وشمعي، ويوحانان بن زاكاي، وغمالائيل، وسمعان بن غمالائيل، واليعازار. وعقبة ويهوذا الأمير، ظل لأكثر من قرن، يتم تذكره فقط من خلال التقليد الشفاهي. ومع أن عقبه (القرن الأول والثاني للميلاد) لم يكتب شيئًا، إلا أنه قد استشهد بأقوال أكثر من ٢٧٠ مرة في المشنا وحدها. ويمكن الافتراض بأنه

على مدى القرون قد أضيفت الكثير من الأقوال للتقليد السابق. ولكن كان هناك تقليد أسبق تم نقله إلى الأجيال اللاحقة. وقد تم تكريم ذلك التقليد وحفظه.

وفي حقيقة الأمر، في صميم التقليد الربِّي كان النقل الشفوي هو الطريقة المفضلة للحفظ وانتقال التراث. الربيون كانوا يمتلكون أسفارًا مكتوبة، ولكن أقوال الحكماء كان يُفضل الاحتفاظ بها على شكل شفهي لمدة طويلة. وهناك سببان واضحان لهذا التفضيل. فإذا ظلت المادة على شكل شفهي، كان الراوي بمقدوره التحكم في من يسمع التقليد المقدس. فالآذان غير الجديرة بذلك لن يُسمح لها بسماعه. فمن الصعب بكثير رؤية من سوف يقرأ كتابًا ما، ولكن التقليد الشفهي يتطلب راويًا. وبالإضافة إلى ذلك، فإذا كانت المادة ذات طبيعة شفهية، يمكن الراوي أن يضمن وجود وقت للتفسير الكافي لما تمت روايته. هذان السببان مفهومان بالفعل لدى الناس في كل أنحاء العالم بغض النظر عن ثقافتهم.

لكل إنسان بشري تقليد مقدس شخصي يظل دائمًا تقليدًا شفهيًا لنفس هذين السببين. فنحن نريد أن نتحكم في من سوف يسمع أدق أسرارنا الشخصية، ونحن نريد أن نتأكد أن هناك فرصة لشرح معنى هذه الأسرار عندما نختار أن نكشف عنها. وكل ما نفهمه جميعًا بالفطرة على المستوى الشخصي ينطبق على مستوى المجتمع في الشرق الأوسط. وشأنه شأن المعلمين المشهورين الآخرين، كان يسوع يجتذب تلاميذ، ومن الطبيعي أن نفترض أنه، مثل معاصريه، كان ينقل إليهم عمدًا، في صورة شفهية، تلك الأفكار الخاصة بالأسرار الإلهية التي اعتبرها هامة، وفي كتابه الخالد عن التلمذة، وثَّق برجر جيرهاردسن هذه العملية بأكملها من منظور مدى انطباقها على العهد الجديد.[٢]

## حفلة السمر

ثقافة الشرق الأوسط التقليدية كما عرفتها تمارس ما يطلق عليه بالعربية حفلة السمر (حفلة للحفظ، الجمع حفلات السمر). وكل الحاضرين في مثل هذه التجمعات يجلسون على شكل دائرة ويشتركون في نقاش واحد. ولا يوجد في مثل تلك الحفلات «قصاصون» رسميون يطلق عليهم لفظ رواه. وللجميع حرية الاشتراك في تلك الحفلات. والهدف هو إدخال البهجة، على الحاضرين وتسليتهم وإعطائهم معلومات جديدة. وعادة تروى النكات والقصص العابرة في تلك المناسبات، ولكنها لا تعد هامة ولا يتم التحكم في سرد هذه الأقوال. ولكن الأمثال والقصص التي تشكِّل هوية المجتمع تُحفظ بعناية فائقة، لأنه من خلال الأقوال الحكيمة والقصص، يتذكر الناس الذين في المجتمع هويتهم ويؤكدونها. ولا يجرؤ أحد على رواية

هذه القصص بلا مبالاة، أو يغيرها عن عمد. فالقيام بذلك يتطلب تصحيحًا علنيًا وبذلك يُعرِّض نفسه للمهانة العلنية. ويمارس المجتمع التحكم في هذه القصص، التي غالبًا ما يكون قد مضى عليها قرون عديدة. في المقالات التي ذكرتها من قبل وصفت كيف تؤدي هذه الأحداث الاجتماعية دورها، وأنماط المعلومات التي تُروى والطرق التي يتم بها السيطرة علي هذه المعلومات.[٢] ولكن هناك المزيد.

## تذكر الأشخاص المهمين والأحداث ذات الأهمية

كهاوٍ ومع ذلك كدارس جاد للحرب الأهلية الأمريكية، فإني أشعر باندهاش دائم لكم المعلومات الهائل، التي حفظت شفويًا لمدة نصف قرن ويزيد، فيما يتعلق بالشخصيات الرئيسية في ذلك الصراع. ويطلق على مثل هذا التذكر "ذكريات" والأمريكيون الذين اشتركوا في الحرب كانوا يعلمون أنهم يمرون بأحداث هامة بالنسبة لوجودهم كأمة. وقد كان إبراهام لنكولن، وروبرت إ. لي، و ت. ج (ستون وول) چاكسون، أشخاصًا رئيسيين في تلك الأحداث وقد اعتمد مؤلفو الكتب والمقالات عن الحرب الأهلية الأمريكية على هذه الذكريات واستمدوا منها المعلومات، التي كانت تنساب من أولئك الذين كانوا على دراية بتلك الأحداث التي تفاعلت مع تلك الشخصيات المحورية. لقد تذكر الزملاء ما قاله وفعله لنكولن ولي بسبب دورهما المحوري في الصراع ولأن الصراع، نفسه كان حقبة لتشكيل الهوية. ولقد انتقلت ذكريات الشخصيات التاريخية أيضًا عبر الأجيال حتى القرن العشرين.

إن الوثائق التاريخية التي جمعت في العقود الحديثة عن ونستون تشرشل وچون ف. كنيدي من الطبيعي أن تتضمن مقابلات مع شهود عيان. وفي هذه الوثائق سئل الناس الذين عرفوا هذين الرجلين الشهيرين عدة أسئلة. وفي أثناء إجاباتهم، وذكرياتهم عن الحوارات والقصص التي مضى عليها خمسون سنة، تجد أن أصواتهم ترتفع، وإيقاعهم يسرع وعيونهم تبدأ في الوميض. كيف يمكنهم تذكر ذلك الماضي البعيد؟ لماذا تظل هذه الذكريات نابضة بالحياة؟ الإجابة بسيطة – فشهود العيان يعرفون أنهم يتحدثون عن شخصيات رئيسية في وسط أحداث هامة، ونتيجة لذلك، فإن ذكرياتهم تنتج هذه الأقوال والقصص بدقة وسهولة.

جمع المؤرخ الروسي إدوارد رادزنسكي مؤخرًا تقليدًا قديمًا عن القيصر نيقولا الثاني مع التركيز على الشهور الستة الأخيرة من حياته، وهي فترة لا يوجد عنها تقريبًا أي وثائق. وما أن عرف الجمهور الروسي أن «رادزنسكي» كان يبحث عن معلومات عن القيصر، حتى بدأ بعض الأفراد في

البحث عنه وإخباره بقصصهم. والأخبار التي وصفوها كانت قد انتقلت من الجد إلى الابن ثم إلى الأحفاد والحفيدات لأكثر من سبعين سنة. كانوا يتذكرون القيصر! فكيف يتسنى لهم نسيانه؟! لقد كان رادزنسكي قادرًا في معظم الأحيان على التأكد من المعلومات التي سمعها بمراجعة نفس القصة التي وردت إليه من العديد من المصادر. وعلى الرغم من وجود اختلافات في بعض الأحيان، إلا أن أوجه التشابه كانت لافته للنظر. وفي النهاية أصدر رادزنسكي كتابًا مكونًا من ٤٣٠ صفحة، جاء قسم كبير منه من تقليد شفهي مضى عليه سبعون سنة.[٤] حدث كل ذلك بين الروس - بدون الضوابط التي اكتشفتها في الشرق الأوسط. هل كان الجد الروسي يقول الصدق أم يحاول التأثير على أحفاده؟ لم يكن هناك مجتمع محيط يصحح الرواية. ولكن في الشرق الأوسط كان الأمر مختلفًا.

في عقد التسعينات بدأت سيليا ساندز، حفيدة ونستون تشرشل في كتابة كتاب عن جدها الشهير. كانت تنوي أن تملي فصلًا واحدًا عن الثمانية شهور التي قضاها تشرشل في جنوب أفريقيا خلال حرب البوير. ونتيجة لذلك. سافرت إلى جنوب أفريقيا لزيارة الأماكن التي كان معروفًا أن تشرشل قد ذهب إليها. وفي أثناء مقابلة تليفزيونية في مناسبة قومية طلبت من المشاهدين أن يتصلوا بها لو كان لديهم أي معلومات عن جدها. وقد استجابوا لها. وقد فوجئت ساندز وابتهجت بكم المكالمات، والفاكسات والخطابات التي تلقتها وقررت أن تكتب لا فصلًا واحدًا بل كتابًا عن رحلة تشرشل إلى جنوب أفريقيا.[٥] والآن بعد نشر الكتاب، فإنه يركز تمامًا على الثمانية شهور التي قضاها في تلك البلاد، والمعلومات التي جمعتها كلها تقريبًا كانت شفوية، مرة أخرى بلا أي ضوابط مفروضة من المجتمع. وعندما نسبت لها تلك الأحاديث والقصص كانت متداولة لما يقرب من مائة عام. كيف استطاع الناس أن يتذكروا؟ الإجابة البسيطة هي- إنه كان هناك تشرشل! كان بالفعل شخصية مشهورة عندما ذهب إلى جنوب أفريقيا. والسؤال هو: كيف يمكنك نسيانه؟

كان المجتمع الرسولي الأول يتكون من اليهود الذين قبلوا يسوع كمسيا الله. ولم يصادق كل جيرانهم اليهود وأفراد عائلاتهم على ذلك القرار ولذلك فإن استدعاء وتذكر القصص عما قاله يسوع وعمله كان شيئًا جوهريًا بالنسبة لهويتهم الجديدة "كيهود مسيانيين" (يؤمنون بيسوع كالمسيا). ونسيان ذلك يعني نسيانهم لهويتهم. ووضع ضوابط على التقليد الخاص بيسوع (مع ترك مساحة من الحرية بالسماح لهم بالتعبير الشخصي) كان شيئًا ضروريًا لهويتهم. والتعبير عن ذلك بحرية أمر غير وارد كما كان الحال بالنسبة للنكولن، ولي، ونيقولا الثاني وتشرشل. فهذه الأنواع من الحقائق البشرية كانت بحاجة للتحليل

لتصبح مدركات حسية وعقلية جعلت من كانوا "معاينين وخدامًا للكلمة" (لو ١ : ٢) أن يفهموا الكيفية والسبب الذي مكنهم من أن يتحفظوا بالحقائق المتعلقة بالقصص عن يسوع الناصري والقصص التي ذكروها وينقلوها إلى لوقا والكُتَّاب الآخرين للإنجيل. لقد كتب كيلبر Kelber يقول: «إن أعدادًا كبيرة من التلاميذ، والرسل، والأنبياء، والمعلمين، والأتباع العاديين ليسوع سوف يظلون مجهولين إلى الأبد، ولكن ذلك مخالف تامًا للقول بأن تقاليد يسوع متأصلة في النسيج المجهول للمجتمع»(٦)

## لوقا و الأقسام التي يستخدم فيها ضمير المتكلم بالجمع (نحن) من سفر أعمال الرسل

في سفر أعمال الرسل، يستخدم لوقا من وقت لآخر ضمير المتكلم الجمع (نحن). ثم يختفي هذا الضمير فجأة. والأقسام التي يوجد فيها هذا الضمير تُدعى «أقسام نحن» من سفر أعمال الرسل. وخلال القرن العشرين قدم عدد من الدارسين فكرة أن استعمال (نحن) كان مجرد وسيلة أدبية ليس لها علاقة بالتاريخ. وفي مقالة حديثة يقول «چوزيف فتزماير»، العالم الكاثوليكي الأمريكي الشهير، إنه عند الفحص ينهار الدليل ضد علاقة ارتباط الضمير بالتاريخ. ويستنتج «فتزماير» أن لوقا كان إنسانًا شريفًا وكان يستخدم اللفظ (نحن) عندما كان مع بولس ويستخدم الضمير «هو» و «هم» عندما لم يكن مع بولس.(٧) وإذا أخذ القارئ هذه الفكرة في الاعتبار، فيمكنه أن يتتبع استعمال لوقا للضمير (نحن) في رحلة بولس الأخير إلى أورشليم.

وفي أصحاح ٢١ نجد القول إننا (بولس ولوقا) سافرنا إلى كوس، ورودس، وقبرس، وصور منها إلى قيصرية (أع ٢١ : ١-٨). وأخيرًا يقول "وصلنا إلى أورشليم (أع ٢١ : ١٧-١٨) وقبلنا يعقوب والمشايخ. ثم يقبض على بولس بعد ذلك، ويؤخذ إلى قيصرية ويسجن لمدة سنتين. وخلال تلك المدة لا يظهر الضمير (نحن) في النص. ولكن عندما يطلب بولس أن يرفع شكواه إلى قيصر ويرسل إلى روما، فجأة نرى العبارة «فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا» (أع ٢٧ : ١). بعد ذلك «اجتزنا" العديد من الموانى وتحطمت السفينة في مالطة، وأخيرًا، "أتينا إلى رومية". وباتباع وجهة نظر «فتزماير» بشأن تاريخية «أقسام نحن»، يتضح أن لوقا كان مع بولس في رحلته الأخيرة إلى أورشليم. لم يكن لوقا يستطيع الاتصال ببولس عندما كان الأخير مقبوضًا عليه ومسجونًا لمدة عامين. ولكن عندما قررت السلطات أن ترسل بولس إلى روما، استطاع لوقا أن ينضم إليه في الرحلة. وهكذا، فإن لوقا، كان في

أورشليم من حوالي ٥٧ م إلى ٥٩ [٨] بالسماح له بالدخول إليها عن طريق غير مباشر. ولكنه برغم ذلك لم يكن مع بولس. فما الذي عمله بولس إذن في هاتين السنتين؟ لقد كان رجلًا متعلمًا، ومن المرجح أنه كان طبيبًا. وكان مكرسًا حياته أيضًا ليسوع وكان من الطبيعي أن يعيش كواحد من المجتمع اليهودي المؤمن بالمسيا في أورشليم. إن أبسط وأوضح إجابة على السؤال السابق أن نفترض أن لوقا كان منهمكًا في البحث الميداني لأجل إنجيله. فعدد كبير من الناس يكملون أبحاثهم لبعض الوقت قبل أن يتمكنوا من تنظيم اكتشافاتهم وتبويبها لتكون في شكل قابل للقراءة أو الطباعة إني لا أحاول أن أحل مشكلة الأناجيل الثلاثة المتفقة (أي إنجيل كان الأول ومن الذي نسخ من الآخر) هنا.[٩]. بل أني أفضل أن أشير إلى أنه، بدخول لوقا غير المباشر، فقد ظل في أورشليم لمدة عامين، في الوقت الذي كان فيه الآلاف من شهود العيان ليسوع التاريخي موجودين هناك بالفعل وقد كانت رؤيته متاحة لهم. وهكذا، فإن القصص الصادرة عن يسوع ومنه والتي جمعها في ذلك الوقت كانت مبكرة ويمكن الاعتماد عليها. بالنسبة لي، فإن الحكم على صحة الإنجيل لا يعتمد على التسجيل الحرفي لما قاله يسوع وعمله. إني مقتنع أن إنجيل لوقا شهادة أساسية ليسوع الناصري وشهادة ثانوية للفكر اللاهوتي للوقا. إن المادة التي يقدمها لوقا قد جمعت من شهود عيان أحياء للأحداث التي وصفها بعد الصليب والقيامة بحوالي من ٢٧ إلى ٢٩ سنة، مما يجعل المرء يتأمل في ما قاله لوقا نفسه عن المصادر التي استقى منها.

## شهود العيان وخدام الكلمة

إنجيل لوقا هو الإنجيل الوحيد الذي يخبر قُرَّاءه عن مصادره (لو ١ : ١-٤). فهو يؤكد معرفته بالوثائق حين يكتب قائلًا "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا" ثم يذكر بعد ذلك" الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة" العبارة الأولى يسهل فهمها، ولكن لم تشر بالضبط إلى العبارة الثانية؟

مبدئيًا، يمكن ملاحظة أن العبارة تحتوي على أداة تعريف واحدة[*] (واسمين وتقريبًا في كل الحالات في قواعد اللغة اليونانية عندما تأتي أداة تعريف واحدة متبوعة باسمين، فإن الاسمين يشيران لنفس الشيء. وهذا يعني أن شهود العيان هم خدام الكلمة وخدام الكلمة هم شهود العيان. إن تعريف كلمة «شاهد عيان» واضح. ولكن ما معنى عبارة «خادم الكلمة» حقًا؟

* في اللغة الإنجليزية وردت العبارة "The eye witnesses and Ministers of the word" باستخدام أداء التعريف وليس باستخدام ضمير الموصول «الذين» كما وردت في العربية. (المترجم)

كلمة "خادم" في اللغة اليونانية هي (*Hypēretēs*). والسؤال يصبح إذن: ما معنى (*Hypēretēs*). في مفهوم يهودي القرن الأول للميلاد؟ إن الكلمة (*Hypēretēs*) معروفة بأنها الترجمة اليونانية للكلمة العبرية (*hazzan*). والكلمة (*hazan*) كانت تعني موظف المجمع الوحيد الذي يدفع له أجر. إنه لم يكن رئيس المجمع بل بالحري «خادمة» (*hazan*).[١٠] يكتب «شموييل سفاري» عن مسئوليات هذا الموظف فيقول: «كان لرئيس المجمع معاون الـ (*hazzan*)، ولا شك أنه الـ (*uperetes*) (الخادم) الوارد في لوقا ٤ : ٢٠، الذي كان يؤدي دور الموظف التنفيذي في التفاصيل العملية في إدارة المجمع.... وكان الموظفون الذين لديهم مهام مشابهة يلحقون بالهيكل»[١١]

في العهد الجديد يبدو الـ (*hazzan*) كموظف في المجمع (لو ٤ : ٢٠) وفي الهيكل (مر ١٤ : ٥٤، ٥٦). ومن بين المهام العديدة التي يقوم بها خادم المجمع المسئولية عن المخطوطات في المجمع. يقول «سفاري» مرة أخرى. «أثناء عصر الهيكل الثاني ولوقت طويل بعد ذلك، كان يتم إحضار الصندوق المليء بالكتب (إلى المجمع) حين يكون مطلوبًا من حجرة مجاورة ثم يتم إرجاعه إلى مكانه هناك مرة أخرى».[١٢]

وكما قال «سفاري» في إشارة لما جاء في لوقا ٤ : ٢٠، فإن هذا الخادم يظهر في قصة يسوع حين كان يقرأ في المجمع في الناصرة (لو ٤ : ١٨-٢٠)، حيث من الواضح أنه كان الشخص المسئول عن العبادة. في هذا النص، تترجم معظم النسخ المكتوبة باللغة الإنجليزية كلمة (*Hypēretēs*) إلى كلمة «مشرف» والتي تبدو كما لو كان حاجبًا أو بوابًا. ولكن من الواضح أن هذا الموظف كان حارسًا للمخطوطات وقائدًا للعبادة. ويتضح من لوقا ٤ : ٢٠ أن لوقا يعرف استعمالات كلمة (*Hypēretēs*) بمعناها اليهودي في القرن الأول للميلاد. فكيف تفهم إذن نفس هذه الكلمة على أفضل وجه في لوقا ١ : ٢؟

في لوقا ١ : ٢ فالشخص *المراد* الاستفسار عنه هو «خادم *الكلمة*»، وليس «خادم المجتمع» بالإضافة *إلى* ذلك، فإن "خادم (*Hypēretēs*) وهي الكلمة في هذا النص هو أيضًا شاهد عيان ليسوع الناصري. ما الذي يمكن أن نستنتجه من ذلك؟

بوضع كل ذلك معًا، من الممكن أن نستنتج أنه في البداية أخذ الرسل وبقية المجتمع اليهودي المسياني (الكنيسة الأولى) هذا اللقب من خلفيتهم اليهودية. وأعادوا استعماله لم تكن لهم مبان ولم يكونوا منضمين رسميًا إلى مجامع، ولذا فإن وجود موظف يدفع له أجر (خادم للمجمع)، يحفظ المخطوطات في صندوق وينقلها إلى وسط المجمع للعبادة في كل سبت، لم يكن ضروريًا. بالإضافة *إلى* ذلك، *لم* تكن

لديهم مخطوطات عن يسوع. ولكن كان عندهم تلاميذ للمعلم يسوع. كانوا قد سمعوه، وتعلموا منه وكان بإمكانهم مشاركة ذكرياتهم مع الآخرين. لقد أُعطيّ لشهود العيان هؤلاء لقب، ألا وهو "خدام الكلمة" أي كلمة كانوا يحفظونها؟ إن هؤلاء الخدام، الذين سجلهم لوقا كمصدر واحد من مصدرين رئيسيين لإنجيله، يبدو أنهم رواة التقليد عن يسوع، ولهذا السبب فلابد أنهم كانوا شهود عيان لدرجة أنه أطلق عليهم لقب خدام الكلمة. كانوا أوصياء على التقليد الشفهي من وعن يسوع. وعندما كان هناك اجتماع للعبادة، لم يستطيعوا أن يحملوا صندوقًا يحوي مخطوطات عن يسوع إلى مكان الاجتماع، ولكن كان يمكن لشهود العيان منهم أن يقوموا برواية الأحداث! أما الذين لم يكونوا شهود عيان مثل لوقا، كانوا يسمعون ما كان يروى، ولكن شهود العيان فقط كان يطلق عليهم هذا اللقب وكانوا مسئولين عن نقل هذا السجل الشفوي المقدس إلى جمهور الحاضرين. كل ذلك كان يتم وفقًا للتقاليد اليهودية. فقد كان تلاميذ هليل وشمعي معاصرين لهؤلاء التلاميذ وكانوا يروون التقاليد من وعن معلميهم كل على حده.

ولكن بعد قيامة المسيح بـ ٢٧ سنة، عندما وصل لوقا إلى أورشليم، فإن هؤلاء "المعاينين وخدام الكلمة" لم يعودوا في سن الشباب، وكان من الواضح أنه يومًا ما سوف لا يكون هناك شهود عيان على قيد الحياة. فما الذي يمكن أن يفعل حينئذ؟

كان يمكن للجماعة المسيانية أن تسمح لتلاميذ التلاميذ أن يواصلوا مهمة رواية الأحداث المتعلقة بيسوع، وقد كان ذلك تقليدًا شائعًا في عالم الربانيين. ولكن من الواضح أن اليهود المسيانيين (المؤمنين بيسوع كالمسيا) قرروا أن أقوال المعلم يسوع كانت أقدس من أن يسمح لأناس لم يكونوا شهود عيان برواية أقواله وأفعاله. كان هناك بديل واحد آخر: التصريح بإنشاء الوثائق.

عند وصول لوقا إلى أورشليم، كانت كتابة مثل هذه الوثائق قد بدأت بالفعل. إن لوقا يؤكد بالفعل «كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة» (لو ١ : ١). كانت الوثائق موجودة بالإضافة إلى «شهود العيان وخدام الكلمة (عن يسوع)» ظل لوقا يتعامل لمدة سنتين مع هذين المصدرين (المكتوب والشفهي)، وينتج عن ذلك إنجيل لوقا.

وأخيرًا، فإن نفس «خدام (الأوصياء على) الكلمة» لم يكونوا فقط مصادر هامة للمعرفة، ولكنهم كانوا أيضًا، وحتمًا مجلسًا للمراجعة. عندما انتهى لوقا من كتابة إنجيله، لابد أنهم قرأوا القصة المكتوبة بتدقيق (لو ١ : ٣) والتي جمعها وحررها. ولابد أن الجماعة المسيحية كانت تنتظر بشغف مراجعة

مجهودات لوقا. ولو كان لوقا استخدم خياله الخصب لتأليف قصص من لا شيء، أو ألفّ قصصًا للتعبير عن اختباره الديني، لكان ردهم عليه هكذا:

«نحن لم نقدم للطبيب لوقا هذه المادة! إنها لا تمثل يسوع الذي سمعناه، وعرفناه واتبعناه! إننا لم نعاني ونتحمل الاضطهاد والرفض لكي نتبع خيال شخص ما. نحن ملتزمون بيسوع الناصري، ونعرف جيدًا ما قاله وما عمله! وهذه الوثيقة محض اختلاف وليس لدينا أي علاقة بها!»

لو كان ذلك هو حكم الذين قدموا للوقا المادة التي كتبها لما كانت هناك نسخة أخرى من إنجيل لوقا، كان من الممكن أن يستمتع بها ثاوفيلس، ولكن الكنيسة لم يكن من الممكن أن تحتفظ بها. وحقيقة أن الكنيسة قد حفظتها يعني أن هذه المجموعة من المتخصصين، الذين عرفوا كل شيء عن يسوع الناصري، قد أعجبوا بمجهودات لوقا. وهذا يدل أيضًا على صحة هذا الإنجيل بالنسبة لنا.[١٣] إن الكتاب في صورته النهائية بالطبع يمثل أجندة عمل لوقا. فقد سجل ما اعتقد أنه هام، ونقح اللغة المستخدمة، ورتب المادة، وأضاف لمحاته التفسيرية الخاصة وابتكر الوصلات والروابط المناسبة لربط الأحاديث معًا. ولكن هذه العملية التحريرية لا يعني أنه ألفّ المادة التي حررها.

إن مناقشة هذا الإنجيل للأمثال الواردة في لوقا ١٥ تمضي بكل الثقة بأن هذه الأمثال الثلاثة هي قصص ابتكرها عقل يسوع. وحفظها شهود العيان شفويًا وسجلها لوقا أخيرًا كتابةً في أوشليم في وقت لا يزيد عن ٢٧ ، ٢٩ سنة بعد القيامة. وكل ذلك يأتي بنا للتأمل في الثقافة الكامنة من وراء القصص نفسها، ونحن نتجه إلى هذا الموضوع الآن.

# هوامش الفصل الثاني

1. K. E. Bailey, "Informal"; "Oral Tradition"; "The Historical Jesus: A Middle Eastern View."
2. B. Gerhardsson, *Memory and Manuscript.* For a ciritical summary of Gerhardsson's case, cf. W. H. Kelber, *The Oral and the Written Gospel*, pp. 8- 14.
3. A brief summary of my analysis of the *haflat samar* and how it functions is provided by N. T. Wright in his book *Jesus and the Victory of God*, pp. 133- 37. Wright notes, "Bailey's proposal has, to my mind, the smell of serious social history about it" (p. 135).
4. E. Radzinsky, *The Last Tsar.*
5. C. Sandys, *Churchill Wanted Dead or Alive.*
6. W. H. Kelber, *The Oral and the Written Gospel*, p. 28.
7. J. Fitzmyer, *Luke the Theologian: Aspects of His Teaching*, pp. 16-22.
8. R. Jewett, *Dating Paul's Life*, pp. 100-104.
9. My own view is that Luke did indeed compose the "first edition" of his Gospel at that time. Some years later he expanded his Gospel into the form we have now. But this discussion takes us too far afield.
10. S. Safrai, "The Synagogue," pp. 913-17, 933-37.
11. S. Safrai, "The Synagogue," p.935.
12. S. Safrai, "The Synagogue," p. 915.

13. N. T. Wright affirms, "The stories of Jesus that circulated in the first generation arc in principle to be taken as Just that: stories of Jesus" (*Jesus and the Victory of God*, p. 136).

## الفصل الثالث

# أهمية فهم ثقافة الشرق الأوسط لتفسير العهد الجديد

هناك على الأقل طريقتان أساسيتان لتقديم الفكر اللاهوتي. الطريقة الأولى تتم باستخدام الأفكار والثانية باستخدام القصة والاستعارة. وكلاهما يتأثران بالثقافة. وعند التعامل مع الأفكار، تكون الوسيلة المختارة هي الإقناع بالحجة والمنطق. ولكن ليزلي نيوبيجن (Lesslie Newbigin)، اللاهوتي البارز وأسقف كنيسة جنوب الهند، قال «إن الفعل يتشكل أساسًا عن طريق الثقافة والتقليد وكل واحد منا جزء لا يتجزأ منهما». يكتب نيوبيجين قائلًا: «نحن لا نستطيع أن نفكر سوى باستخدام اللغة. فاللغة تجسد الطرق التي تعلم بها المجتمع أن يستوعب تجربته بطريقة مترابطة منطقيًا. إنها تعبر عن الأفكار التي تشكِّل فهمنا. ويمكن تعلُّم اللغة فقط، عندما نستخدمها منذ سنوات الطفولة الأولى، بالطريقة التي يستخدمها آباؤنا ومعلمونا والمعاصرون لنا الأكبر سنًا. وعند تعلم اللغة فنحن نتواصل مع تقليد، وليس لدينا وسيلة لتطوير قدراتنا على التفكير سوى باستعمال هذه اللغة».[1]

**ثم يضيف قائلًا:**

«إن تطوير تقليد العقلانية (كون الشيء موافقًا للعقل) لا يمكن فصله أبدًا عن التغييرات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية التي يجتاز فيها مجتمع بعينه. فالتقليد لا يمكن أن يكون عقلانيًا مجردًا على الإطلاق. والعقلانية المقبولة هي جزء لا يتجزأ من الحياة الكلية للمجتمع ومتجسدة فيه. إنها تستجيب للتجارب الجديدة التي يمر بها ذلك المجتمع - سواء جاءت من الخارج أو من الداخل. إن التقليد الفكري ليس شبحًا أو خيالًا لا جسد له، وليس له حياة منفصلة عن الحياة الكلية للمجتمع الذي يحمل هذا التقليد. إن العقلانية متجسدة في هذا المجتمع، بكل ما فيه من عناصر طارئة، وخصوصية، ومجرد أحداث عابرة».[2]

**ويواصل حديثه فيقول:**

«لا يعمل العقل في فراغ. فقوة العقل البشري على التفكير المنطقي تنمو فقط من خلال تقليد يعتمد هو نفسه على تجربة الأجيال الماضية... وتعريف ما هو معقول وما هو غير معقول يعتمد على التقليد الذي يتم مناقشه أي موضوع في إطاره.[٣].

ويقول نيوبيجين «إن الأفكار المقبولة منطقيًا والتي نستوعبها من خلال ثقافاتنا المختلفة تصبح مثل عدسات نظاراتنا» بمعنى:

«إنها ليست شيئًا ننظر إليه، بل شيء ننظر من خلاله لكي نرى العالم. فعدسات نظاراتنا تؤدي بالضبط الوظيفة التي تقوم بها عدسات أعيننا. وبذلك المعنى، فهي جزء منا. ونحن نقطن بداخلها. وهكذا الحال بالنسبة لقدر كبير من ثقافتنا ولغتنا، وصورها البلاغية ومفاهيمها، ووسائل تفاهمها وأداؤها لمهامها. إننا حين نواجه فقط ثقافة مختلفة تمامًا ولغة مختلفة، تشكلت من خلال تاريخ شديد الاختلاف عنا، نبدأ في الالتفات إلى الوراء وندرك أن ما كنا دائما ننظر إليه على اعتباره شيئًا مسلمًا به ما هو إلا إحدى الطرق للنظر إلى الأشياء»[٤].

**يقول نيوبيجين إن هذه الحقيقة تؤثر تأثيرًا عميقًا على الطريقة التي ننظر بها إلى الكتاب المقدس فيكتب قائلًا:**

«من الحقائق الواضحة: إنه ليست لدينا طريقة لفهم الكتاب المقدس سوى من خلال المفاهيم الفكرية التي أعدتنا بها ثقافتنا طوال مدة تكويننا العقلي منذ أوائل مرحلة طفولتنا»[٥] ولذلك، فإن نفس العقل الذي نستخدمه لربط مفاهيمنا الفكرية معًا يتشكل عن طريق اللغة والثقافة التي نعد جزءًا منها. ماذا إذن بشأن المعنى اللاهوتي الذي يتكون عن طريق الاستعارة والقصة؟

فإذا كان التكييف الثقافي للغة، والتاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والقوة الحربية يؤثر على الطريقة التي نفكر بها، فكم بالأحرى تؤثر الثقافة على ما نقصده حين نستخدم الاستعارات ونروي القصص لخلق المعنى؟! في هذه الحالة الأخيرة، نجد أن الافتراضات الثقافية لراوي القصة والجمهور الذي يستمع إليه، يشكلان وجهة النظر التي يخلق في إطارهما راوي القصة ذلك المعنى. من المرجح أن الدخيل سوف يفهم المضمون الأساسي للقصة، ولكن التفاصيل الدقيقة سوق تغيب عنه. على الأقل فإن بعض الصور الكلامية، ونقاط التحول المثيرة، والمعاني العميقة، والدعابة المهذبة ومشاعر القلق الدفين،

كلها سوف تصبح غير واضحة المعالم، إن لم تختفِ كلية. ما الذي يجب أن يعمل إذا كان قارئ القصة لا يشارك راوي القصة في ثقافته أو الجمهور الذي يستمع إليه؟

هناك عدد من الخيارات التي تتجاهل هذه المشكلة أو تحلها حلًا سطحيًا. وأكثر هذه الحلول شيوعًا هو التظاهر بأنه لا وجود للمشكلة. فالقارئ مهما كانت ثقافته، يمكنه أن يسلط نور ثقافته على المثل. وهذا الخيار يمكن أن نجده طوال تاريخ الكنيسة "ولكنه ليس بالتأكيد الحل الأمثل. في متى ٥ : ١٤-١٥، والمقتبس في الفصل الأول، نقرأ «أنتم نور العالم... ولا يوقدون سراجًا....» لقد ترجمت الـ RSV العبارة الأخيرة هكذا «ولا يوقد الرجال سراجًا». في زمن يسوع، كانت النساء توقدن السرج. والذين كانوا يستمعون ليسوع سمعوا عبارة «ولا يوقدون سراجًا» وفهموا أن يسوع كان يتحدث عن النساء اللاتي يوقدن السراج". إن مثل هذا التناغم الثقافي الجميل عنصر هام في مهمة التفسير.

هناك خيار ثان للتأكيد على أن أمثلة يسوع كانت شاملة في طبيعتها وتنطبق على كل الثقافات. إن هذا صحيح من جانب واحد. ففي كل الثقافات يوجد آباء عطوفون، وأبناء صغار متمردون وإخوة كبار رجعيون. فالشخصيات الرئيسية الثلاث في قصة الابن الضال يمكن أن توجد في كل ثقافة. ولذلك، فمن الممكن أن يكون للقصة تأثيرها الحقيقي في كل ثقافة. ولكن هذه الفكرة تتجاهل بالضرورة الكنوز الهامة التي يمكن أن توجد فيما وراء هذه الأشياء الكلية.

صحيح، إنه يوجد في كل الثقافات عائلات لديها مشكلات مشابهة للعائلة التي يصفها يسوع. ولكن، كما سنرى فيما بعد، ففي ثقافة الشرق الأوسط التقليدية، فإن طلب الابن الضال للقسم الذي يخصه من الميراث بينما أبوه ما زال على قيد الحياة يعني أنه لا يستطيع الانتظار حتى يموت أبوه. فالمتوقع أن ينفجر الأب غضبًا ويطرد ابنه من البيت. ولكنه لا يفعل ذلك، وبدلًا من ذلك فإنه يلبي طلب ابنه. وبتصوير الأب هكذا، يؤكد يسوع أن الأب الشرقي لا يصلح كنموذج لله. هذا جانب هام مما كان يعنيه المثل في فكر يسوع. لا شك أنه يتوجب علينا ألا يفوتنا. وهكذا فبالافتراض بأن الأنماط الثقافية الشاملة في الأمثلة هي كل ما هو ضروري للتفسير يعني أن نهمل عن عمد العديد من الكنوز النفيسة في النص. ولكن هناك جانبًا آخر من المشكلة.

هناك خيار ثالث وهو اللجوء إلى الهلينية. ففي القرن الرابع ق.م قهر الإسكندر الأكبر الشرق

الأوسط ونشر الثقافة اليونانية في كل ربوعه. وبالاختصار، فقد أصبح الشرق الأوسط هلينيًا. ولكن ما زال السؤال باقيًا: هل الثقافة اليونانية هي العدسة الملائمة التي نفحص من خلالها ونفهم ثقافة أمثال يسوع اليهودي؟[٦]

لقد تحدث اللبنانيون اللغة الفرنسية لمدة ألف سنة. ولكنهم لبنانيون، وليسوا فرنسيين. ويستخدم الهنود في شبه القارة الهندية الإنجليزية على نطاق واسع، فهي بحق اللغة الثانية في البلاد، وحتى البرلمان الهندي تدار مناقشاته باللغة الإنجليزية. لقد أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الهند لعدة قرون، ولكن الهنود ما زالوا هنودًا، وليسوا بريطانيين. صحيح أن هناك تأثيرًا بريطانيا، ولكن لا وجود للهوية البريطانية. كانت اليونانية هي اللغة المشتركة عبر ثقافات دول شرق البحر المتوسط في وقت يسوع. وكما ذكرنا من قبل، ففي سنوات نمو يسوع، كان هيردوس انتيباس يبني عاصمة جديدة في سيفوريس، على بعد أربعة أميال من أورشليم ولا شك أن النفوذ اليوناني كان قويًا في تلك المدينة على الرغم أنها كانت لا تزال مدينة يهودية على الأرجح، وربما كان يوجد بها مسرح يوناني. ومع ذلك، كانت الناصرة مدينة يهودية صغيرة وظلت يهودية. لعدة قرون بعد وقت يسوع. وكان يسوع يهوديًا، وليس يونانيًا، وكان الكفاح للاحتفاظ بالهوية اليهودية جزءًا لا يتجزأ من عالمه. فكيف يمكننا نحن في القرن الحادي والعشرين أن ندخل إلى عالمه الثقافي؟

عندما نقرأ الكتاب المقدس بلغتنا، نجده مليئًا بالأصوات التي تذكرنا بالأصوات الأصلية، كما قال نيوبيجين. والسؤال هنا: أين أجد مكانًا أقف عليه وأستطيع من فوقه أن أنظر إلى نفسي وافتراضاتي الثقافية من وجهة نظر الكتاب المقدس على الرغم من أن نفس قراءاتي للكتاب المقدس هي ذاتها موضوعة في قالب لغتي وثقافتي؟ يستخدم نيوبيجين المثال التوضيحي للحافلة. كيف يمكنني أن أدفع الحافلة في الوقت الذي أكون راكبًا بداخلها ويخلص إلى الاستنتاج التالي:

«الطريقة الوحيدة التي يمكن بها للإنجيل أن يتحدى تفسيراتنا له والمصبوغة بلون ثقافتنا يكون عن طريق أولئك الذين يقرأون الكتاب المقدس بعقول شكلتها الثقافات الأخرى. علينا أن نستمع للآخرين. هذا التصحيح المتبادل قد يكون غير مرغوب فيه في بعض الأحيان، ولكنه ضروري ومثمر[٧].

يصبح هذا الأمر واضحًا تمامًا عند فحص التعليم عن شخص المسيح. يوضح نيوبيجين كيف نظرت الثقافات المختلفة في منعطفات تاريخية مختلفة إلى شخص يسوع. إنه يكتب قائلًا: «إنها حقيقة بسيطة

من حقائق التاريخ. إن يسوع قد تم تصويره في الماضي وما زال يصور في أشكال لا حصر لها من الصور بداية من الملك البيزنطي حاكم الكون والجالس على العرش مرورًا بالمسيح المصلوب على صليب في العصور الوسطى ويسوع القلب المقدس، وحتى المسيح الأشقر اللون ذو العينين الزرقاوين الذي يمثل البروتستانتية الأمريكية وتشي جيفارا المقاتل بحثًا عن الحرية. الذي يمثل اللاهوت التحرري.»[٨]

بالنسبة لنيوبيجين، كل ذلك أصبح واضحًا عندما ناقش الأسفار المقدسة مع زملائه من الهنود. ويحكي كيف أنه عندما استمع إلى أولئك الزملاء استطاع أن يتبين بسرعة رغبتهم في التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة ومن خلالهم استطاع أن يتبين أيضًا نفس تلك الرغبة لديه. فهو يقول:

«عندما ذهبت كمرسل شاب إلى الهند، استطعت أن أكتشف عناصر الرغبة في التوفيق بين المذاهب الدينية المتعارضة في المسيحية الهندية. وأدركت كيف، أنه كان يتحتم، إعادة صياغة معاني الجمل التي يتحدث بها الأصدقاء المسيحيون وفقًا للخلفية الهندوسية للغة الهندية. وكانت الكلمات المستعملة، الكلمات الوحيدة المتاحة عن الله، والخطية والخلاص، وهلم جرا، هي كلمات قد استمدت مدلولها الكامل من التقليد الديني الهندوسي. وقد اعتقدت أن موقفي يتطلب مني تصحيح ذلك الموقف. ولكني توصلت ببطء لإدراك أن إيماني المسيحي الخاص كان أيضًا يميل بشدة للتوفيق بين المعتقدات الدينية المختلفة. وقد جلست في العديد من المرات مع مجموعات من الرعاة والمبشرين الهنود لندرس معًا فقرة في الكتاب المقدس. وفي العديد من المرات كان تفسيرهم للنص، حسبما فهموه من خلال لغتهم، يدعوني للتشكك في تفسيري لهذا النص. ولم يكن من الواضح دائمًا أن تفسيري كان في حقيقة الأمر أكثر إخلاصًا للنص. وفي كثير من الأحيان اضطررت للاعتراف بأن قراءتي للنص، والتي كنت حتى ذلك الوقت اعتبرها شيئًا مسلمًا به، كان قد تشكل تمامًا وفقًا لتكويني العقلي فيما نطلق عليه وجهة النظر العلمية الحديثة. كانت عقيدتي المسيحية تميل للتوفيق بين المعتقدات المختلفة، وهكذا كانت عقيدتهم المسيحية أيضًا. ومع ذلك لم يستطع أي منا أن يكتشف ذلك لولا تحدي كل منا للآخر.... فنحن لا نرى عدسات نظاراتنا، ولكننا نرى من خلالها، وكنا بحاجة لشخص آخر يضطر ليقول لنا: «يا صديقي، أنت بحاجة إلى نظارة جديدة.»[٩]

فإذا استطاع نيوبيجين أن يكتشف تصحيحًا لتفسيراته للكتاب المقدس من مسيحيين هنود معاصرين، فكم بالأحرى يتوجب علينا أن ننظر بجدية إلى التعليقات والآراء الكتابية لمسيحيي الشرق الأوسط الأوائل (والمعاصرين) والذين يعيشون في مجتمعات أقرب إلى ثقافة العالم الذي عاش فيه

يسوع من كل من الهنود ومنا (العالم الغربي).

إذا رغبنا في التحرر من سجن ثقافتنا لنسمع الإنجيل كما سمعه المستمعون الأوائل إليه، فمن الواضح إننا يجب أن نتجه إلى الأسفار العبرية. ومخطوطات البحر الميت، والعديد من الوثائق اليهودية الأخرى التي كانت موجودة قبل وقت يسوع لنفهم ثقافة العالم الذي كان يعيش فيه.[١٠] ولكن المصادر الشرق أوسطية، والتي كتبت في القرون الأولى بعد وقت يسوع، ليست بمثل تلك الأهمية. إن تقليد معلمي اليهود أُنشئ ثم سُجِّل أخيرًا كم كبير من الأدب، الذي تم حفظه. وتعد المشنا والتمودين كنوزًا عظيمة تعكس الثقافة اليهودية التقليدية وبالتالي فإنها بحاجة للتأمل فيها، ومن الطبيعي، أن يكون المعلمون قبل وبعد وقت قصير من حياة المسيح على الأرض أهم تلك المصادر. ولكننا ما زلنا بداخل "الحافلة". نحن ما زلنا نغربل هذه المعلومات باستخدام معلوماتنا بحسب الوسط الذي نشأنا فيه. وبالاختصار، فنحن نحاول أن ندفع الحافلة التي نستقلها. فما الذي يجب عمله؟

بالإضافة إلى تلك الوثائق اليهودية الأولى ومن ورائها يوجد أدب الكنائس المسيحية الشرقية. ففي مجمع خلقدونية في ٤٥١م، حدث شقاق بين تقاليد الكنائس السامية في الشرق الأوسط والكنائس اليونانية واللاتينية. ومنذ ذلك الوقت، أصبح التواصل بين هذين الفرعين الكبيرين اللذين يمثلان جسد المسيح في أدنى مستوى له، وفي الشرق الأوسط، بعد ذلك التاريخ، أصبحت للكنائس القبطية الأرثوذكسية، والأرثوذكسية الخلقيدونية، والأرثوذكسية السريانية، والأرثوذكسية الأرمينية حياتها المستقلة، حيث كان لها طقوسها الخاصة، وترجماتها الخاصة للعهد الجديد، وعظاتها وتعليقاتها المستقلة، الخاصة بثقافة الشرق الأوسط. وبنوع خاص، فإن تعليقاته التي مازالت باقية، وترجماتها التفسيرية للعهد الجديد تقدم تحليلات هامة لفهم الأناجيل كوثائق شرقية. ومن المؤكد أنه يجب النظر إلى شهادتها للأناجيل نظرة جدية، على الرغم مما يتطلبه ذلك من جهد. ووفقًا لنصيحة نيوبيجين، التي أشرنا إليها من قبل، فنحن بحاجة إلى «شهادة أولئك الذين يقرأون الكتاب المقدس بعقول تشكلت وفقًا لثقافات أخرى.»[١١]

من المعروف أن الآباء اليونانيين يطلق عليهم لقب الآباء الغربيين، وقد تُرجمت كتبهم. ولكن ماذا بشأن الأدب المسيحي السامي المكتوب باللغات السريانية، والقبطية والعربية؟ في القرن العشرين، بدأت الدراسات المسيحية أخيرًا تنظر بجدية إلى الأدب المبكر للمجتمع اليهودي. ومن أعز أمنياتي أن تتاح للمسيحية الغربية في القرن الحادي والعشرين الفرصة لفحص الكنوز الكتابية للكنائس الشرقية. وهنا نتسائل ما هي هذه الكنوز على وجه الخصوص؟

هناك نوعان من المصادر في انتظارنا. الأول هو الترجمات (الطبعات) القبطية والسريانية والغربية للأناجيل. وقد تركت الكنيسة السريانية ثلاث ترجمات، وهناك ترجمتان قبطيتان رئيسيتان، وتوجد في اللغة العربية ما يقرب من خمسين ترجمة للأناجيل ما زالت باقية (مترجمة أساسًا من اليونانية والسريانية والقبطية). ما الذي يمكن حصاده من هذه الترجمات؟

الترجمة تعني التفسير. وليس هناك استثناء من هذه المعادلة. والترجمة عمل شاق لأن المترجم عليه أن يفهم النص الأصلي قبل أن يقرر بدقة كيفية توصيل معناه في اللغة الجديدة. كانت اللغتان اللتان استخدمهما يسوع أولًا هما الآرامية والعبرية. واللغة السريانية لغة شقيقة للآرامية، بينما اللغة العربية قريبة من الاثنتين. ولذلك، فعندما يترجم النص اليوناني إلى السريانية، أو القبطية أو العربية، فإن القصص التي يكون مصدرها بيئة سامية (semitic) تعاد إلى إحدى اللغات السامية. ويمكن أن نستشف معلومات عن العالم السامي الأصلي خلال هذه العملية. هل بذَّر الابن الضال ماله في الكورة البعيدة في "عيشة منحلة" (حياة لا أخلاقية، مثلًا)، أم أنه بذره في "عيش مسرف"؟ بالرجوع إلى كل الطبعات العربية واثنتين من الترجمات الثلاث للغة السريانية نجد القول "عيش مسرف". هل لذلك أهمية؟ هناك أهمية حقًا كما سنرى.

في مثل لعازر، يقول النص اليوناني إن لعازر "كان يُطْرح" (مبني للمجهول) عند باب الإنسان الغني كل يوم. وتترجم الـ RSV والـ NRSV النص هكذا "عند بابه كان يرقد رجل مسكين اسمه لعازر" (لو ١٦ : ٢٠). هناك تجاهل للمبني للمجهول. والفكرة الثقافية أن لعازر كان مريضًا جدًا لدرجة أنه كان لا يستطيع أن يمشي. ولأن المجتمع كان يكن له الاحترام، فقد كان يفعل كل ما يمكنه أن يفعله لأجله. فكان يحمل كل يوم إلى باب الإنسان الوحيد في المدينة الذي كان ثريا حتى يمكن أن يقدم له المساعدة. وفي كل ليلة كان أفراد من المجتمع يعودون به إلى ما يشبه الكوخ، حيث كانت عائلته أو أصدقاؤه يفعلون كل ما في مقدورهم أن يفعلوه لأجله. إن وجود المجتمع عنصر هام في القصة وهو عنصر غائب عندما يستخدم الفعل المشار إليه في المبني للمجهول. وكما ذكرنا من قبل، فإن طبعات الشرق الأوسط لم ترتكب هذا الخطأ. لقد استطاع يسوع بلمسات موجزة أن يسد الثغرات الموجودة في نسيج المثل الذي قاله.[١٢] يمكن للطبعات الشرقية أن تساعدنا لرؤية هذه الأجزاء الهامة، ولكنها الأجزاء المهملة في إطار الصورة العامة للأمثال. وقد ترجمت هذه الطبعات في إطار الصيغة الشرق أوسطية المقبولة».

وقد تم إهمال الطبعات العربية بنوع خاص. فقد حكم عليها نقاد النص بأنها «متأخرة»

(وهي كذلك فعلًا)، و«محرّفة»، بمعنى أن المترجمين يلجأون غالبًا إلى أسلوب طبعة كتاب الحياة (Living Bible) ويضيفون أجزاء من التعليقات أثناء الترجمة. وعندما يحدث هذا، تعتبر ترجمة ذات قيمة ضئيلة بالنسبة لنقاد النصوص الذين يحاولون أن يثبتوا الكلمات الأصلية في النص. ولكن إذا كان الهدف هو التوصل إلى العالم الكِتابي للمسيحيين الشرقيين ومعرفة كيفية فهمهم للقصة، فكما كثر ظهور مثل هذه الملاحظات التفسيرية، أصبحت الترجمة أكثر أهمية وفائدة. وعندما يحدث هذا، تصبح الطبعات الشرقية، في واقع الحال، تعليقات مصغّرة.

وبالإضافة إلى طبعات الكتاب، هناك المعلِّقون. ومن أهمهم هبة الله بن العسال، وهو عالِم العهد الجديد المسيحي المصري الذي عاش في القرن الثالث عشر. في العصور الوسطى، عندما كانت أنوار التعليم تخبو في أوروبا، وكانت الدراسة العربية الكلاسيكية تزدهر. كان هناك مستوى عال من الجهد الأكاديمي في كل الميادين من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر. وعلى الرغم أن الدراسات الإسلامية في تلك الفترة كانت مشهورة، إلا أن الدراسات المسيحية في نفس تلك القرون تكاد تكون مجهولة. كان هبة الله واحدًا من أولئك العلماء المسيحيين.

وبعد جمعه للأناجيل العربية المترجمة من اليونانية والسريانية والقبطية، بدأ يقارنها. وبعد اكتشافه أنها لم تكن متفقة، ابتكر سلسلة من الرموز التي مكنته من أن يبدأ بترجمته الجديدة إلى العربية ثم يضع قائمة بكل خيارات الترجمات الأخرى (وأصولها) في هوامش كتابة.

اكتملت الأناجيل الأربعة لهبة الله في سنة ١٢٥٢ وهي تحتوي علي أكثر من ١٠,٠٠٠ ملاحظة هامشية. كانت تحفته الفنية أول طبعة عالمية هامة للأربعة أناجيل وهي خلاصة وافية مذهلة توضح كيفية فهم الكنائس الشرقية لنص الأناجيل خلال تلك الفترة، وقد كان سابقًا لعصره بعدّة قرون.[١٣]

ومن بين مؤلفي التعليقات الرسمية، تبرز ثلاثة أسماء من الماضي البعيد وواحد في القرن العشرين. أقدمها التعليق الذي لا يزال موجودًا حتى الآن للعالم السوري الأرثوذكسي والأسقف، موسى باركيفا، الذي ولد في سنة ٨١٣ م في المنطقة التي يطلق عليها العراق الآن وعاش حتى سنة ٩٠٣ م. ومازالت تعليقاته على إنجيل لوقا وإنجيل متى باقية حتى الآن. وقد ترجم كتابه عن لوقا بعد طول انتظار من السريانية إلى العربية والإنجليزية على يد الدكتور عبد المسيح سعدي الذي سمح لي بأريحيته بالحصول على نسخة من مخطوطته.[١٤] والتعليق على الأربعة أناجيل تعلم عبد الله بن الطيب من القرن الحادي

عشر، من تكريت في العراق، تعليق واف، وقد امتد تأثيره إلى كل الكنائس الشرقية[١٥]. وجاء بعده بقرنين من الزمان في التقليد التفسيري الأرثوذكسي السوري ديونسيوس بن الصليبي. وفي منتصف القرن العشرين، نشر القس إبراهيم سعيد، العالم البروتستانتي في القاهرة بمصر، تعليقا رائعًا باللغة العربية على إنجيل لوقا. وقد اعتمد القس إبراهيم سعيد على تفكيره الخاص في إطار تراثه الشرق أوسطي دون محاكاة للمعلقين الغربيين. ويعد كتابه جنة مليئة بالمباهج وهو ذو أهمية خاصة بالنسبة لموضوعنا. ومع ذلك يظل السؤال باقيًا: هل هذه المصادر تعد أحدث من أن تساعدنا في دراسة النصوص في القرن الأول الميلادي؟

لقد كانت قرون الانفصال بين المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية مأساة كبرى، وما زالت الفجوة الكبرى قائمة. ويمكن مقارنة أقوال يسوع بينبوع فوق جبل ينحدر إلى أسفل نحو جانبين متباعدين من هذا الجبل. إن الجانب الغربي معروف لنا. ولكن ماذا عن الجانب الشرقي؟ لقد نشأت الأناجيل في ذلك العالم الشرقي والذي انفصلنا عنه منذ ٤٥١م. ولا شك أن المسيحية الغربية تمثل الجانب الأضعف إذا فشلت في بذل كل جهودها لاستعادة الوسائل التي فهم بها التقليد المسيحي السامي الشرقي نصوص العهد الجديد. ومن الطبيعي، أن نكون متحمسين لأقدم المصادر المتاحة. ولكن أي شيء ذو قيمة على الجانب الآخر من الجبل سيكون مفيدًا. إن مثل هؤلاء المسيحيين "خارج الحافلة التي نستقلها". وإذا كان نيوبيجين يستطيع أن يكتشف العيوب في مفاهيمه للكتاب المقدس والتي تشكلت وفق ثقافته بالحديث مع يهود القرن العشرين، فكم يكون التقليد الكتابي المسيحي الشرق أوسطي ذا قيمة أكبر؟

وأخيرًا، هناك احتمال الحصول على الأفكار النيرة من ثقافة الشرق الأوسط التقليدية المحافظة الباقية حتى الآن. قال أرشميدس إنه إذا أعطى نقطة ارتكاز. ومكانًا ليقف عليه خارج الكرة الأرضية فبإمكانه أن يحرك العالم. لقد كان محقًا، ولكن لم يستطع أحد أن يعطيه مكانًا ليقف عليه أو مكانًا ليضع فيه نقطة ارتكازه بعيدًا عن سطح الأرض. إن ثقافة الشرق الأوسط التقليدية تقدم مكانًا لكل المسيحيين من خارج الشرق الأوسط ليقفوا فوقه عند التأمل في الأناجيل. إن الإجابات القاطعة على الأسئلة الثقافية لا يمكن التوصل إليها عن طريق الثقافة التقليدية المعاصرة للشرق الأوسط. بل إن تلك الثقافة تبرز أسئلة جديدة وهامة نتجنبها ونحن في حالة من التردد والحيرة. إنها أيضًا خارج حافلتنا ولا يفيدنا أن نقول في مرح "إن الثقافة التقليدية الشرق أوسطية قد تغيرت عبر السنين ولذلك فهي ذات قيمة ضئيلة كوسيلة لفهم ثقافة يسوع"، هذا صحيح ولكن، هل يجب أن ننكفئ على ثقافتنا؟

وفقًا لنيوبيجين، لا يستطيع أحد منا أن يدعي أنه عين بلا جسد ينظر إلى العالم أسفله من على بُعد ١٠٠,٠٠٠ ميل في الفضاء.

وبالإجمال، فإن الهدف من هذه الدراسة أن نفحص كل ما يُتاح لنا من أدب الشرق الأوسط الملائم لموضوعنا ويتميز بأنه أقرب ما يكون للعهد الجديد. إن المكان الثقافي الذي نقف عليه خلال هذا البحث سوف يكون الحياة التقليدية في الشرق الأوسط وليس حياتنا الخاصة.

# هوامش الفصل الثالث

1. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, pp. 53-54.

2. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, p. 54.

3. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, pp. 8-9.

4. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, p. 35.

5. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, p. 192.

6. In a recent book, *Prodigality, Liberality and Meanness in the parable of the Prodigal Son. A Gerco-Roman Perspective on Luke 15: 11- 32.* David Holgate Points of Greco-Roman themes in the parable. These parallels make clear how a Greco-Roman mind, trained in moral philosophy, could well have understood the parable. It does not help us understand how the audience of pharisees and scribes would have reacted to that same parable.

7. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, pp. 196-97.

8. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, p 192.

9. L. Newbigin, *A Word in Season*, pp. 68-69.

10. Cf. the work of the distinguished Israeli New Testament specialist David Flusser. Particularly significant are *Judaism and the Origins of Christianity and Jesus.*

11. L. Newbigin, *The Gospel in a pluralist Society*, pp. 196-97.

12. Seeing beggars outside of mosques, churches and rich men's homes in the traditional Middle East alerts the mind to look for the same fine tuning in the text of the parable.

13. The Present writer is part of a team endeavoring to publish this overlooked work. As the

world's first critical edition of the Gospels, it is centuries earlier than similar efforts in Europe.

14. The only complete Syriac text of the commentary on Luke by Musa bar Kepha is a microfilm held in the Syrac Institute for Manuscript Studies at the Lutheran School of Theology, Chicago, Illinois. Its shelf number is Mardin 102. Dr. "Abd al-Masih Saadi is the director of that institute.

15. This work was translated from Syriac into Arabic in the eighteenth century. The Arabic was first Published in Cario in 1908 by Yousif Manqariyus.

## الفصل الرابع

# مَثَل الابن الضال «وقصة الرحيل» في إنجيل لوقا

في لوقا ٩ : ٥١ نجد القول «(يسوع) ثبَّت وجهه لينطلق إلى أورشليم» (NIV) وقرب نهاية لوقا ١٩ نجد أن يسوع وصل إلى أورشليم. وقد تم التنويه كثيرًا إلى أن هذا الجزء المحوري من إنجيل لوقا عبارة عن مجموعة خاصة، يشار إليها عادة "بقصة الرحيل". ومعظمها غير موجود في إنجيل مرقس، بينما يذكر متى ما يقرب من نصفها.

ليس هناك ترتيب جغرافي واضح لقصة الرحيل هذه. في لوقا ١٩ يبدأ يسوع الرحلة نحو أورشليم، ولكن في لوقا ١٠ نجده في بيت مريم ومرثا على جبل الزيتون. وبعد ثلاثة إصحاحات، في لوقا ١٣: ٢٢، نجده «ينطلق نحو أورشليم». وبعد ذلك بوقت قصير في لوقا ١٣: ٣٤-٣٥، نجده يبكي على أورشليم.

والأدب المتعلق بما يدعي قصة الرحيل هذه كثير جدًا، ولا يجب أن يعوقنا. ولكنه يحثنا على أن نتوقف ونلاحظ عددًا قليلًا من الخصائص المميزة لهذا الجزء من إنجيل لوقا وأن نلاحظ وضع لوقا ١٥ في إطار المجموعة الأشمل.

إن دراستي الخاصة لهذا الجزء الخاص من إنجيل لوقا قد أسفرت عن وجود ترتيب للموضوعات وليس ترتيبًا زمنيًا للأحداث. هناك تقديم لعشرة موضوعات يعقبها نفس القائمة متكررة في وضع معكوس.[1] ويشار عادة لهذا الترتيب من المادة باسم التصالب أو التقاطع، ولكني أفضِّل أن أدعوه بالتوازي المعكوس. ويشتهر كلٌ من الأدب اليوناني الدنيوي والأسفار العبرية المقدسة بهذا النوع من البلاغة. ولذلك، فإن كلًا من القراء اليونانيين واليهود لإنجيل لوقا كان في مقدورهم متابعة الفكرة العامة لهذا الإنجيل. ويمكن رؤية ترتيب الموضوعات في شكل[1].

وما يقرب من ٥ ٪ من الأعداد في هذه الأصحاحات لا تتفق مع الإطار العام السابق. ومن الواضح أن المجموعة الأولى قد تم تجميعها، وفي مرحلة لاحقة أُضيفت عدة أقوال أخرى. وبدلًا من أن ندعوها

«قصة الرحيل»، هناك اسم أنسب هو «وثيقة أورشليم» وتتضمن الملامح البارزة في الوثيقة النقاط التالية:

(أ) مدينة أورشليم بارزة وتظهر في البداية، والوسط والنهاية (وهو أحد الملامح التي تميز هذا الأسلوب البلاغي)[٢]

(ب) يحدث البكاء على أورشليم في منتصف «وثيقة أورشليم»، والبكاء الثاني يحدث في النهاية.

(جـ) التوازيات العبرية في المادة لم تُمس. ففي إنجيل متى عندما تتكرر نفس المادة، نجد أنها أغلب الأحيان تطرح بتوسع واستفاضة، مما يدل على أن طبعة إنجيل لوقا هي الأقدم.

(د) الكلمات الدالة على الأوزان والمقاسات كلمات عبرية في أغلب الأحيان ومكتوبة بحروف يونانية (هي كلمات مكتوبة بحروف لغة أخرى وليست مترجمة).

(هـ) في بعض الأحيان يكون تهجئة كلمة "أورشليم" الكلمة العبرية مكتوبة بحروف يونانية بدلًا من الأحرف اليونانية لاسم المدينة.

(و) الاستخدام المفرط للأساليب العبرية، والتي نراها في الكتابة الكلاسيكية للأنبياء، تظهر بنوع خاص في سفر إشعياء.

هذه الملامح تؤيد الاستنتاج بأن الوثيقة يهودية وترجع لوقت مبكر، ويمكن أن تكون قد تُرجمت من قبل «المعاينين وخدام الكلمة» (لو ١ : ٢) الذين سبق الإشارة إليهم في الفصل الثاني. وبسبب بروز أورشليم في الوثيقة، فمن المرجح أن يكون مقرهم في أورشليم.

ربما تكون الوثيقة قد أعطيت للوقا كمجموعة كاملة ــ وبالتالي فهي نتاج واحد أو أكثر من «الكثيرين» الذين قد أخذوا بتأليف قصة» الذين يذكرهم في مقدمته للإنجيل. إن لوقا ينقح اللغة ويضيف القليل من المقتطفات القصيرة من التقليد ولكنه يترك الوثيقة أساسًا كما هي. وتتضمن المادة ثلاثة أمثلة عن البحث عن الضال أو الشيء المفقود.

## مثل الابن الضال و «قصة الرحيل» في لوقا

١ – أورشليم (أحداث الخلاص) (٩ : ٥١–٥٦)

٢ – اتبعني (٩ : ٥٧–١٠ : ١٢)

٣ – ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية؟ (١٠ : ٢٥–٤١)

٤ – الصلاة (١١ : ١–١٣)

٥ – المعجزات وملكوت الله الحالي (١١ : ١٤–٣٢)

٦ – الصراع مع الفريسيين : المال (١١ : ٣٧–١٢ : ٣٤)

٧ – ليس الملكوت بعد وهو الآن.

٨ – دعوة الملكوت هي إلى إسرائيل (١٣ : ١–٩)

٩ – طبيعة الملكوت (١٣ : ١٠–٢٠)

١٠ – أورشليم (أحداث الخلاص) (١٣ : ٢٢–٣٥)

٩ – طبيعة الملكوت (١٤ : ١–١١)

٨ – دعوة الملكوت إلى المنبوذين وإلى إسرائيل (١٤ : ١٢–١٥ : ٣٢)

٧ – الملكوت الآن (١٦ : ١–٨)

٦ – الصراع مع الفريسيين: المال (١٦ : ٩–٣١)

٥ – المعجزات والملكوت الآتي (١٧ : ١١–٣٧)

٤ – الصلاة (١٨ : ١–١٤)

٣ – ماذا أفعل لأرث الحياة الأبدية؟ (١٨ : ١٨–٣٠)

٢ – اتبعني (١٨ : ٣٥–١٩ : ٩)

١ – أورشليم (أحداث الخلاص) (١٩ : ١٠–٤٨)

**شكل توضيحي رقم (١) ترتيب موضوعات «قصة الرحيل»**

ما الذي يمكن أن يستفاد بملاحظة أن هذه جملة موضوعات من المحتمل أن تكون قد جُمعت قبل لوقا وهي تحمل الإطار العام للخطة المقترحة سابقًا؟

النصف الأول من الخطة الكلية الشاملة المقترحة وقد تم اختصارها لذكر الهيكل العام فقط.

- أورشليم – الخلاص.
- اتبعني
- ماذا ينبغي أن أعمل؟
- الصلاة هامة
- إجراء الآيات والمعجزات
- سوف يكون هناك صراع مع البعض
- الملكوت قد جاء وسوف يأتي
- دعوى إسرائيل
- طبيعة الملكوت
- أورشليم – الخلاص

كما ذكرنا، فإن هذه القائمة من الموضوعات تتكرر في ترتيب معكوس. وتلخص القائمة أنواع الأفكار التي كانت بارزة بشكل طبيعي في تعاليم يسوع وهو يقترب من الصليب، كما أنها هامة للكنيسة التي أعلنت عن شخصه ورسالته. وبعد القيامة، رغبت جماعة الرسل أن تقدم يسوع، مسيا إسرائيل، *للمجتمع اليهودي*. إن مجموعة من الأقوال والأحداث من حياة يسوع، والتي تسلط الضوء على الموضوعات السابقة، كان من الممكن أن تكون ذات فائدة كبرى لإنجاح هذا الجهد. ولذلك، فإن هذه المجموعة التي تسلط الضوء علي تعاليم يسوع الهامة وهو يقترب من الصليب، ربما تكون قد جمعت لتقديم شخصه ورسالته إلى المجتمع اليهودي. وعندما سُئلت الكنيسة هذا السؤال: "من هو يسوع هذا وما هي رسالته؟" كان من الممكن"لوثيقة أورشليم" أن تقدم الإجابات، ويعد هذا من الأسباب المحتملة لجمع هذه المادة.

يظهر لوقا ١٥ في النصف الثاني من الوثيقة. في مرات كثيرة في الكتاب المقدس عندما تُقدم الموضوعات متعاقبة ثم تتكرر بطريقة معكوسة، فإن التقديم الثاني لنفس تلك الموضوعات يكمل ما لم يرد في التقديم الأول. ولذلك، فمن الأهمية بمكان مراجعة ما يُقال بعناية في الموضع الصحيح في القائمة الأولى قبل النظر لرؤية ما يضاف في التكرار المعكوس. وفي أغلب الأحيان يكون الاثنان وجهين لعملة واحدة. وعند تطبيق هذا المبدأ على المادة المراد دراستها، يمكن ملاحظة اتجاهين لموضوع واحد.

في القائمة الأولى من الموضوعات الرئيسية هناك دعوة صريحة لإسرائيل للتوبة. وعند الاتجاه للنصف الثاني، نجد أن الدعوة موجهة لكل من إسرائيل والمساكين أو المنبوذين، يمكن أن نرى في شكل رقم [٢] هيكل الدعوات الموجهة لإسرائيل والمساكين أو المنبوذين.

| النصف الأول | النصف الثاني |
|---|---|
| ٢-اتبعني | ٢- اتبعني |
| مجيء الناس ليسوع | مجيء الإنسان الأعمى (مسكين) |
| إرسالية السبعين رسولًا | زكا (منبوذ) |
| ٨-الدعوة لإسرائيل | ٨-الدعوة لإسرائيل والمساكين أو المنبوذين |
| التوبة أو الهلاك | المساكين والمنبوذين في الوليمة |
| شجرة التين | الخروف الضال، والدرهم المفقود والابن الضال |

**شكل توضيحي رقم (٢) دعوة يسوع في اتجاهين**

من الواضح، أن الموضوع الرئيسي للإنجيل لإسرائيل وللمساكين والمنبوذين مقدم في النصف الثاني من الخطة كما ذكرنا سابقًا. يكتشف القارئ أولًا أن يسوع قد جاء لإسرائيل ثم يكتشف أن كلًا من إسرائيل والمساكين المنبوذين داخل المجتمع الإسرائيلي (الإنسان الأعمى، زكا، المجموعة الثانية من

المدعوين إلى الوليمة، الابن الضال وحتى أولئك المدعوين من الطرق والسياجات) مدعوون ومرحب بهم. وبنفس الطريقة فإن الأمثلة الثلاثة في لوقا ١٥ لها دور بارز، في أسلوب قصصي، في تعريف طبيعة الخلاص الذي أكمل في أورشليم.

وبالإيجاز، فإن لوقا ١٥ يقدم أمثلة محورية بالنسبة للفكر اللاهوتي ليسوع ولتقديم الإنجيل من قبل المجتمع الرسولي لبني وطنهم من اليهود. ربما حصل لوقا على هذه الوثيقة الموضوعة ببراعة وأضاف إليها قدرًا ضئيلًا من المادة الجديدة قبل إدراج الناتج في إنجيله. لا شك أنه صقل اللغة اليونانية المستعملة، وأدخل المادة بإدراجها في إنجيله.

لن يكون ممكنًا أن نتبين على وجه التحديد الكلمات التي نطق بها يسوع ونفصلها عن تلك التي أضافها الرواة، والذين سجلوا التقليد بالإضافة إلى الصقل اللغوي الذي قام به لوقا. ولا حاجة بنا أن نفعل ذلك. يحتوي النص على القصص التي رواها يسوع وتلك التي قيلت عنه وقد تم إثراؤها بتفسير شخص موثوق به ومطلع على بواطن الأمور ونحن نقتبس في هذا تعليق هولتجرين (Hultgren) المناسب. «**هدفنا تفسير المثل في الإطار القانوني له**»[٣]

بعد أن تأملنا في إيجاز في الخلفية المحتملة لأصحاح ١٥ من إنجيل لوقا في إنجيل لوقا ككل، نتجه الآن إلى السؤال عن "الواحد والكثيرين" في تفسير الأمثال.

# هوامش الفصل الرابع

1. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 79- 85.

2. Cf. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 44- 74; cf. also K. E. Bailey, "Recovering," pp. 265-96. In the 1 Corinthians passage discussed in these articles (1 Cor 1: 17- 2:2), the theme of the cross appears at the beginning, the middle and the end of a hymn on the cross.

3. A. J. Hultgren, *The Parables of Jesus*, p. 85.

## الفصل الخامس

# الواحد والكثيرون في تفسير الأمثال

في البداية يتم تأليف قصة ثم يقوم شخص ما بروايتها في مكان وزمان معينين.

فإذا كانت القصة جيدة، وإذا كان المستمعون لمّاحون وأقوياء الملاحظة، يكون هدف الراوي واضحًا. نحن نعرف مما جاء في ٢ صموئيل ١١ : ١-١٢: ١٤ أن الملك داود سرق زوجة جاره ثم دبَّر قتل زوجها في إحدى المعارك. ونتيجة لذلك، ألف ناثان النبي قصة وأخبرها لداود. تحكي القصة عن إنسان غني كان له الكثير من الغنم وعن إنسان فقير يسكن بجواره لم يكن لديه سوى نعجة واحدة. فجاء ضيف إلى الرجل الغني، فأخذ نعجة الرجل الفقير وجهز وليمة للضيف. وطلب ناثان رأي الملك العظيم داود بشأن ذلك الرجل الغني. فأعلن داود أن الرجل ينبغي أن يُقتل. فأجاب ناثان في غضب: «أنت هو الرجل» (٢ صم ١٢ : ٧). فهم داود الرسالة وتاب. ويُعدُّ مزمور (٥١) سجلًا لهذه التوبة.

ولكن هناك مشكلة. فأنا لست الملك دواد. إني أعيش بعده بـ ٣٠٠٠ سنة ولم أسرق زوجة جاري ولا دبرت قتل زوجها. إذن ما الذي تقوله لي هذه القصة؟ أم أنها مجرد قصة غريبة من مكان بعيد جدًا؟

ليست هذه مشكلة يسهل حلها. وإحدى الحلول محاولة الخروج بدرس أخلاقي، أي، إلقاء نظرة على أخلاقيات الأشخاص الذين في القصة وتقرير ما إذا كانوا جديرين بالمديح أو بتوجيه اللوم وبذلك نخرج بدرس مستفاد لعصرنا. ومثل هذه الطريقة تؤكد أن الهدف من القصة هو: "ابتعد عن الشهوة" و «لا تسرق زوجة جارك» من المسلم به، أن تصرف داود غير مقبول بأي مقياس أخلاقي. ولكن هل هذا كل شيء؟ لقد ظلت كل من الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية تستنبط الدروس الأخلاقية من أمثال الكتاب المقدس. أي، أنها ألحقت معاني رمزية بأناس عديدين، والأشياء والأفعال التي في القصة دون الإشارة للخلفية الأصلية وبهذه الطريقة استخرجت المعنى الذي ينطبق على كل عصر.[1] ومشكلة هذه الطريقة أنها أوجدت طريقة للتفسير تصلح لكل شيء. ظل الناس لمئات السنين يجدون كل المعاني المحتملة في

الأمثال التي قالها ناثان ويسوع أو بولس والتي لم تخطر على بال أي منهم.

من المسلَّم به، أن القصص تحتوي على رموز أي لافتات أخلاقية. في مثل ناثان يمثل الإنسان الغني داود بينما يمثل الإنسان الفقير أوريا الحثي والنعجة تمثل بتشبع. وتظل القصة بلا معنى إطلاقًا ما لم يستطع القارئ أن يفهم هذه الدلالات الرمزية. ولو لم يتوصل داود لفهم هذه الروابط بالبديهة لما اتجه نحو التوبة. ولكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: «إن النعجة ذُبِحت وبذلك فهي ترمز للمسيح»، فهذا يعني أن نقدم فكرة بعيدة تمامًا عن قصد ناثان، ومن المستحيل أن يتوصل لها داود. إن تاريخ تفسير الأمثال الكتابية مليئ بالتفسيرات المتكلفة البعيدة الاحتمال من هذا النوع. وبالنسبة للقراء، فما هي الخيارات الأخرى المتاحة؟

في أواخر القرن التاسع عشر كتب عالم ألماني يدعي «أدولف جولتخر» كتابين يوثقان الفوضى الشاملة التي تثيرها هذه الطريقة في التفسير الرمزي.[٢] وتمكن من إضعاف الثقة بهذه الطريقة مرة وإلى الأبد بالنسبة للمفسرين الجادين للأمثال. قدم جولتخر البديل، ألا وهو أن «لكل مثل هدف واحد». ومع أنه قد أثَّر على الكثيرين في القرن العشرين، إلا أن هناك مشكلتين تواجهان ملاحظاته.

أولًا، القصص الكتابية ليست شبيهة بقشرة البرتقالة. فقشرة البرتقالة تصلح فقط للحفاظ على الثمرة حتى تنضج. ويتم إلقاء القشرة بعد تقشير البرتقالة أو عصرها. ما بداخل البرتقالة هو المهم. ونفس الشيء ينطبق علي البيض أو قشر البيض. ولكن الأمثلة الكتابية ليست كذلك. فالقصة الكتابية ليست مجرد مستودعًا للفكرة. ولكن القصة تخلق عالمًا وتدعو المستمع لكي يعيش فيه، وأن يعتبر نفسه جزءًا من هذا العالم. تدعو القصص الكتابية القارئ أن يقبلها كما لو كانت قصته الخاصة. وبقراءة ودراسة الكتاب المقدس، فإن القصص القديمة لا تفحص فقط من أجل استخراج المبدأ اللاهوتي أو النموذج الأخلاقي. ولكن الكتاب المقدس يقرأ لإعادة اكتشاف حقيقتنا وما الذي يجب أن نؤوِّل إليه، لأن القصة الكتابية عن الخطية والخلاص، والناموس والنعمة، هي قصتنا.

عندما يكتب بولس إلي أهل كورنثوس، فهو يخاطب بوضوح «اليهود واليونانيين» وهي حقيقة يذكرها مرارًا وتكرارًا. ومع ذلك فهو يقول أيضًا «إن آباءنا كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر» (١كو ١٠ : ١). ومع ذلك يقول في نفس الرسالة، وهو يكتب لجمهور مختلط من اليهود المسيحيين واليونانيين «كنتم أممًا منقادين إلى الأوثان» (١كو ١٢ : ٢)، وفي رومية ١١ : ١٣-٢٤ يتحدث عن

المؤمنين من الأمم بأنهم طُعِّموا في الزيتونة. والزيتونة التي يتحدث عنها هي إسرائيل. وبالاختصار، فالمؤمنون الجدد من الأمم، من الناحية اللاهوتية قد انضموا إلى إسرائيل، ولذلك فإن قصة شعب إسرائيل أصبحت قصتهم. وبنفس الطريقة تدعونا الأمثال لكي «نتعايش معهم»... فالمفروض أن تكون وجهة نظرهم الكلية هي وجهة نظرنا. وكقراء، فنحن عائلة تتكون من إخوة فيها الأكبر والأصغر ولنا أب عطوف على استعداد لدفع ثمن باهظ ليأتي إلينا ويصالحنا لنفسه. المثل تصوير للحقيقة التي يطلب منا أن نتعايش معها. إذن، هل تحتوي القصة على «أفكار»؟

في حقيقة الأمر، إنها كذلك، وهنا نقطة الضعف الثانية (جلوتخر). فإذا اعتمدنا على فرضية أن الأمثال كانت مجرد إيضاحات مبسَّطة لفكرة ما، أصر جلوتخر على أن لكل مثل فكرة واحدة فقط. وهدفه أن يدق إسفينا في الطريقة الرمزية، وسلاحه المختار هو الإصرار على أن لكل فكرة مثلًا واحدًا فقط. قبل بعض المفسرين هذا المبدأ أما الآخرون، الذين ربما لم يقرأوا أو يسمعوا عن جلوتخر ما زالوا متأثرين به ويتبعون فكرة أن «لكل مثل هدف واحد». ومع ذلك، فمنذ عصر جلوتخر اكتشف كثيرون أن وجهة نظره غير كافية. وإذا دعينا، كقراء، أن نتعايش مع مثل، يمكن تشبيه المثل بمنزل له العديد من الحجرات. فإذا عاش شخص ما في هذا البيت، فالمعتاد أن يكون للبيت نوافذ، وأبواب، ومطبخ وحجرة معيشة. وللبيت أقسام عديدة، والحياة بداخل ذلك المبنى تكون مختلة بدونها. أو ربما يكون بيتًا بسيطًا به حجرة واحدة فقط وباب واحد. ومع التسليم مسبقًا بأن المثل يحتوي على أفكار، فمن الواضح أنه من باب الجزم بلا بينة أو دليل والتقييد الزائد عن الحد أن نصر على أنه لكل مثل فكرة واحدة. إن جلوتخر (والذين تبعوه) اعتقدوا بأن التسليم بأكثر من فكرة واحدة يعني البدء في الاتجاه نحو منحدر زلق غامض يقود إلى تجديد الرموز واستنتاجات غير مسئولة ولكن هو الحال هكذا بالفعل؟

ما جاء في يوحنا ٣ : ١٦ كعدد كتابي يعد وحدة مكونة من أجزاء. يتحدث العدد عن محبة الله، وشخص المسيح، والعالم المحتاج، والإيمان، وبذل النفس، والهلاك والحياة الأبدية. ما الذي يمكن أن يحدث لو أصر المفسر على أن يوحنا ٣ : ١٦ يحتوي على فكرة لاهوتية واحدة فقط؟ ولمحاولة تطبيق ذلك المبدأ على يوحنا ٣: ١٦، يكون من الضروري أن نختار واحدًا من المعاني السابقة والتظاهر بأن المعاني الأخرى غير موجودة. وبنفس الطريقة، فإن محاولة اختيار معنى واحد من مثل الابن الضال سوف يقود المفسر على تجاهل قدر كبير من المحتوى اللاهوتي للقصة. يتحدث المثل عن الغرور، والضلال، والعلاقات المحطمة، والتوبة الزائفة، والمحبة الثمينة المضحية، والفرح، والرفض، والبنوية، وأبوة الله وقبول الابن

الراجع كضال قد وجد.

هل يتحتم علينا أن نمحو كل البنود الموجودة في القائمة السابقة ما عدا واحد فقط؟ وكيف يتسنى لنا اختيار البنود التي يمكن أن نستفيد منها؟ قال بعضهم إن هناك «ثلاث شخصيات رئيسية ولذلك يوجد ثلاثة موضوعات لاهوتية في القصة.» ولكن القائمة المذكورة سابقًا تحتوي على أكثر من ثلاثة موضوعات. فأيها يمكن تجاهله ولماذا؟ من الواضح، أنه مع وجود عدد كبير من الأمثلة فمثل هذه الطريقة لا تصلح. إذن فما الذي يمكن عمله؟

صحيح أن المثل يدعو القارئ / المستمع للتعايش مع الخلفية الموجودة في المثل. ولكن تلك الخلفية يمكن أن تحتوي على عدد من العناصر. فللقصة غالبًا رموز، ولكن يجب الاعتداد فقط بالرموز التي قصدها الراوي الأصلي للقصة. ونفس فرح المعيشة في عالم المثل مرتبط بالأقسام العديدة من البيت الذي يطلب من القارئ أن يجعله خالصًا له. وأنا أدعو هذه الأقسام «مجموعة العقائد اللاهوتية». ليس هناك ما يدعو للقلق بشأن مثل يحتوي على فكرة واحدة (وقد يحدث ذلك في بعض الأحيان) أو فكرة رئيسية مرتبطة بعدد من الأفكار الثانوية (وقد يحدث ذلك أحيانًا) أو عدد من الأفكار التي تبدو جميعها على نفس القدر من الأهمية. العنصر اللاهوتي الوحيد الذي يجب اعتباره قانونيًا في المثل هو ذلك العنصر الذي قصده الراوي الأصلي للقصة وكان متاحًا لجمهور السامعين الأصليين. علينا أن نبذل كل ما في وسعنا لندخل إلى عالم راوي القصة. وبذلك، سوف نستمع إلى يسوع وهو يخاطب يهود القرن الأول الذين كانوا خطاة في حاجة إلى النعمة. إن يسوع يتحدث إلى الجنس البشري. وعلى القارئ أن يرجع إلى الوراء إلى مكان وزمان الجمهور الذي كان يستمع إلى يسوع وبعد التركيز فقط على ما كان يسوع يقوله لذلك الجمهور يمكن أن يكتشف معنى كلماته للناس في كل عصر وجيل وفي أي مكان آخر.

عندما نضع ذلك أمام أعيننا، تكون أمامنا مهمة مزدوجة. أولًا أن أمثال لوقا الثلاثة في أصحاح ١٥ بحاجة لأن تُفحص بإيجاز كوحدة واحدة. إن هذا المستوى من النص كان متاحًا لكل مستمعي يسوع. ثانيًا، بوضع ذلك المفهوم كأساس، يمكن عندئذ أن نستمع إلى ما يسمعه الكتبة المتعلمون والفريسيون عند مقارنتهم لأوجه الشبه بين قصة يعقوب ومثل الابن الضال.

# هوامش الفصل الخامس

1. The well-known English language classic *Pilgrim's Progress* by John Bunyan is an example of this style of writing. Allegories are presented on alomst every page.

2. A. Julicher, *Die Gleichnisreden Jesu.*

# ثانيًا: مَثَل الابن الضال في لوقا ١٥

## مقارنـة بقصـة يـعقـوب

## في سفر التكوين

## ٢٧ – ٣٥

## الخلفية في لوقا ١٥



## الفصل السادس

# ثلاث قصص... مَثَل واحد

## رؤية القصص الثلاث من لوقا ١٥ كوحدة واحدة

يحتوي الأصحاح الخامس عشر من لوقا على ثلاث قصص متشابهة أبطالها الراعي الصالح، والمرأة الصالحة والأب الصالح. إن اختيار هذه الرموز المجازية الثلاثة لا يمكن إلا أن يكون عن عمد. وفي رأيي أن كل الرموز الثلاثة تمثل الله، وتدور كلها حول يسوع. والسؤال الأول الذي يجب مواجهته فيما يختص بهذه الثلاثية هو: ما السبب في اختيار هذه الرموز المجازية الثلاثة؟

أول الشخصيات الثلاث ظهورًا على المسرح هو الراعي الصالح. وكما سنرى فيما بعد، فإن مثل الراعي الصالح (كما يظهر في لوقا ١٥) من الطبيعي أن يستحضر مزمور ٢٣ بالنسبة لأي يهودي متعلم في القرن الأول للميلاد. ويبدأ هذا المزمور بالتأكيد المألوف «الرب راعي» [١] مع وجود مزمور ٢٣ في خلفية ذهن يسوع. (كما في خلفية أذهان جمهوره الذي يستمع إليه) يجب أن يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال: ما هي الصور التشبيهية الرئيسية عن الله في سفر المزامير والتي استمد منها يسوع هذه الاستعارة؟

إن الاستعارات المذكورة عن الله في سفر المزامير يمكن تقسيمها بسهولة إلى نوعين. الأولى تدخل في نطاق الجماد، وهي تشتمل على عبارات مثل: الرب صخرتي/ صخرتنا، حصن، برج، ملجأ وترس. كل هذه التشبيهات لها علاقة بالأمان في وجه الخطر. والنوع الثاني يجسد شخص الله باستحضار التشبيهات البشرية. وأشهرها «الرب ملك». ومن الطبيعي، أن الملك شخص قوي، يقدم الأمان أيضًا، مثل التشبيهات الأخرى كالصخر والحصن والبرج.

ولكن هناك تيار ضئيل من الاستعارات عن الله تشمل أناسًا ليسوا مثل الرب (في إشعياء ٦ : ١)

العالي والمرتفع، والجالس على كرسي عال والذي يفصله عن العابد بعدًا هائلًا. هناك ثلاث استعارات فقط تكوِّن هذا التيار وكل منها يستحق التأمل.

## ثلاث استعارات شخصية عن الله

الاستعارات الشخصية الرقيقة عن الله في سفر المزامير هي: الراعي، والأم، والأب وهذه الاستعارات نادرة ومناسبة لموضوعنا.

١- الله الراعي الصالح. مزمور ٢٣ يمثل النقطة الأساسية الواضحة في تأمل المرنم عن الله الراعي الصالح وسوف نلقي عليه الضوء فيما بعد. وبالإضافة إلى ذلك، تظهر السطور الآتية:

«يا راعي إسرائيل أصغ،

يا قائد يوسف كالضأن!

يا الله أرجعنا،

وأنر بوجهك فنخلص».

فعلى خلاف الملك المتباعد بالضرورة عن عامة الشعب، فإن الراعي يقود قطيعه شخصيًا لترعى في كل الأجواء ويهتم بكل خروف وشاه. يذكر مزمور ٢٣ بنوع خاص الطعام، والشراب والأمان. وهنا في مزمور ٨٠ يُضاف الخلاص إلى القائمة. وبما أن مزمور ٢٣ يحظى بشهرة واسعة في العقيدتين اليهودية والمسيحية، فمن المدهش أن نجد رمز الله، الراعي الصالح، نادرًا ما يستخدم في سفر المزامير. ولكن هذا هو الحال.

٢- الله كأب. هناك نصان يُستخدمان هذه الاستعارة. يقول النص الأول:

«أبو اليتامى وقاضي الأرامل

الله في مسكن قدسه

الله مسكن المتوحدين في بيت،

مخرج الأسرى إلى فلاح» (مز ٦٨ : ٥-٦).

والنص الثاني يؤكد قائلًا:

«كما يترأف الأب على البنين،

يترأف الرب على خائفيه.

لأنه يعرف جبلتنا

يذكر أننا تراب نحن» (مز ١٠٣ : ١٣-١٤).

كما في الأسفار العبرية، هكذا الحال هنا في سفر المزامير، فصورة الأب تستدعي ذكريات العطف على الضعفاء، في هذا النص، يذكر الأطفال، والأرامل، والمهجورين والأسرى بنوع خاص. فالأب، الذي هو شخص وقريب، يُظهر عطفه.

٣ - الأم. لا نجد سوى مزمور ١٣١ : ١-٢ في هذا الصدد، إن اللغة العبرية الأصلية تسمح بالعديد من المعاني المتدرجة. وقد اخترت طبعة الـ (NIV) التي تقول:

«يا رب لم يرتفع قلبي،

ولم تستعلِ عيناي،

ولم أسلك في العظام

ولا في عجائب فوقي...

بل هدَّأت وسكَّتُ نفسي،

كفطيم نحو أمه.

ليرج إسرائيل الرب

من الآن وإلى الدهر»

هناك عدد من نصوص الأسفار العبرية تشير بنوع خاص إلى الله كأم. ومن أبرزها ما جاء في إشعياء ٤٢ : ١٤[٢] وفي مز ١٣١ يخاطب المرنم الله ويشبه نفسه بطفل فطيم مع أمه، ونجد هنا إشارة قوية للأم كرمز لله. في القائمة السابق ذكرها والخاصة بالاستعارات الثلاث عن الله شخص قريب من

البشر وعطوف. نجد أن الاستعارتين الأوليتين واضحتين. فالمرنم يشير إلى الله كراع وكأب. وهناك احتمال قوي بأن صورة الأم في مزمور ١٣١ يمكن أن تضاف إلى القائمة. فماذا عن يسوع إذن؟

من الصعوبة بمكان أن تكون الصدفة هي التي جعلت نفس هذه الاستعارات الثلاث هي الأساس الذي بنى يسوع عليه أمثاله الثلاثة في إنجيل لوقا ويبدو أنه عندما يريد يسوع أن يتحدث عن إله عطوف، ومتجسِّد وشخصي فإنه يتجه لنفس هذه الصور الثلاث تقريبًا. الفارق الوحيد هو أن المرنم يدرج صورة الأم، بينما يجعل المسيح نفسه حبيس «امرأة» ليولد منها. هل استعار يسوع هذه الثلاثية من الأمثال من سفر المزامير؟ إن ذلك أقرب ما يكون إلى الاحتمال. على أي حال، فإن مثل هذا الاحتمال يساعد في توضيح كل من اختيار هذه الاستعارات الثلاث وأهمية رؤيتها كأجزاء ثلاثة من كل. إن إلمامنا بهذه الأفكار، يجعل خلفية هذه الثلاثية في إنجيل لوقا جاذبة لانتباهنا.

## ثلاثة أمثلة كمثل واحد

يُفتتح إنجيل لوقا ١٥ بهذا السيناريو «وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل خطاة ويأكل معهم فكلمهم بهذا المثل». إن كلمة مَثَل في إنجيل لوقا ١٥ : ٣ في المفرد، ثم يتبع ذلك كل القصص الثلاث. إن لوقا (أو المصدر الذي استقى منه) فهم بوضوح الأمثال الثلاثة كوحدة واحدة وهناك عدة أسباب داخلية قوية تؤيد استعمال لوقا للمفرد. من بينها ما يأتي:

١- الأمثال الثلاثة ليست موجهة إلى «الجمهور» بل إلى مجموعة من الدارسين (الكتبة والفريسيين) وبالتالي، يتوقع من القارئ أن يرى القصص كجزء من الجدل مع أشخاص متعلمين وليس نقاشًا مع مجموعة من صيادي السمك. كانت جماعة المتعلمين في ذلك العصر غاضبة. وكان معروفًا عن يسوع أنه مفكّر وكان يدعي معلمًا (rabbi). ودمج القصص الثلاث في منظومة متناغمة ومطولة من الأعمال التي يتميز بها العالم الذي يقدم قضيته إلى علماء آخرين.[٢]

٢- خلفية الوجبات والأكل تربط القصص الثلاث معًا. فكل مثل من الأمثال الثلاثة ينتهي بعمل وليمة، مما يعني بالضرورة تضمين الناس والطعام في الأمثلة. وكل ضيف يدعو دائرة من «الأصدقاء والجيران» قائلًا لهم «أفرحوا معي» أو «فنأكل ونفرح».

كان المعلم يجمع حوله صحبة من الأتباع من بين أولئك الذين يبذلون كل جهدهم ليحفظوا الناموس بصورة دقيقة، وعند الوجبات، فإن أولئك المقربين فقط الذين حاولوا أن يفعلوا ذلك هم الذين يُسمح لهم بالانضمام للوليمة. كان ذلك شيئًا هامًا بالنسبة للفريسيين بسبب الأسينيين، الذين جمعوا مخطوطات البحر الميت الشهيرة.

كان الأسينيون قد قرروا الانسحاب من المدن والقرى وتكوين مجتمع من النسَّاك، وكان يعتقدون أن ناموس موسى لا يمكن حفظه بطريقة صحيحة من قبل أي شخص يعيش وسط الـ am-ha-arets (شعب الأرض) وقد ناقشنا ذلك في الفصل الأول. وقد اختار الفريسيون، على الجانب الآخر، أن يظلوا في المدن المأهولة بالسكان. ولكن عندما كانوا يجلسون لتناول الطعام، كانوا حريصين كل الحرص على الاحتفاظ بالطهارة الطقسية، ولذلك، لم يتناولوا الطعام مع عامة الشعب. ولكن يسوع كان يأكل مع الخطاة.

إن الشرق الأوسط مشهور بكرم الضيافة المفرط. وهذه الشهرة المستحقة نراها بوضوح في قصة إبراهيم مع الضيوف الثلاثة (تك ١٨ : ١-٨) وهي ما زالت تمارس حتى هذا اليوم. وكما كان الحال مع إبراهيم، فإن استضافة الضيوف يتضمن دائمًا تقديم المشروبات، أو الطعام أو كليهما. وفي الأمثال الثلاثة في لوقا ١٥، فإن المثل الثالث فقط (لو ١٥ : ٢٣) يذكر فيه على وجه التحديد هذه العبارة "فنأكل ونفرح"، ولكن أي قارئ شرق أوسطي للنص (من القدماء أو المعاصرين) يعرف جيدًا أنه عندما يدعو الراعي والمرأة أصدقاءهما إلى بيتهما سوف يكون هناك أكل أو شرب. لابد من ذلك. إن الثقافة السائدة تتطلب ذلك. لذلك لا توجد قصة واحدة فقط تنتهي بالوليمة (التي تتضمن الأكل والشرب) بل ثلاث، وهي حقيقة تربط القصص الثلاث معًا.

٣- لكل قصة "باحث"خاص، وأحداث القصص الثلاث متشابهة. ولذلك، فإن الراعي الصالح، والمرأة الصالحة، والأب الصالح قصص بحاجة لتجميعها معًا. ومن الغريب أن الفهم التقليدي للكنيسة للقصص الثلاث قد فشل في التوصل لهذه العلاقة. والقارئ العادي يتعرف بسهولة على يسوع كالراعي الصالح ولكنه يفشل في رؤية المرأة الصالحة كرمز ثان له. إن القصتين مرتبطتان بوضوح. بل أني أسلم بأنه من المستحيل أن نرى يسوع مرموزًا إليه في القصة الأولى دون ملاحظته في الثانية. فإذا كان هو «الراعي الصالح»، فهو بالضرورة ممثلاً في «المرأة الصالحة». فإذا لم يكن يسوع رمزًا للمرأة الصالحة، يتتبع ذلك أنه لا يمكن أن يرى كالراعي الصالح. إن هذه النقاط التفسيرية التقليدية الغامضة يمكن أن

يتم التغلب عليها إذا أخذنا النص بجدية. لقد كان يسوع يتكلم بوضوح عن نفسه في كلا المثلين.(٤) ولكن ماذا عن الأب؟ هل من المحتمل أن يكون رمز الأب في القصة الثالثة رمزًا ليسوع أيضًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف؟

من الطبيعي، أن الأب في قصة الابن الضال رمز لله(٥) (كما هو الحال بالنسبة للراعي الصالح والمرأة الصالحة قارن مزمور ٢٣ ، ١٣١). ولكن هل هو رمز لله فقط؟ سوف ندرس هذا الموضوع باستفاضة أكثر في فصل تال. إن الراعي الصالح يجد الخروف الضال ويعمل وليمة بينما تكتشف المرأة الصالحة درهمها وتعمل وليمة أيضًا. وأخيرًا يجد الأب الصالح ابنه ويقيم وليمة.

وكما رأينا، فالراعي والمرأة يصلحان كرمز ليسوع. فماذا عن الأب؟ يُحتم النص دراسة متأنية له، ومتى وكيف يتحول الأب إلى رمز ليسوع. والمستمع/القارئ يواجه بنفس السؤال بطريقة أخرى.

لقد ذهب الفريسيون إلى يسوع متذمرين قائلين: «هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» عندما يقول الفريسيون: "هذا يقبل خطاة"، فإنهم يقصدون يسوع، الذي يرد عليهم، وكأنه يقول لهم:

«أنتم تتهمونني بالأكل مع الخطاة. أنتم على صواب حقًا. هذا ما أفعله بالضبط. ولكن في حقيقة الأمر فأنا لا أجلس وآكل مع الخطاة فقط. ولكني أندفع في الطريق، وأمطرهم بالقبلات وأجتذبهم حتى يمكن أن آكل معهم. إن الأمر أردأ مما تصورتم! دعني أحكي لكم قصة توضح كيف يحدث هذا».

في روايته لقصة الأب الذي يقيم وليمة حتى يستطيع أن يجلس ويأكل مع الخاطئ (الضال)، من الواضح أن يسوع يتحدث بوضوح عن نفسه. بالطبع، إن رمز الأب يبدأ كرمز لله مثل رمز السامري الصالح والمرأة الصالحة. ولكن الأمثال الثلاثة تتطور لتصبح رموزًا ليسوع. وأخيرًا، في نهاية المثل يخبر ولد صغير الابن الأكبر أن الأب قد قبل خاطئًا (الضال) وسوف يأكل معه. سوف يتم فحص هذا المشهد أيضًا فيما بعد مع مزيد من التفاصيل. يكفي هنا أن نلاحظ أن الراعي، والمرأة والأب جميعهم يتحولون إلى رموز ليسوع، وهي حقيقة تربط القصص الثلاث برباط قوي.

٤- في كل قصة من القصص الثلاث هناك شيء مفقود. ولكن هناك تقدمًا ملحوظًا في القصة الأولى، واحد مفقود من مائة، وفي الثانية، واحد مفقود من عشرة، وفي الثالثة واحد من اثنين.

٥- المنطقة التي يجب أن يسترد منها الحيوان المفقود/والدرهم المفقود/ والابن الضال يجب أن

تضيق شيئًا فشيئًا ففي القصة الأولى، يضل الخروف في الصحراء الواسعة. وفي الثانية. يفقد الدرهم في المنزل. وفي الثالثة، يضل الابن (الابنان؟) من بين الدائرة الداخلية من محبة الأب.

٦- هناك انتقال من الحيوانات والدراهم إلى الناس. ويحدث هذا في مزمور ٢٣، الذي يبدأ فيه داود بالحديث عن الغنم ويختتمه بالناس بالحديث عن المائدة.[٦] ويستخدم يسوع نفس هذا التقدم في الجزء الأوسط من إنجيل لوقا، حيث يتحدث أولًا عن حل الثور أو الحمار من المزود في يوم السبت (لو ١٣ : ١٥)، ثم يدافع عما عمله حين حل المرأة من الرباط الذي قيدها الشيطان به (لو ١٣ : ١٦). في لوقا ١٤ : ١-٦ نجد أن (الحيوانات والبشر) مرتبطان في قصة واحدة، ولكن الترتيب معكوس. فيسوع يشفي إنسانًا من الاستسقاء (مشكلة بشرية تتعلق بالماء) في يوم السبت ويدافع عن نفسه بالإشارة إلى أن سامعيه لابد أنهم ينتشلون حمارًا أو ثورًا من بئر (مشكلة حيوانية تتعلق بالماء) في يوم السبت. وبالإجمال، فالجمع بين الحيوانات والبشر في حديث واحد نراه في مزمور ٢٣ ويظهر مرتين في قصص المعجزات التي أخبرها يسوع. أن هذا الرابط يؤيد فكرة أن القصص الثلاث الواردة في لوقا ١٥ قد جُمِعت وحُفِظت معًا.

٧- في كل قصة هناك ثمن يجب دفعه. فعلى الراعي أن يبذل جهدًا كبيرًا ليس فقط ليجد الخروف الضال بل ليسترده إلى القرية. بالضرورة فإنه يحمل الحيوان الذي يزن من ٥٠ إلى ٧٠ رطلًا على كتفه فوق أرض وعرة. ويقال لنا، إن المرأة، "تفتش باجتهاد" عن درهمها، والأب يخرج من بيته ويمشي في الطريق في تواضع متسم بإنكار الذات للمصالحة مع ابنه الضال واسترداده. وكما سنرى، فإن الابن يعود إلى البيت وهو يتصور أن أفضل ما يمكن أن يتمناه أن يصبح خادمًا. والأب، بعد دفع ثمن باهظ، يقبله. كابن.

إن هذه النقاط السبع التي تربط الأمثلة الثلاثة معًا تقودنا إلى رؤية القصص الثلاث كمثل واحد له ثلاثة مشاهد يبدأ منها يسوع بالحيوانات والدراهم قبل الحديث عن البشر. وهذا يثير السؤال عن السبب في أن مثل هذا التسلسل كان خيارًا متعمدًا من قِبَل كل من داود ويسوع.

## التعاقب في أمثال إنجيل لوقا الإصحاح الخامس عشر

لي صديقٌ حميم هو أسقف في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وقد ظل لما يقرب من عشرة أعوام زميلًا لي في أورشليم. كان الأب الورع كاهنًا من الآباء اليسوعيين وفي نفس الوقت طبيبًا نفسيًا ماهرًا

يحمل درجة الدكتوراه في علم النفس وقد شرح لي كيف أن المال عنصر دفين في النفس البشرية. في الماضي، كان المرضى يذهبون إليه ولديهم العديد من المشكلات المتراكمة التي كادت تعصف بهم. وفي بعض الأحيان، كانت إحدى هذه المشكلات المتراكمة نمطًا من السلوك المدمر للذات مرتبط بالنشاط الجنسي. وبعد عدد من الجلسات، كانت تصل العلاقة بين الطبيب والمريض إلى مستوى عميق من الثقة المتبادلة، وكان المريض على استعداد لمناقشة حياته الجنسية والمشكلات المتعلقة بها. وبين آن وآخر، في جلسة لاحقة، كان صديقي يسأل عن كمية المال التي كان يمتلكها مريضه وكيف أنفقها. عند هذه النقطة، كان المريض ينسحب مصدومًا وعلى لسانه هذا السؤال سواء أفصح عنه أم لم يفصح «لماذا تقتحم خصوصيتي؟» النتيجة التي توصَّل إليها صديقي والأطباء النفسانيون الآخرون هي أن المال الذي يملكه الفرد وكيفية إنفاقه يولد إحساس دفين في عقل الإنسان أعمق من الإحساس بنشاطه الجنسي. ويبدو أن النشاط الجنسي الشخصي يمكن مناقشته بسهولة أكبر من الموارد المالية الشخصية.

هذا الفهم لكيفية تكوين البشر كان معروفًا بصورة واضحة لداود وليسوع. لقد ابتدأ داود بالحديث عن الغنم (المال) ثم تحدث عن البشر. وعندما يواجه يسوع بتحد عن السبب الذي يجعله «يقبل الخطاة»، نراه يجيب قائلًا "لو ضاع منك خروف (المال)، فما الذي تفعله؟" إنه يعرف، وهم يعرفون، إن الإجابة هي" «سوف أذهب وراءه». ويدعم يسوع وجهة نظره بالحديث مباشرة عن المال «لو أضاعت امرأة أجر يوم؟ هل تبحث عنه؟ هكذا يسأل. إنها تفعل ذلك. عندئذ فقط يظهر البشر الضالون على المسرح على شكل ابنين ضالين. هذه العلاقة بين الخسارة المادية والخسارة البشرية تجعل الأمر أكثر يقينًا بأن هذه القصص الثلاث قد جمعت ونسقت في وحدة متكاملة من قِبَل يسوع وليس عن طريق كاتب لاحق. وهنا يثور سؤال أخير: إنه السؤال عن الذاكرة.

إن نتصور أن الجمهور تذكَّر قصصًا فردية أسهل قبولًا من فكرة أنه تذكر عرضًا مطولًا مكونًا من ثلاثة أجزاء. هل الفكرة الأخيرة محتملة حقًا؟

إن يسوع، كما نعلم، كان ينتقل من قرية إلى قرية وهو يبشر بالأخبار السارة عن قرب مجيء ملكوت الله. والافتراض الأقرب احتمالًا، أنه كالمرشح لمنصب سياسي، كان مضطرًا عند كل توقف أن يجيب على العديد من نفس الأسئلة الهامة... ومن الطبيعي، أنه بمرور الوقت، كان يقدم إجابات مصقولة أكثر من العبارات التي رددها مرارًا وتكرارًا في العالم الحديث، فإن الصحفيين الذين يتبعون السياسيين يمكنهم، في نهاية الحملة الانتخابية، أن يرددوا إجابات المرشح حرفيًا على الأسئلة الهامة. إن تلاميذ

يسوع قد اختيروا من بين عامة الشعب، «شعب الأرض» الذين أشرنا إليهم سابقًا وكان يسوع يواجه تحديات مستمرة بشأن علاقته بمثل هذه الفئة من الناس.

وربما تكون هذه الأمثال الثلاثة بمثابة «خطابه السياسي» الذي يرد به على هذه التساؤلات وبعد أن سمع التلاميذ الأوائل هذه الثلاثية من الأمثال في مناسبات عديدة، فإنهم لم يجدوا صعوبة في تذكرها وتسجيلها كوحدة واحدة.

عندما نضع هذه الروابط السبع التي تربط القصص الثلاث. نصب أعيننا، وهي التي تعرفنا عليها في هذا الفصل، يجدر بنا أن نتجه إلى مثل الخروف الضال المتضمن فيه العديد من الأفكار الرئيسية التي نجدها تتكرر في مثل الابن الضال. وهذه المسارات اللاهوتية موجودة ضمن تلك الأفكار التي تربط الابن الضال بقصة يعقوب.

# هوامش الفصل السادس

1. For a full discussion of the relationship between Psalm 23 and Luke 15, cf. K. E. Bailey, *Finding.*

2. Others will be noted when we examine the parables of the good woman and the lost coin (Lk 15: 8-10).

3. A similar scene occurs with Paul when he is invited to defend himself before schoolars on Mars Hill (cf. Acts 17: 22-34). Paul's speech is a carefully constructed unit addressed to scholars. The passage in Acts may be a brief summary of his lecture.

4. Jesus also refers to himself as a mother hen (cf. Lk 13: 34).

5. Some commentators have taken the phrase "I have sinned against heaven and before you" (Lk 15: 21) to mean that the father is not a symbol for God. But this phrase is a quotation from pharaoh talking to Moses (Ex. 10: 16). It is my conviction that it is the *quotation* that determines the selection of words, not Jesus' ideas about who the father represents. Cf. the discussion of father on pages 138-46.

6. For a full discussions of the connections between Luke 15 and Psalm 23, see K. E. Bailey, *finding.*

## الفصل السابع

# مثل الخروف الضال

## القصة التمهيدية الأولى (لو ١٥: ٣- ٧)

يبدأ يسوع مثله بالحديث عن «البحث عن الضال (في ثلاثة مشاهد)» بقصة الراعي الصالح والخروف الضال.[١] يعرض المثل أسلوبًا بلاغيًا، موضحًا في شكل (٣).

| | |
|---|---|
| ١- أي إنسان منكم له مئة خروف | (You) منكم |
| ٢- وأضاع واحدًا منها | واحد |
| ٣- ألا يترك التسعة والتسعين في البرية | ٩٩ |
| أ- ويذهب لأجل الضال | الضال |
| ب- حتى يجده؟ ومتى وجده | يجد |
| ج- وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحًا | بفرح |
| د- ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران | يسترد |
| هـ- قائلا لهم «افرحوا معي» | يفرح |
| ي- لأني وجدت خروفي | يجد |
| ن- الضال | الضال |
| ٤- أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء | (you) لكم |
| ٥- بخاطئ واحد يتوب | واحد |
| ٦-أكثر من تسعة وتسعين بارًا يحتاجون إلى توبة | ٩٩ |

**شكل توضيحي رقم (٣) الخروف الضال (لو ١٥ : ٤-٧)**

هناك عدد من الملامح البلاغية هامة للتفسير في المثل. فالكلمات الثلاث الأولى (عدد ١-٣) في البداية (منكم، واحد، ٩٩) متكررة بنفس الترتيب في النهاية عدد ٤-٦).[٢] ويوجد في الوسط سبع عبارات. وهناك أربع أفكار مقدمة (الضال، يجد، يفرح، يسترد) ثم تتكرر في تتابع معكوس. وكما ذكرنا من قبل، فإني أفضل أن أدعو هذا النوع من البلاغة «التوازي المعكوس». وموضوع «الاسترداد» في الوسط يمثل ذروة الجانب القصصي من المثل. هذه الأساليب البلاغية نجدها بشكل موسَّع في كتابات أنبياء العهد القديم. وهكذا نجد أن يسوع قد تشرَّب هذا التقليد الأدبي، ويستخدمه بمهارة فائقة. ولأن تفسير معنى المثل (عدد ٤-٦) مرتبط موضوعيًا بالبداية، فإنه يفهم (بشكل أفضل باعتباره جزءًا من البنية الأصلية للمثل[٣]. بعد وضع هذه الأساليب العبرية البارعة في الاعتبار، فإن المثل بحاجة لأن يُفحص بشيء من التدقيق.

## ارتباطات المثل بمزمور ٢٣

إن يسوع يعيد هنا سرد قصة كلاسيكية معروفة جيدًا من قبل لسامعيه. إن جمهور السامعين من الفريسيين المتعلمين سوف يفكرون أولاً في مزمور ٢٣ ثم يسترجعون ما ورد في إرميا ٢٣ : ١-٦ وحزقيال ٣٤ : ١-٣١. ولماذا؟

إن الترجمة التقليدية لمزمور ٢٣: ٣ هي «يرد نفسي» (KJV) (طبعة الملك چيمس) وفي تقليد الترجمة باللغة الإنجليزية، قد أصبح معنى هذا العدد «أزال كآبتي» أو «ساعدني لأسترد الإحساس بالفرح» أو معنى الإحساس باستعادة الإيمان والقيمة. ولكن فيما وراء هذه المعاني التي اكتسبت التقدير بمرور الزمن هناك النص العبري الأصلي، الذي يقول nafski yeshobeb. وكلمة nafshi تعني "نفسي/نفس/ شخص/حياة".

والفعل shub هو الكلمة العبرية العظيمة لكلمة «يتوب/يعود»[٤]. وهكذا فإن مزمور ٢٣ : ٣ يمكن ترجمته هكذا «يرجعني» أو «يجعلني أتوب». وقد ظلت الطبعات العربية في الشرق الأوسط تقول "يرد نفسي (يرجعني) والاختيار الآخر «يجعلني أتوب». وهذا جزء هام مما يقوله داود في المزمور، أنه يفكر في رحلة إيمانه الشخصية التي تتضمن التوبة (shub)، المعبر عنها وكأن الله يأتي دوره ويرجِّعه. والأصل العبري للمزمور مبني على الصورة الواقعية للراعي الصالح الذي يذهب وراء الخروف الضال، ويلتقطه ويحمله إلى البيت. إن الخروف لا يمكنه أن يكتشف طريقه إلى البيت من ذاته. فما أن يضل،

حتى يزحف تحت صخرة أو شجيرة ويبدأ في المأمأة. يجب إنقاذ الخروف بسرعة قبل أن يسمعه حيوان مفترس، ويجده، ويقتله ثم يأكله. وعندما يجده الراعي، يكون في حالة من الرعب لدرجة أن سيقانه لا تستطيع أن تحمله ولا يستطيع الوقوف. والطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الراعي أن يرده إلى القطيع ثم إلى القرية هي أن يحمله على منكبيه[٥] إلى البيت.

إن العبارة التي تعقب ذلك مباشرة في مزمور ٢٣ تتوسع في فكرة الاسترداد. فتقول «يهديني إلى سُبل البر» فالنص يفترض أن المرنم كان يتجول في سبل الشر. وقد ذهب الراعي الصالح (الله) وراءه، والتقطه وحمله راجعًا به إلى سبل البر. لقد جعله الراعي يتوب/يعود (shub). ويواصل المزمور الحديث عن تأكيد النجاة من الموت والشر، في الوقت الذي تتغير فيه الصورة فجأة.

في مزمور ٢٣: ٥ تنتقل القصة من الحيوانات إلى البشر. فالله، الراعي الصالح، يصبح فجأة، الله المضياف الكريم، الذي يرتب مائدة، ويمسح رأسي ويملأ كأسي. وتختتم القصة في بيت الرب (مز ٢٣: ٦)، حيث ينوي المرنم أن يسكن «إلى نهاية الأيام» (ترجمة المؤلف)[٦] هذه التوليفة من الصور الدراماتيكية لا يمكن نسيانها بسهولة. وفي الواقع، فإنه بعد مائة عام فقط، يردد إرميا نفس القصة مع إدخال العديد من التغييرات الهامة.

## ارتباطات المثل بما جاء في إرميا ٢٣ : ١-٨

يبدأ إرميا ٢٣ : ١-٨ بالنقد الحاد لرعاة إسرائيل الأردياء (قادتها) الذين بددوا رعيتهم. إن ذلك عنصر جديد غير موجود في المزمور الأصلي. فالخروف الضال الوحيد في مزمور ٢٣ يصبح قطيعًا كاملاً، وبعد فشل الراعي ليظهر الله شخصيًا «ويردهم» إن الفعل shub (يتوب/يرد) يتكرر في العبارة "أردها" (إر ٢٣: ٣ NRSV) والعودة المتوقعة لم تعد عودة إلى الله، لقد أصبحت عودة إلى الأرض. وأوجه التشابه والاختلاف بين هذين النصين يمكن رؤيتها في شكل ٤ (صفحة ٨٤).

في مزمور داود لا يوجد راع فاسد، ولا قطيع ولا عودة إلى الأرض. العودة الوحيدة هي إلى الله، والبيت الوحيد هو بيت الله. يركز إرميا على القطيع، وهو يحول قصة داود الشخصية بشأن كيفية إرجاع الله له إلى سبل البر إلى قصة عن الراعي الصالح (الله) والقطيع الضال (إسرائيل)، الذي سوف يقوده الله نفسه يومًا ما إلى «مرابضها» (مثلاً: أرض إسرائيل). وبعد عودتهم إلى الأرض (وليس إلى الله). فإن داود «كغصن بر» سوف يملك كملك بالعدل والبر (إر ٢٣ : ٦-٨). ليس هناك ذكر لاحتفال بمناسبة

ما، والسكني الوحيدة المذكورة هي «بيت إسرائيل» يبني إرميا على ما جاء في مزمور داود مع تنقيحه وتظهر هذه المراجعة الاهتمامات الرئيسية لإرميا وهو يتأمل في سقوط أمة إسرائيل والرجاء في عودة مستقبلية. ولكن التاريخ الكتابي لهذه المجموعة الخاصة من الصور الدراماتيكية لا ينتهي بعد.

| داود (مز ٢٣) | إرميا (إر ٢٣: ١-٨) |
| --- | --- |
| ١- ـــــ | رعاة أردياء |
| ٢- الخروف الضال | القطيع الضال |
| ٣- المشكلة: خروف قد ضل | المشكلة: الرعاة يهلكون/ يبددون الغنم. |
| ٤- الراعي الصالح: الله | الراعي الصالح: الله + داود |
| ٥- تضمين فكرة التجسد | الوعد بالتجسد |
| ٦- الثمن المدفوع: يرد نفسي | الثمن المدفوع: أجمع بقية غنمي وأردها إلى مرابضها |
| ٧- التوبة (shub): العودة إلى الله | الاسترداد (shub): العودة إلى الأرض |
| ٨- الاحتفال | |
| ٩- تنتهي القصة في بيت الله | تنتهي القصة في الأرض |

**شكل توضيحي رقم (٤) قراءتان لنفس القصة**

## ارتباطات المثل بما جاء في حزقيال ٣٤

يروى حزقيال، نبي السبي نفس القصة للمرة الثالثة (حزقيال ٣٤). من الواضح، إنه قد أطلع على ما سرده! إرميا لأنه يعقب على قصة إرميا وبتوسّع فيها كثيرًا. ففي حقيقة الأمر، فإن القصة تطول مع كل سرد جديد. إن داود يروي قصته في ستة أعداد. وإرميا يرويها في ثمانية، بينما يحتاج حزقيال إلى ٣١ عددًا ليقدم رؤيته لنفس المثل. يفتتح حزقيال روايته بهجوم قاسي على «رعاة إسرائيل» (حز ٣٤ : ٢). وهو يكتب عشرة أعداد كاملة ليخبر كيف أن الله غاضب من قادة إسرائيل. فهم لم يبددوا الرعية ويهملوها فقط، ولكنهم يلتهمونها أيضًا! إن الرعية بحاجة لمن ينقذها من الرعاة أنفسهم!

من الواضح، أن الحل الجذري ضروري.

وفي نهاية عدد ١٠ يُعدِ الله بأن يخلص الغنم بنفسه، ويكرر عدد ١١ الوعد بالتجسد المعبَّر عنه بوضوح في رواية إرميا. يقول الله: «هأنذا أسأل عن غنمي وافتقدها» (حز ٣٤ : ١١) ويواصل الحديث فيقول: «أنا أرعى غنمي وأربضها يقول السيد الرب. وأطلب الضال وأسترد المطرود... وأرعاها بعدل» (حز ٣٤ : ١٥-١٦).

بعد ذلك يظهر عنصر جديد، ألا وهو. الغنم الرديء فبعض الغنم يرعى في المرعى الجيد ويدوس بأرجله بقية المراعى، ويشرب الماء النظيف ويكدر بقية المياه بأقدامه (حز ٣٤ : ١٧-١٩). والقوي منها يهاجم الضعيف (حز ٣٤ : ٢١-٢٢). من الواضح أن الله سوف يبحث عن الغنم ليس لأن الغنم جيد بل لأنه هو الراعي الصالح. إنه لا يتعلق بأوهام بشأن نوعية الغنم الذي ينوي أن يخلصه شخصيًا!

وكما في إرميا، فإن داود ينتظر دوره ليظهر على مسرح الأحداث ليرعى الغنم بعد أن يكون الله الراعي الصالح قد جمعها وردها إلى الأرض. وبعد أن تتضح رؤية خلاصهم، فإنهم «يعلمون أني أنا الرب إلههم معهم وهم شعبي... يقول السيد الرب» (حز ٣٤ : ٣٠). إن تدخل الله لإعادتهم إلى الأرض سوف تُثبت (لهم) أنهم ينتمون إلى الله.

لقد وجه الاتهام ليسوع من قِبَل الفريسيين والكتبة «هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» (لو ١٥ : ٢) وكان أول رد فعل له أن يسرد هذه القصة الكلاسيكية المألوفة بالفعل لدى سامعيه على شكل ثلاثة أمثلة.[٧] ولا شك أن الجمهور المستمع قد دُهِش لأنه يدَّعي أنه على قدم المساواة مع داود، وإرميا وحزقيال ولكن الأمر أسوأ مما تصوَّروا! لأنه في رواية يسوع فإنه قد أعدَّ لنفسه مكانًا كالشخصية المحورية. إنه الراعي الصالح. يقول يسوع:

هل تتعجبون لأني أقبل خطاة وآكل معهم؟ إني أفعل ذلك لأن الله يتمِّم وعده العظيم في شخصي ذلك الوعد المشار إليه في مزمور الراعي لداود والمشار إليه بوضوح في إرميا وحزقيال، فعن طريق هؤلاء الأنبياء فإنه تعهد أن يأتي شخصيًا ويجمع الغنم الضال. وقد ألزم نفسه أيضًا بأن يُخلِّص الغنم من أيدي الرعاة الذين يهلكونها. هذه هي هويتي، وهذا هو السبب الذي يجعلني أفعل ما أفعله».

هذه الروايات الأربع لنفس القصة يجب أن توضع الآن جنبًا إلى جنب.

## التشابهات الموضوعية بين فقرات العهد القديم الثلاث وبين مَثَل يسوع

مثل يسوع (لو ١٥ : ٤-٧) يمكن مقارنته موضوعيًا بالقراءات المختلفة الثلاث لنفس القصة.

شكل (٥) يوضِّح أوجه التشابه.

| داود (مز ٢٣) | إرميا (إر ٢٣ : ١-٨) | حزقيال (حز ٣٤: ١-٣١) | يسوع (لو ١٥ : ٤-٧) |
|---|---|---|---|
| ١- ــــ | ١- الرعاة الأردياء | ١- الرعاة الأردياء | ١- الراعي الرديء |
| ٢- الخروف الضال | ٢- الغنم الضال | ٢- الغنم الضال | ٢- الخروف الضال (الغنم في البرية) |
| ٣- المشكلة: الخروف قد ضل | ٣- المشكلة: الرعاة يهلكون/يبددون الغنم | ٣- المشكلة: الرعاة يبددون/يأكلون الغنم | ٣- المشكلة: الراعي يضيع الخروف |
| ٤- الراعي الصالح: الله | ٤- الراعي الصالح: الله + داود | ٤- الراعي الصالح الله + داود | ٤- الراعي الصالح: يسوع |
| ٥- التجسد: متضمن | ٥- التجسد: موعود به | ٥- التجسد: موعود به | ٥- التجسد تحقق |
| ٦- الثمن المدفوع: يرد | ٦- الثمن المدفوع: يجمع، ويرد | ٦- الثمن المدفوع: يبحث عن، يخلص، ينقذ، يرد | ٦- الثمن المدفوع: يبحث عن، يجد، يحمل إلى البيت |
| ٧- التوبة: الرجوع إلى الله | ٧- الاسترداد، العودة إلى الأرض | ٧- الاسترداد: العودة إلى الأرض | ٧- التوبة والرجوع إلى الله |
| ٨- ــــ | ٨- ــــ | ٨- الغنم الرديء | ٨- الغنم الرديء |
| ٩-الاحتفال والوليمة | ٩- ــــ | ٩- ــــ | ٩- الاحتفال والوليمة |
| ١٠- تنتهي القصة في البيت | ١٠- تنتهي القصة في الأرض | ١٠- تنتهي القصة في الأرض | ١٠- تنتهي القصة في البيت |

**شكل توضيحي رقم (٥) ثلاث فقرات من العهد القديم ومَثَل يسوع**

الكلمات التي تحتها خط في الشكل التوضيحي رقم (٥) تلقي الضوء على نقاط القصة التي سردها يسوع والتي عاد فيها، في روايته للمثل، إلى القصة الأصلية للراعي الصالح في مزمور ٢٣. أي، أنه في ٤ حالات من عشر حالات يترك يسوع جانبًا ما ورد في إرميا وحزقيال ويعود إلى ما جاء في مزمور ٢٣.[٨] وفي أربع نقاط إضافية تنبع الفكرة من المزمور.[٩] وفي عددي ١، ٨ فقط نرى أفكارًا جديدة مأخوذة من إرميا أو حزقيال. إن تعليقنا بإيجاز على كل من النقاط السابقة يبدو ملائمًا.

١- **طبيعة الراعي.** بالاختصار، يقدم داود راعيًا واحدًا صالحًا. ويقدم إرميا وحزقيال نوعين من الرعاة، الرعاة الأردياء (قادة إسرائيل) والرعاة الصالحين (الله من بينهم). ويستهل يسوع مثله براعٍ رديء يصبح راعيًا صالحًا. هذا الانتقال من الراعي الرديء إلى الراعي الصالح يتطلب شيئًا من التأمل.

في مزمور ٢٣، يصف داود الصفات الجيدة العديدة لله الراعي. فالله يقود الغنم إلى مراعٍ خضر وإلى مياه الراحة. وهو ينقذ الخروف الضال، ويهديه في سبل البر ويحميه من كل المخاطر وعلى النقيض من ذلك، فإن إرميا وحزقيال يستهلان حديثهما بنقد لاذع لرعاة إسرائيل الأردياء، الرعاة الذين يهلكون، ويبددون وأخيرًا يلتهمون غنمهم. بعد وصف الرعاة الأردياء، فإن كلا النبيين يسجلان وعد الله (الراعي الصالح) الذي سوف يصلح أخطاء الرعاة الأردياء ويأتي بنفسه لإنقاذ الغنم. وهكذا فإن إرميا وحزقيال يقولان إن الرعاة الأردياء هم رعاة إسرائيل والراعي الصالح هو الله.

وكما نوهنا، فإن يسوع، مثل إرميا وحزقيال، يستهل حديثه عن راعٍ رديء وهو يبدأ العبارة هكذا «أضاع واحد منها (خروفًا)». من الواضح أنه يلقي باللائمة على الراعي. ولكن نفس هذا الراعي الرديء يتحمل المسئولية عن أخطائه ويدفع الثمن اللازم ليجد الحيوان ويحمله إلى بيته (سوف نتأمل في مسألة الثمن المدفوع فيما بعد). من الواضح أن يسوع قد استعار صورتي الراعي الرديء والراعي الصالح من النبيين المشار إليهما وجعلهما شخصية واحدة.

ويصبح الراعي الرديء راعيا صالحًا: يبدو أن يسوع يقول لجمهور الكتبة والفريسيين ما يأتي: «أنتم رعاة إسرائيل. لقد أضعتم غنمكم. يجب أن تبحثوا عنها، ولكنكم لم تفعلوا ذلك. ولإصلاح أخطائكم سوف أبحث عنها. وينبغي أن تفرحوا معي. وبدلاً من ذلك فإنكم تأتون متذمرين! ألا تستطيعون أن تروا أني أصلِح من أخطائكم؟!»

هذا التآلف الذي نراه في شخص واحد يجمع ما بين (أ) الراعي الرديء الذي يضيع خروفه و(ب) الراعي الصالح الذي يبحث عنه، يعد استعمالاً جريئًا مليئًا بالمجازفة للغة الاستعارة فإن الوصف الاستهلالي للراعي الرديء يمثل جمهور السامعين، بينما الجزء الثاني، الذي يتعامل مع الراعي الصالح، فإنه يشير بوضوح إلى يسوع نفسه. وبالبحث عن الخروف الضال، فإن يسوع يفعل ما يجب أن يفعلوه هم. ولكن في هذا المثل، يدرج يسوع أيضًا مثالاً آخر لافتًا للنظر، وإن كان ينطوي على قدر كبير من البراعة، فيما يتعلق بتآلف شخصيتين في شخصية واحدة.

في إرميا وحزقيال، فإن الراعي الصالح هو الله، ولكن داود ينتظر دوره ليرعى الغنم وبعد أن يأتي الله شخصيًا ويجد/أو يسترد الغنم الضال، فإنه ينوي أن يلقي بالمسئولية على داود. ولكن في رواية يسوع لا تجد فكرة تكفل الله داود بالرعاية. إنه يقدم نفسه فقط كالراعي الصالح الذي يجد الخروف الضال ويسترده. فماذا حدث لداود؟ الإجابة واضحة لدى قراء لوقا. في الأصحاح الأول من إنجيل لوقا، يَعِد الملاك مريم بأن الطفل المولود منها سوف يعطيه الرب الإله «كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية» (لو ١ : ٣٢-٣٣)[١٠].

في كل الأناجيل المتفقة، يطلق على يسوع لقب ابن داود. وكما أشرنا، فإن يسوع يشكل روايته لهذه القصة الكلاسيكية في ضوء الروايات الثلاث السابقة لنفس القصة. ولا يمكن لجمهوره المتعلم ألا يستوعب ما كان يفعله. لقد وعد إرميا وحزقيال بأن يتكفل الله + داود بالرعاية، ولذلك فكان يسوع يقول لهم بطريقة غير مباشرة.

«فيَّ يتحقق كلا الوعدين في شخص واحد! أنا أمثل الحضور الإلهي في وسط الجماعة، ومسئولية بيت داود قد وضعت على كتفي».

### ٢ - الخروف الضال (والغنم الضال)

يروي داود قصة مسيرته الشخصية في الإيمان عندما يقول «الرب راعيَّ» في رواية داود ليست هناك إشارة لأي قطيع من الغنم. أما إرميا وحزقيال، كما ذكرنا من قبل، يحولان القصة إلى قصة سبي إسرائيل والعودة المأمولة إلى الأرض. ومن خلال ذلك، يصبح الخروف الضال قطيعًا ضالاً من الأغنام. ويربط يسوع الروايتين معًا بالحديث عن الخروف الضال الذي هو جزء من القطيع. ولكن، من المدهش، ففي نهاية مثل يسوع فإن ذلك القطيع يبقى في البرية![١١] فالراعي «يترك التسعة والتسعين في البرية

ويذهب» (لو ١٥ : ٤) ماذا يحدث للتسعة والتسعين؟ ليس هناك نص يوضح ذلك. صحيح، إنهم يمثلون التسعة والتسعين «بارًا (الذين) لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥ : ٧). ولكن كما يقول (أرلاند هلتجرين Arland Hult grrn )، فبما أن الخطاب موجه إلى الفريسيين فإنه «يجب أن ينظر إليه باعتباره نوعًا من التهكم والسخرية»[١٢] فلا يمكن أن يكون هناك فرح بالتسعة والتسعين في القرية حين لا يعلم أحد مكان وجودهم!! الفكرة غير واضحة المعالم، ولكنها موجودة هناك. هل التسعة والتسعين (الكتبة والفريسيون) مازالو في البرية؟ هل مازالو تائهين؟ هل مازالو في السبي؟ يعاود هذا الموضوع الهام الظهور في القصة الثالثة، كما سنرى. ومن المهم أن نلاحظ مقدمتها في هذه القصة الأولى.

في بعض الأحيان، يكون من المفيد في الكتاب المقدس أن نفكِّر بطريقة فن التصوير السينمائي ونتتبع الكاميرا. على أي شيء بالضبط نجد الكاميرا مسلَّطة؟ يستهل يسوع مثله والكاميرا مسلطة على قطيع الغنم. هناك لقطة سريعة تظهر أن التسعة والتسعين متروكين في البرية. ثم تتحرك الكاميرا نحو الخروف الضال والبحث عنه من قبل الراعي، ثم تأتي العودة إلى القرية. والمشهد الأخير هو مشهد الفرح مع الأصدقاء في القرية بسبب نجاح جهود الراعي- وماذا عن بقية قطيع الغنم؟ إن الكاميرا لا تعود أبدًا لتخبرنا عن عودته. المثل صامت تجاهه وبهذا المعنى فالمثل له نهاية مفقودة مثل مَثَل الابن الضال. كل ما لدينا هو الـ nimshal (الاستنتاج التفسيري) الذي يتتبع الحدث ويتأمل فيه. وهكذا فإن المثل يتعامل فقط مع فرد ضال (مثل داود)، أم أن هناك قطيعًا من الأغنام في البرية لا يسأل أحد عنه (كما نوه بذلك كل من إرميا وحزقيال)؟ أم أن يسوع مهتم بالاثنين؟ تظل هذه الأسئلة كالألغاز حتى يُكشَف النقاب عن القصة الثالثة.

٣- **المشكلة.** عندما يكتب داود قائلاً «يرد نفسي/يجعلني أتوب»، فهو يؤكد أنه كان ضالاً وأن الله، الراعي الصالح، قد أعاده إلى الحظيرة. والنص لا يوضح كيف ضل. كان من الممكن أن تكون القراءة هكذا «عندما أتحول بعيدًا عن الطريق، فإنه يرجعني/يجعلني أتوب» والعبارة الأولى متضمنة وليست مدونة. لا شك أن داود يعني أنه هو (وليس الله) مسئول عن حالة الضلال التي كان عليها. ولكن في إرميا، وحزقيال، ولوقا ١٥، كما نوهنا، فالرعاة هم الذين أخطأوا.

٤ و ٥ ***الراعي الصالح***: تجسد الإله/يسوع. (هاتان الفكرتان وجهان لعملة واحدة ولذلك يجب مناقشتهما معًا) بالنسبة لكل الرواة الثلاثة السابقين، فإن الراعي الصالح هو الله. ويعيد يسوع سرد هذه القصة الكلاسيكية بحيث يكون هو محور أحداثها. إنه يؤكد بوضوح أنه، في خدمته، تتحقق فيه كل

مواعيد الله العظمى، المكتوبة في سفري إرميا وحزقيال.

وفي العهد الجديد، فإن التعليم عن شخص المسيح في هذه الفقرة يجب أن يوضع جنبًا إلى جنب مع تهليلات الحمد التي تسبِّح بألوهية المسيح في فيلبي ٢ : ٥-١١ وكولوسي ١ : ١٥-٢٠. إن الراعي الصالح كما قدمه يسوع يمكن أن يُطلق عليه «التعليم التفسيري عن شخص المسيح». وبذلك فأنا أقصد أنه في هذا المثل من الممكن أن ندرك من هو يسوع بملاحظة كيف أنه يأخذ رمزًا في العهد القديم عن الله، ويعيد تشكيله ويطبقه على نفسه.

وعبر القرون درست الكنيسة ألقاب يسوع كوسيلة لفهم حقيقته. إن ألقاب ابن الله، وابن الإنسان، ومخلصي العالم، والمسيا، وابن داود وهلم جرا قد تم فحصها ودراستها بعناية ودقة بالغتين. وهناك طريقة ثانية لمحاولة فهم يسوع وقد أطلق عليها «التعليم الوظيفي عن شخص المسيح». تقول هذه الطريقة، دعنا نلقي نظرة على ما يفعله يسوع، ومن خلال دراسة لأعماله يمكننا أن نكتشف من هو. إنه يغفر الخطية. وهو يشفي المرضى ويقيم الموتى من الأموات، إن هذه الأعمال سوف تكشف أسرار جوهره.

وكلا هاتين الطريقتين هامتين. ولكن هناك طريقة ثالثة يمكن استخدامها في هذه الفقرة والفقرات الكتابية الأخرى. فعندما ينسب المسيح الألقاب الإلهية في العهد القديم عن الله لنفسه، فإنه ربما يقدم أعمق الأفكار المتعلقة بسر شخصه على الإطلاق.[١٣]

وهناك طريقة أخرى للتوصل إلى المحاولة السابقة وهى أن نتساءل: «ما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن الإسكندر الأكبر قد اتجه غربًا بدلاً من أن يتجه شرقًا؟ لو أن ذلك قد حدث في القرن الرابع ق.م، لما كان هناك غزو هليني للشرق الأوسط ولما كانت هناك حضارة هلينية شرق أوسطية. ولما أمكن كتابة العهد الجديد بالعبرية أو الأرامية، ولأصبحت القوى الفكرية السائدة في الكنيسة الأولى أرامية وليست يونانية. ومن الواضح أن ذلك لم يحدث، ومع ذلك. فمن المفيد أن ننهمك في ما أحب أن أطلق عليه إعادة إضفاء الصيغة السامية على عقيدتنا فيما يتعلق بشخص المسيح.

عن طريق قانون مجمع نيقية (٣٢٥ م) أعطى العالم اليوناني للكنيسة تعريفًا رائعًا لماهية يسوع. والأسلوب الذي تم صياغة هذا القانون به يُعدُّ مبسطًا وفلسفيًا في وقت واحد. إنه يقرر:

«نؤمن برب واحد، يسوع المسيح، *ابن الله الوحيد*، المولود من الآب قبل كل الدهور، إله من إله، نور

من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر..»[١٤].

ولكن في هذا المثل، فإن أساس هذه العقيدة اللاهوتية مُقدَّم في صور بلاغية يهودية/كتابية وليس بأسلوب يوناني فلسفي. وهكذا فمثل الخروف الضال يقدم استعارة يهودية عن الله موضوعة في شكل قصة يهودية كلاسيكية أعاد يسوع صياغتها. وهذا يوضِّح أن الفهم السامي لحقيقة يسوع يمكن إرجاعه لشخص يسوع نفسه. إن تلاميذه لم يجاهروا بحقيقته إلى الناس سوى بعد مرور جيل أو أكثر بعد حياته الأرضية. بل أن بعض التأكيدات العميقة عن حقيقة يسوع جاءت من يسوع نفسه. وكما نرى هنا، فإن تلك التأكيدات تنبع من الأمثال التي صاغها ليعلن عن حقيقته وعن الهدف من إنجيله. لقد اكتشف التلاميذ الذهب، ولكنهم لم يصنعوه. وحقيقة التجسد بمثابة القلب من فهم يسوع لذاته.

ومهمتنا التالية[١٥] هي أن نتتبع بإيجاز تقديم فكرة التجسد بدءًا من داود، ومرورًا بإرميا وحزقيال وإشعياء، حتى يسوع.

يستخدم مزمور ٢٣ كلمات عن الله تتضمن فكرة التجسد. فالله ليس جالسًا فقط في السموات ينظر من أعلى إلى العالم. إنه أيضًا «راعيَّ» الذي يقودني إلى مراع خضر وإلى المياه. وأنا أرى عصاه وعكازه وأشعر بالأمان نتيجة لذلك. من المسلم به، في الأسفار العبرية، أن الله يكون حاضرًا في المقام الأول وسط شعبه في الهيكل.[١٦] وهناك إدراك عام بأن الله موجود في كل مكان.[١٧] ولكن في هذا المزمور يستخدم داود لغة مجازية تصف الله بأنه حاضر معه بمعنى خاص، وشخصي، يهديه إلى سبل البر. ويتحدث داود هنا عن الله، عن حضور الله معه كراع حقيقي له.

وينتقل إرميا وحزقيال بفكرة التجسد في خطوة عملاقة إلى الأمام. وكما ذكرنا من قبل، فإن كلاً من النبيين يؤكدان بصفة خاصة وعد الله، بأنه يرعى في المستقبل «ها أنذا أسأل (بنفسي) عن غنمي وافتقدها» (حز ٣٤ : ١١). ويصبح التجسد حقيقيًا أكثر عندما يوضح النبي ما سوف يعمله الله الراعي الصالح لغنمه الضال الذي تبدد هنا وهناك. وبالإضافة إلى هذه النصوص الثلاثة في العهد القديم، تظهر فكرة التجسد أيضًا في فقرة موجزة هامة في سفر إشعياء وهذا ما سوف نتجه إليه الآن.

إن الوعد النبوي بالتجسد يتأكد بقوة في النص الشهير نت إشعياء ٥٥ : ٦-١١ والذي ينقسم إلى ثلاثة مقاطع شعرية متشابكة.

تبدأ الفقرة بثلاثة سطور مزدوجة:

**مقطع شعري (١)**

«أطلبوا الرب ما دام يوجد،

ادعوه وهو قريب

ليترك الشرير طريقه

ورجل الإثم أفكاره،

وليتب (shub) إلى الرب، فيرحمه

وإلى إلهنا لأنه يُكثر الغفران».

هذه السطور الثلاثة المزدوجة تُدعى «التوازيات العبرية» لأن كلاً من الأفكار الثلاثة متكررة مرتين. والمؤمن مدعو لكي (١) يطلب الرب ما دام يوجد وبينما هو قريب. وعليه بعد ذلك (٢) أن يترك طرقه وأفكاره. عندئذ فقط يمكنه أن (٣) يعود/يتوب (shub) إلى الرب ويقبل الرحمة والغفران. من الواضح، أن الله ليس قريبا دائمًا ولا يمكن أن يكون موجودًا دائمًا. وهنا يثور السؤال: متى يكون قريبًا، وأين يمكن أن يوجد؟

تتعقد الحبكة الدرامية في المقطع الثاني:

**مقطع شعري (٢)**

«لأن أفكاري ليست أفكاركم

ولا طرقكم طرقي، يقول الرب

لأنه كما علت السموات عن الأرض

هكذا علت طرقي عن طرقكم

وأفكاري عن أفكاركم».

يتحدث محور المقطع الأول عن «*الطرق والأفكار*»، بينما في هذا المقطع الثاني فإن «*الطرق والأفكار*: تفتح وتختتم السطور الخمسة. ولذلك فإن مركز المقطع الأول يصبح الإطار الخارجي للثاني. في هذا

المقطع الثاني نجد التأكيد على أن طرق وأفكار الله بعيدة عن طرقنا وأفكارنا كبعد السموات عن الأرض. ويدفعنا ذلك كقراء إلى اليأس. في المقطع الأول. علينا أن ندعو الله «وهو قريب» ولكن في المقطع الثاني نكتشف أنه ليس قريبًا وبدلاً من ذلك، فإن الله، بطرقه وأفكاره، في السموات، ونحن هنا على الأرض. فرحمة الله وغفرانه غير متاحين لأننا لا نستطيع أن نجده. ما الذي يمكن أن نعمله؟ إن حل هذه المشكلة المحيرة يظهر في المقطع الثالث:

**مقطع شعري (٣)**

«لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء

ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض

ويجعلانها تلد وتنبت

وتعطي زرعًا للزارع وخبزًا للآكل

هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي

لا ترجع إليَّ فارغة

بل تعمل ما سررت به

وتنجح في ما أرسلتها له».

تبدأ هذه الفقرة «بمثل» عن السموات والأرض. أي أنه مرة أخرى أخذ إشعياء محور المقطع السابق (السموات والأرض) واستعمله لتكوين المقطع التالي (مقطع ٣). يفتتح المقطع الثالث بالمطر/الثلج الذي في السموات (بعيدًا حيث يسكن الله) ويقرر أنه ينزل على الأرض حيث يعيش البشر. وعندما ينزل، فإنه يحقق أغراض الله. إن هذا المثل (mashal) يعقبه تفسيره (nimshal). فكلمة الله مثل المطر والثلج.

وهذه الكلمة أيضًا تنزل وتحقق أغراض الله. ونحن نسأل أية أغراض؟ الإجابة البسيطة هي «الرحمة والغفران». وعندما يكون الله قريبًا، يمكن للمؤمن أن يتلقى هاتين الفائدتين العظيمتين وفي السموات، فإنهما لا يكونا متاحتين. ولكن الكلمة تنزل مثل نزول المطر والثلج من السماء، وعندما يحدث هذا، يقترب الله وتكون رحمته وغفرانه متاحين تبعًا لذلك.

وعندما نتذكر أن كلمة الله ليست فقط مجرد أقوال الله، ولكنها تتضمن أعمال الله، يتضح أن: كلمة الله تساوي طرق وأفكار الله. ولذا فإن الإطار الخارجي للمقطع الثاني (الطرق والأفكار) له صلة مباشرة بالختام المثير للمقطع الثالث. فالمشكلة لها حل، وهو تجسد كلمة الله. فالمطر ينزل إلينا من السموات وهكذا تفعل كلمة الله. كل منهما ينجز أغراض الله بالنسبة لنا. وملخص الفكرة في المقاطع الثلاثة موضح به في الصورة التوضيحية رقم ٦.

| | |
|---|---|
| مقطع شعري١: احتياجي<br>أطلبوا الله ما دام قريبًا وتلقوا الغفران | (ولكن متى يكون قريبًا؟) |
| مقطع شعري٢: مشكلتي<br>الله في السماء – وأنا على الأرض. | (الله بعيد جدًا، فما الذي يمكن أن أفعله؟) |
| مقطع شعري٣: الحل الذي يقدمه الله لمشكلتي<br>المطر والثلج ينزلان. هكذا ينزل كلمة الله (وبذلك يكون قريبًا مني) ويحقق أغراض الله، وهي تقديم الرحمة والمغفرة لي. | (تجسد الكلمة يحل مشكلتي) |

**الشكل التوضيحي رقم (٦) الفكرة الرئيسية في المقاطع الشعرية الثلاثة من إشعياء ٥٥ : ٦-١١.**

هذا التأكيد لتجسد كلمة الله الذي يأتي بالرحمة والغفران للمؤمن يتناغم مع صورة الراعي الصالح الذي «يرد نفسي» (داود)، والذي «يرد/يخلص الغنم» (إرميا/حزقيال) وأخيرًا الذي «يجد وينقذ الضال» (يسوع). في سرد يسوع لهذه القصة الكلاسيكية، يتحقق التجسد تمامًا، والراعي الصالح (الله)، الذي وعد أن يأتي بنفسه ويجمع الغنم، موجود في شخص يسوع، ابن داود «وجنبًا إلى جنب مع إشعياء ٥٥» فكل النصوص الأربعة عن الراعي الصالح تبرز التجسد كالعنصر الأساسي لتحقيق الخلاص.

٦- **الثمن المدفوع** هذا الموضوع وثيق الصلة بالموضوع التالي عن «التوبة». «التوبة» تتضمن استجابة الخروف لعمليات الإنقاذ التي يقوم بها الراعي. التركيز هنا على ما يعمله الراعي، ولكن الشيئين وجهان لعملة واحدة.

وكما هو الحال مع الموضوعات الأخرى في هذه القائمة، هناك في النصوص الأربعة يؤكد داود ببساطة أن الله «يرد نفسي». ولذلك فليس أمام القارئ المزيد من التفاصيل. أما إرميا فإنه يتوسع في الحديث عن دور الراعي في عملية الإنقاذ بوصف (الله) الراعي بأنه «يجمع» و «يرد» (shub) الغنم. وإن الله أيضًا سوف «يقيم عليها رعاة» وهو يعد بأن «يقيم لداود غصن بر» (إر ٢٣ : ٤-٥). ولكن لدى حزقيال ما هو أكثر من ذلك.

يتوسع حزقيال ببلاغة في وصف أعمال الإنقاذ الإلهية للراعي الصالح. ففي روايته يقول إن الله يفتقد الغنم، ويطلبها، وينقذها، ويجمعها، ويطعمها، ويرعاها، ويردها، ويعصبها، ويقويها، ويخلصها. كل تلك الأشياء ضمن القائمة التي سوف يقوم بها الله قبل وصولها للبيت وبعد أن يردها إلى الأرض، هناك قائمة أخرى بالوعود.

وسرد يسوع لهذه القصة يلخص أعمال الراعي الصالح في إرميا وحزقيال، وخاصة حزقيال وفي رواية يسوع فإنه يركز على أنه يذهب لأجل الضال ويجده ويرجع به. ولكن بالرغم من هذا التأكيد فإنه يضيف عنصرًا جديدًا لافتًا للنظر غير موجود في القصص الثلاث السابقة.

في لوقا ١٥ يلتقط الراعي الخروف الضال ويحمله على منكبيه (حول وخلف عنقه على كتفيه).

إنه يفعل ذلك فرحًا وليس متذمرًا. إن الخروف العادي في المتوسط يزن من حوالي ٥٠ إلى ٧٠ رطلاً. والجهد الشاق عبر المراعي المرتفعة وهو يحمل الخروف فوق منكبية عملية خطيرة ومنهكة. وكما ذكرنا من قبل، فإن الحيوان يكون مرتعبًا حتى أنه لا يستطيع أن يمشي. وحمل الخروف هي الطريقة الوحيدة التي ينقذ بها الراعي الحيوان من الموت المؤكد. والثمن المدفوع لإنقاذ الخروف ثمن باهظ، هذا التأكيد الفريد محمل بقوة الكفارة ويمكن أن يرى بأنه يفسر موضوع ألم الفداء.

إن دخول الله الشخصي المستقبلي إلى التاريخ البشري لخلاصهم مؤكد بوضوح بالفعل من قِبَل كلٍ من النبيين، ولكن هذه الصورة عن الثمن المدفوع خارج إطار قضيتهما.

٧- ***التوبة/العودة الكلمة الرئيسية (shub)*** (توبة/عودة/استرداد) ترد في كل من النصوص العبرية الأربعة وتعاود الظهور بثوب يوناني (metanoeo) في المثل الذي نتأمل فيه في لوقا ١٥. في تعليقاته الختامية، يعلن يسوع: «هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًا لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥ : ٧).[١٨]

هذا التطبيق للمثل يأتي كمفاجأة كبرى. فإذا سؤلنا عن الهدف من المثل قد يستنتج المرء ما يأتي:

- إنه عن الراعي الردئ المهمل الذي أضاع خروفه.
- إنه عن الراعي الصالح الذي يذهب لأجل البحث عنه.
- إنه عن الثمن المدفوع للبحث عن الخروف وحمله إلى البيت.
- إنه عن الفرح في المجتمع عندما يصل الراعي الذي يحمل الخروف الضال إلى البيت. كل هذه الأفكار موجودة في المثل. ولكن يسوع يؤكد أن النقطة الرئيسية هي التوبة. من الواضح، أن الخروف الضال رمز للتوبة! كيف يمكن أن يكون هذا؟ كل ما يفعله الخروف الضال أنه يضل. هذا التعريف الجديد المثير للدهشة للتوبة يستحق الفحص. وفي الواقع، فإنه هام بالنسبة لكل الأمثال الثلاثة في إنجيل لوقا ١٥ وبالنسبة لأوجه الاتفاق والاختلاف مع قصة يعقوب. ولذلك، فمن الضروري أن ننظر بإيجاز إلى ما تقوله النصوص الثلاثة السابقة عن هذا الموضوع.

يعد مزمور داود شهادة شخصية. فقد كان ضالاً، وقد ذهب الراعي الصالح (الله) وراءه، (yashubib nefshi) يرد نفسي. وكما أشرنا من قبل، فالمعنى الرئيسي لهذه العبارة في المزمور هو «يجعلني أتوب». فهل هذا عمل من أعمال داود أم عمل من أعمال الله؟

إنه بالتأكيد عمل من أعمال كليهما، بطريقة ما. من الواضح أن داود ليس ملتصقًا بمصر أو بابل وبحاجة للعودة إلى أورشليم. بل أنه متغرب عن الله وبحاجة للعودة إلى سبل البر والحياة مع الله. والله يعمل على إرجاعه، وبالاستدلال، فإن داود يقبل تدخل الله. ولكن ليس أمامنا التفاصيل الخاصة بالمجهود المبذول في هذا الصدد.

وكما أشرنا، فإن إرميا وحزقيال يحولان المثل إلى قصة عن السبي السياسي. ليس هناك أي إشارة للعودة إلى الله في روايتيهما. فالله يأتي كالراعي الصالح ويرد الشعب إلى أرضهم. وبهذا العمل يعرفون أن الله هو المدبر لشئونهم وليس أكثر من ذلك.

رواية يسوع تحول القصة إلى شهادة شخصية وتركز على الجهود المضنية للراعي في البحث عن الخطاة وإيجادهم وإعادتهم إلى نفسه. بالنسبة ليسوع، فالتوبة تعادل القبول بأن يتم العثور عليهم. ولكي نفهم ما يفعله، من الضروري أن نصنع موجزًا لأقوال يسوع في سياق الفكر اللاهوتي المتطور

لمعلمي اليهود في عصره.

كان موضوع التوبة هامًا في كل من الأسفار العبرية وفي تفسير المعلمين لها. يخصص چورچ فوت مور، في كتابه الخالد عن لاهوت معلمي اليهود الأوائل، فصلين لموضوع التوبة في فكر معلمي اليهود.[١٩] وهو يقدم ملخصًا لهذا الموضوع.

«ينتمي إلى التعريف اليهودي للتوبة إصلاح الأخطاء التي اُرتكبت في حق أي مواطن آخر بالاعتداء على شخصه، أو ممتلكاته، أو سمعته، والاعتراف بالخطية، والصلاة لأجل المغفرة، والتصميم الحقيقي وبذل الجهد لعدم الوقوع في الخطية مرة أخرى». [٢٠]

وهكذا لإصلاح العلاقة مع الله، على الخاطئ أن:

* يقدم تعويضًا عن الخطية إلى الشخص الذي أساء إليه.

* يعترف بالخطية ويطلب الغفران.

* يصمم ويجاهد على عدم ارتكاب الخطية مرة أخرى.

لقد أصبحت هذه الأعمال، في فكر معلمي اليهود، بالتدريج وسيلة للتكفير عن الخطية. وهذه الفكرة قديمة قدم حكمة ابن سيراخ، الذي كتب قبل وقت يسوع بمائتي سنة قائلاً: «وعند (ارتكاب) الخطايا، أظهر التوبة.... ولا تنتظر حتى الموت لكي تتبرر» [٢١]. كان من الواضح، بالنسبة لابن سيراخ، أن التوبة تؤدي إلى التبرير أمام الله. ويتكرر هذا الموضوع كثيرًا في الأدب الرباني. إن موجزًا لأفكار العديد من الربانيين يظهر في مقالة (يوما yoma) من التلمود البابلي والتي تقول:

«عظيمة هي التوبة، لأنها تصل إلى عرش المجد....

عظيمة هي التوبة، لأنها تأتي بالفداء....

عظيمة هي التوبة، لأنه بسببها فإن الخطايا المتعمدة تُحسب سهوات....

عظيمة هي التوبة، لأنها تطيل (أيام و) سنوات الإنسان...»

فيما يتعلق بطبيعة البشر المكونين من لحم ودم، فإذا أغضب شخص شخصًا آخر، فمن المشكوك فيه إن كان (الأخير) سوف يهدأ أم لا... بمجرد بعض الكلمات. ولكن بالنسبة للقدوس، مبارك هو، فإذا

ارتكب الإنسان ذنبًا في السر، فإنه يصفح عنه بمجرد سرد بعض الأقوال، كما يُقال:

«خذوا معكم كلامًا وارجعوا إلى الرب (هو ١٤ : ٢)

عظيمة هي التوبة، لأنه بسبب فرد يتوب، تغفر خطايا العالم كله.»[٢٢]

وهناك موجز ثان يقول:

«سأل الناس الحكمة، ما مصير الخاطئ؟ فأجابت «الشر يتبع الخاطئين» (أم ١٣ : ٢١)، وسألوا النبوة نفس السؤال، فأجابت: «النفس التي تخطئ هي تموت» (حز ١٨: ٤)، وسألوا الناموس، فأجاب «ليقدم ذبيحة أثم (asham) فتغفر له خطيته، كما يُقال: «فيرضى عليه للتكفير عنه» (لا ١ : ٤). وسألوا القدوس، المبارك، فأجاب ليتب فتغفر له خطيته».[٢٣]

ينسب هذا الموجز للمعلم فينحاس، وهو معلم فلسطيني من القرن الرابع.[٢٤] وفي نفس الوقت، قال يهوذا بن سمعان (معلم فلسطيني من القرن الأول): «ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك..» (هو١٤: ١) –حتى لو أنكرت المبدأ الرئيسي للإيمان" يقتبس يورباخ هذه الفقرة ثم يعلق عليها قائلاً: «وهكذا فإنه (يهوذا بن سمعان) أراد أن يقول إنه لا توجد خطية لا تكفرها التوبة.[٢٥]

ولفهم ما يقوله يسوع، يجب أن نلاحظ أنه في كل هذه الشواهد لا توجد فكرة التجسد. فالله، الراعي الصالح، ليس بحاجة أن يأتي إلينا. وبدلاً من ذلك، فعن طريق التوبة، نحن نذهب إلى الله. يقتبس مور قول معلمي اليهود: «يصل السهم إلى أبعد نقطة في الحقل، ولكن التوبة تصل إلى عرش الله ذاته».[٢٦] ولنعد مرة أخرى إلى أقوال معلمي اليهود: عظيمة هي قوة التوبة، لأنه بمجرد أن يعزم إنسان في قلبه أن يتوب، ففي الحال فإنها (توبته) تمضي في رحلة تمتد ليس إلى عشرة أميال فقط، ولا إلى عشرين ميلاً، ولا مائة ميل، بل تمتد إلى خمسمائة عام، وليس إلى السماء الأولى، بل إلى السماء السابعة، وليس إلى السماء السابعة فقط – إنها تقف أمام العرش المجيد (هو ١٤ : ٢)[٢٧].

يقول يورباخ إن إسرائيل قديمًا لم يُدع للتوبة. لقد كان الأنبياء هم الذين طالبوا بذلك[٢٨] وبالإضافة لذلك، لم يكن للأنبياء والحكماء الأوائل "أسلوبًا واحدًا للدعوة إلى التوبة" [٢٩] وبالاختصار، فقد كانت التوبة هامة، لقد كانت عملاً مطلوبًا من المؤمن. وكانت تنسب قوة التوبة إلى الكفارة، وبالنسبة للكثيرين، فقد كانت بديلاً عنها. ولكن التجسد، لم يكن ضروريًا. فقد كانت صلاة التوبة المخلصة تخترق الغمام

وتصل إلى عرش الله.

وبالرغم من ذيوع هذا الفكر اللاهوتي، يروي يسوع قصة الراعي الذي ينقذ خروفه الضال ويؤكد يسوع الحاجة لمجيء الله إلينا مدعومًا بالفكر اللاهوتي في إشعياء ٥٥ : ٦-١١، وداود، وإرميا، وحزقيال. إن كلمته يجب أن تنزل وتجعل الله قريبًا منا حتى تقبل الرحمة والغفران (إشعياء) والرب كالراعي الذي يبقى قريبًا منا (داود). إن الله، الراعي الصالح، يتعهد، بأن يأتي، ويجمع ويخلص الغنم (إرميا، حزقيال). ومن خلال ذلك، يدفع الراعي الصالح ثمنًا باهظًا. فعليه أن يجد الخروف الضال، ويلتقطه، ويحمله إلى بر الأمان لكي ينقذ حياته (يسوع).

في سياق الأسفار العبرية والتقليد الرباني المنتشر، ما الذي يسهم به يسوع في هذا الحوار؟ وماذا كان رد فعل جمهور سامعيه حين سمعوه؟ من الواضح أنه توجد خمس نقاط:

*(أ) التجسد.* كما عرّفه يسوع، لا يمكن أن تكون هناك توبة بلا تجسد. فالراعي يترك قطيع الغنم ويذهب إلى البرية ليجد الخروف الضال. إنه لا يجرؤ على الانتظار على أمل أنه قد يعود إلى البيت بمفرده. إنه يعرف أنه لا يمكن أن يفعل ذلك.

*(ب) الثمن المدفوع.* لا يمكن حدوث التوبة/الاسترداد إذا لم يكن الراعي على استعداد لدفع الثمن الباهظ المطلوب لحمل الخروف الضال إلى القرية. وقد وجد أن ذلك ليس بكاف، فالخروف يجب أن يُحمل إلى البيت.

*(جـ) إعادة تعريف التوبة.* لم تعد التوبة شيئًا يفعله الخروف ليؤكد قبوله من جهة الراعي. فالخروف قد أصبح ضالاً، وهو بحاجة لمن يبحث عنه.

*(د) التوبة: تتطلب الشعور بالابتهاج في المجتمع المحيط.* لأن المرنم يقول إن الله: يرتب مائدة «هناك احتفال. ولكنها فائدة لشخص واحد. في رواية يسوع، فإن الراعي: يدعو الأصدقاء والجيران» (لو ١٥ : ٦) للوليمة. هذا العنصر غائب عن كل القصص الثلاث السابقة.

*(هـ) الفرح.* الشعور المرتبط بالتوبة هو الفرح. إن ذلك تأكيد لفرح الراعي (والمجتمع المحيط) وتفترض القصة أن الخروف يشترك في ذلك الفرح. فما أن يضل الخروف، حتى يخاف من حيوان مفترس يمكن أن يقتله. وفجأة، يظهر الراعي ويحمله راجعًا إلى القرية. من التضمينات اللاهوتية لهذا

التعريف الجديد للتوبة أن فرح العثور عليه يفوق الندم الناتج عن ضلاله. في هذا المثل يضيف يسوع حيوانًا ضالاً. القصة الثانية تتركز حول عُمْلة من الجماد. وفي القصة الثالثة يمشي الناس على مسرح ويجب فحص كلماتهم وأفعالهم بعناية، في ضوء مثل الخروف الضال والدرهم المفقود. والسبب في ذلك تأكيد يسوع على معنى التوبة.

٨- **الخراف الجيدة والخراف الرديئة.** لا تحتوي القصتان الأوليتان على نقد للخراف ونقد حزقيال لها بمثابة عنصر جديد. إنه يصف الخراف القوية التي تأكل من المراعي الجيدة، وتشرب الماء الصافي وتترك المراعي التي داستها بأرجلها والمياه الملوثة لبقية الخراف. لقد قيل لنفس هذه الأغنام القوية «لأنكم بهزتم بالجنب والكتف ونطحتم المريضة بقرونكم حتى شتتموها إلى خارج» (حز ٣٤ : ٢١).

على الرغم من هذه الأخطاء المروعة، فإن حزقيال لا يدعو الغنم للتوبة. إنه يؤكد فقط على أن الله سوف يصبح الراعي على أي حال، وأنه سوف يجمعهم، ويعيدهم إلى أرضهم ويسدد كل احتياجاتهم. هناك اعتراف بأن الله سوف يعيدهم إلى الأرض، ولكن في هذه النصوص لا حديث لإرميا أو حزقيال عن استعادة العلاقة مع الله. يبدو أن أفضل ما يأمله الله، الراعى الصالح، أنه بعد هذه الأحداث القوية لخلاص الشعب أنهم يعرفونه حقًا كإلههم.

في إشارته إلى «التسعة والتسعين بارًا (الذين) لا يحتاجون إلى توبة (لو ١٥ : ٧)، يشير يسوع إلى «الخراف الجيدة والخراف الرديئة» الواردة في حزقيال ٣٤ : ١٧-١٩. وكما نوهنا، فإن يسوع لا يتحدث عن ذلك بصورة جادة بل كنوع من التهكم. فقد كتب إشعياء النبي يقول «كلنا كغنم ضللنا» (إش ٥٣ : ٦) ويقول سفر الجامعة «لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحًا ولا يخطئ» (جا ٧ : ٢٠).

٩- **احتفال الجماعة بالعثور على الضال.** يختتم مزمور ٢٣ بإقامة احتفال بهذه المناسبة. إنها في الواقع مائدة لشخص واحد، ولكنها بالرغم من ذلك وليمة وهناك كأس مليئة حتى آخرها. لا ذكر للاحتفال في إرميا وحزقيال وفي مَثَل يسوع يفهم أن السبب في إقامته يرتبط بعادات اجتماعية. والراعي جزء لا يتجزأ من الجماعة التي تحتفل بهذه المناسبة. ولكن اللغة التي يختارها يسوع تحتوي على معنى خاص لم يلحظه أحد.

لقد ناقشنا من قبل مجتمعات معلمي اليهود وهي تتكون من الحبريم التي ترجمتها «الأصدقاء». وهكذا فعندما يخبر يسوع سامعيه أن الراعي يدعو «أصدقاءه»، فإن لهذه اللغة رنين خاص لدى

الفريسيين. إن يسوع يقول: «أنتم الحبريم (الأصدقاء) وهذا الراعي يجد خروفه الضال ويحمله إلى البيت ويقيم وليمة. إن أصدقاءه يفرحون معه. فلماذا لا تستطيعون أنتم «الأصدقاء» أن تفرحوا معي؟[٣٠] إن موضوع الاحتفال هذا سوف يعاود الظهور مرة أخرى عندما نتأمل في قصة يعقوب.

١٠- **موقع ختام القصة.** يختتم داود قصته «في بيت الرب» (مز ٢٣ : ٦)، حيث ينوي المرنم أن يسكن «إلى مدى الأيام». وهذا يمكن أن يعني نهاية أيام الله، أي «إلى الأبد» (KJV)، أو «طوال حياتي» (NRSV) وربما يعني كليهما. على أي حال، فالقصة تختتم في بيت الله.

ولكن إرميا وحزقيال يقدمان بديلاً آخر. فبدلاً من أن تكون النهاية في بيت الله، فالغنم يعود إلى الأرض. والبيت المذكور في كلتا القصتين هو «بيت إسرائيل» (إر ٢٣ : ٨)، حيث كلمة «بيت» تشير إلى البشر وليس المكان. ويختتم يسوع قصته، كما في مزمور ٢٣ «في البيت».

## مجموعة العقائد اللاهوتية فى مثل الخروف الضال (لو ١٥ : ١-٧).

في الختام، اقترح بأن هذا المثل العظيم يعكس المجموعة الآتية من الأفكار اللاهوتية، والتي سوف تعاود الظهور مرة أخرى عند مناقشتنا لقصة يعقوب ومثل الابن الضال [٣١].

١- *القيادة الفاشلة:* يوجه المثل نقدًا للقادة الذين يبددون رعيتهم ولا يفعلون شيئًا حيالهم، ولكنهم يتذمرون من إتباع الآخرين الذين يتبعونهم.

٢- *النعمة المقدمة مجانًا:* لا يقدم الخروف الضال أي خدمة خاصة للراعي ومن ثم فلا حق له في الحصول على النجاة. إنه مقدَّم له كهبة مجانية.

٣- *الكفارة:* يدفع الراعي ثمنًا باهظًا لكي يجد الخروف الضال ويرده إلى بيته. وهكذا، فإننا نجد التأكيد على جوهر الكفارة في هذا المثل.

٤- *الخطية:* يوصف الجنس البشري بأنه ضال ولا يستطيع أن يعرف الطريق إلى البيت بمفرده.

٥- *الفرح:* يدوي المثل بفرح الراعي والجماعة (والمفروض الخروف الضال أيضًا) لنجاح حادثة الإنقاذ.

٦- *التوبة:* تعريف التوبة أنها قبول الضال للعثور عليه ومن ثَم للنجاة. والخروف ضال وعاجز ومع

ذلك فهو رمز للتوبة. التوبة. تصبح عملاً من أعمال الراعي لأنه يحمل الخروف راجعًا إلى بيته في القرية (وهي تتضمن قبول الخروف لتلك النجاة).

٧- *الفرد والمجتمع:* كما ذكر إرميا وحزقيال فقصة الخروف الضال (مز ٢٣) تصبح قصة للغنم الضال (إسرائيل)، الذي سوف يرده الله شخصيًا إلى الأرض يومًا ما. وقد أدمج يسوع هذين العنصرين في روايته الجديدة للقصة القديمة. إنه يستعيد قصة داود عن الخروف الضال الذي يُحمل إلى البيت بعمل التضحية من قِبَل الراعي الصالح، ولكن يسوع يدرج أيضًا قطيع الغنم المشتت في البرية. هل يصل هذا القطيع إلى البيت؟ نحن لا نجد ردًا على هذا السؤال. وهذا يُنبئ بمثل الابن الضال.

٨- *الإيمان بشخص المسيح:* من الواضح أن المسيح يتكلم عن نفسه. فكالراعي الصالح، فهو المبعوث الفريد من قِبَل الله الذي يرد الخاطئ الضال إلى الله. (إن الفرح في **بيت** الراعي مشبه في المثل بالفرح في **السماء**). وعلى الراعي أن يُظهر تلك المحبة الثمينة المضحية بأن يسترد الخروف العاجز. هناك ثلاث فقرات في العهد القديم تقف وراء المثل: مزمور ٢٣، إرميا ٢٣ : ١-٤ وحزقيال ٣٤ : ١١-١٦. هذه الخلفية في العهد القديم توضح أن الراعي ليس مجرد وكيل أو نائب عن الله. إنه الشخص الذي تتحقق فيه مواعيد داود، وإرميا وحزقيال، أي أن الله نفسه سوف يأتي لشعبه ويبحث عن خروفه الضال.

ويبدو أن يسوع، ينظر إلى مز ٢٣ ويقول لنفسه:

«توجد مادة جيدة هنا، ولكن القصة في حاجة إلى «تحديث». إن البداية التي تتحدث عن راع صالح يذهب وراء خروف ضال لا بأس بها. وإعداد مائدة خاصة لشخص واحد لا بأس به أيضًا. ولكن داود لم يدمج هذين العنصرين في مزموره. سوف أعيد كتابة القصة، وأضع هذين العنصرين معًا، وأضيف إليهما وجود المجتمع وأضع نفسي في مركز كل شيء ولكن يسوع لم يكتف بذلك. فبعد هذه المناقشة المذهلة للراعي الصالح والخروف الضال، فهو يقدم صورة درامية للمرأة الصالحة والدرهم المفقود.» ونتجه الآن إلى المثل الثاني.

# هوامش الفصل السابع

1. This Chapter is revised and expanded from K. E. Bailey, *Finding*, pp. 54-92.

2. I have called this "step parallelism"; cf. K. E. Bailey, *Finding*, pp. 45-47.

3. In the rabbinic tradition, a parable is called a *mashal*, and the extra interpretive information attached to it is called *nimshal*. Cf. C. Thoma, "Literary and Theological Aspects of the Rabbinic parables," pp. 26-41.

4. *Yeshobeb* is an intensive form of the verb *shub*.

5. These details have explained to me by shepherds in Lebanon and the West Bank in Israel/ Palestine.

6. My translation here is a literal rendering of the Hebrew text. Does it mean "God's days"? Such an understanding is behind the use of the word *forever* in the King James Version. But perhaps it means "our days"; the NRSV chooses this option and translates the verse as "*my whole life long*." Could it be both?

7. The book of Zechariah (9: 16; 10: 2-3, 11: 3-17; 13: 7-9) has many of the same shepherd images. The bad shepherds, the flock of God and the incarnation of God as the good shepherd who brings them back (*shub*) all appear in the text. Yet, these themes are random images scattered through a number of prophetic oracles rather than a structured story with a biblical lineage. For this reason these texts have been left out of this discussion.

8. Cf. numbers 2, 7, 9 and 10.

9. Cf. numbers 3, 4, 5 and 6.

10. The smae information is also given to the reader of Matthew, where the genealogy of Jesus includes Jesus (Mt 1: 1- 17) and Joseph is addressed by the angel as "Joseph, son

of David" (Mt 1: 20; cf. also 12: 23; 15: 22; 21: 9). In Mark 10: 47 the blind beggar addresses Jesus with "Jesus, Son of David."

11. In the story line the parable makes sense. The assumption is that the shepherd has an assistant who takes responsibility for the rest of the flock in the temporary absence of the shepherd.

12. A. J. Hultgren, *The Parables of Jesus*, p. 60.

13. The eminen Israeli scholar David Flusser authored a thought-provoking essay in which he discusses the fact that the great Rabbi Hillel (one generation before Jesus) did exactly the same thing; cf. "Hillel's Self-Awareness and Jesus," in D. Flusser, *Judaism*, pp. 509-14.

14. *The Book of Common Prayer According to the Use of the Episcopal Church* (New Youk: Oxford University Press, 1990), p. 326.

15. A similar movement will be observed below in studying the father in the Old Testament (as a model for God) and the figure of the father in the parable of the Prodigal son.

16. Habkkuk 2: 20 reads, "The LORD is in his holy temple;/ let all the earth keep silence before him."

17. Cf. Psalm 139: 7-12; "Whither shall I flee form thy presence?" (v. 7).

18. The Greek word for "repentance" in this text is *metanoeō.* This word is a New Testament Greek equivalent to the Hebrew word *shub.*

19. G. F. Moore, *Judaism*, 1: 507-34. For a second highly respeccted study of the rabbis, cf. E. E. Urbach, The Sages. Urbach discusses repentance in a variety of places as evidenced in the following discussion.

20. G. F. Moore, *Judaism*, 1: 117.

21. Sirach 18: 21-22 (as translated by E. E. Urabach, *The Sages*, 1: 467). The key word is *dikaiothenai,* which Urbach rightly translates "to be justified."

22. Babylonian Talud, *Yoma* 86b.

23. *Pesikta*, f. 158b, edited by Martin Buber (quoted by G. F. Moore, Judaism, 1: 533).

24. E. E. Urbach, *The Sages* 1: 463- 64.

25. E. E. Urbach, *The Sages*, 1: 469. His quote is from the Tosefta, *Sotab* 13: 5.

26. The Passage is taken form *Pesiqta Rabbati*, f. 163b; cf. G. F. Moore, *Judaism*, 1: 530.

27. The Passage is taken form *Pesiqta Rabbati*, f. 185a; cf. G. F. Moore, *Judaism*, 1: 530-31.

28. E. E. Urbach, *The Sages* 1: 462- 71.

29. E. E. Urbach, *The Sages* 1: 463.

30 THe Hebrew word *haburah* survives in this verse in a medieval Arabic version of the Gospel of Luke. Cf. Vatican Arabic # 18.

31. This section is revised from K. E. Bailey. *Finding*. p. 92.

## الفصل الثامن

# الدرهم المفقود

وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات (لو ١٥: ٨- ١٠)

يحتوي هذا المثل على الأقل على ثلاث نقاط ذات أهمية خاصة، أولاً، لماذا يروي يسوع قصة عن امرأة؟ ثانيًا، ما معنى القصة، وما الذي تقوله ولم يُشر إليه من قبل في القصة الأولى؟ وأخيرًا، ما أهمية هذا المثل لموضوع العلاقة بين يعقوب والابن الضال؟

قبل الاتجاه للتأمل في هذه الأسئلة الثلاثة، فإن الأسلوب البلاغي المتميز للمثل يستدعي الفحص «شكل توضيحي رقم (٧).» وسوف يعقب ذلك القليل من الملاحظات على الخلفية الثقافية للمثل.

| | |
|---|---|
| ١- أو أي إمرأة لها عشرة دراهم | مقدمة |
| ٢- إن أضاعت درهمًا واحدًا | أضاع |
| ٣- ألا توقد سراجًا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده | وجد |
| ٤- وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة «افرحوا معي» | فرح |
| ٥- لأني وجدت الدرهم | وجد |
| ٦- الذي أضعته | أضاع |
| ٧- هكذا أقول لكم يكون فرح قدام الله بخاطيء واحد يتوب | ختام |

**شكل توضيحي رقم (٧) المرأة الفاضلة، والدرهم المفقود (لو ١٥ : ٨-٣١)**

كما رأينا في الشكل التوضيحي رقم (٧)، فإن المثل ينقسم إلى سبعة مقاطع شعرية/وحدات مختصرة.[1] وبملاحظة الكلمات الرئيسية على يسار النص، يتضح الشكل المقلوب للمثل. هناك أربع

أفكار مقدمة، والذروة في المنتصف تصف احتفالاً في البيت مع الصديقات. ثم تبدأ الأفكار في التكرار المعكوس، ويختتم المثل بتفسير لمعناه. هذا التركيب نو المشاهد السبعة هام لفهم المثل ككل. ما الذي يمكن أن يُقال إذن عن الخلفية الثقافية والجغرافية؟

لقد أسَّس يسوع مقرًا رئيسيًا لخدمته الجهارية في كفر ناحوم على الشاطئ الشمالي لبحر الجليل. وفي تلك المنطقة كانت المادة المستخدمة لبناء البيوت في الماضي، وما زالت تستخدم هي البازلت الأسود الجميل. كانت البيوت القروية البسيطة المكونة من حجرة واحدة تعادل في حجمها تقريبًا (جراجًا) أمريكيًا. يتسع لسيارة واحدة. ولم تكن النوافذ سوى فتحات صغيرة للتهوية في الجدران، حوالي ٣ بوصات في الارتفاع وتقع على ارتفاع حوالي سبعة أقدام من الأرض،[٢] كان الفقراء يستخدمون أحجارًا مسطحة من البازلت لتبليط الأرضية بينما كانت الكتل الكبيرة من البازلت تمتد من قوس إلى قوس لتكوين الأسقف،[٣] ولما كانت الجوائط والأرضية والسقف مكون من الحجر الأسود، وفي غياب النور تقريبًا بسبب فتحات التهوية التي لا يزيد اتساعها على ثلاث بوصات، فلا عجب أن اضطرت المرأة أن تُضيء مصباحًا وتفتش باجتهاد بحثًا عن درهمها المفقود.

والعملة المذكورة هي الدراخمة التي بطل تداولها في أيام نيرون[٤] واستُبدل الدينار بها[٥] وفي وقت يسوع كانت الدراخمة هي الأجر اليومي للعامل. وكانت عشرة دراهم مما كان لدى المرأة تعادل ثُلث الأجر الشهري. ونظرًا لأن الاحتمال الأكبر أن المرأة كانت متزوجة، فقد كان زوجها يثق فيها، وذلك كان يدل على أنها امرأة جديرة بالثقة، مثل المرأة الفاضلة المذكورة في أمثال ٣١ : ١٠-٣١ [٦]. هذه المرأة الفاضلة كالراعي، تستضيف الصديقات والجارات. وفي تلك المناسبة، كانت أكثر صراحة وأمانة من الراعي، الذي أخبر أصدقاءه عن الخروف «الضال». ولكنها على النقيض من ذلك تخبر صديقاتها عن «الدرهم» الذي أضاعته معترفة جهرًا بأن فقد الدرهم كان نتيجة لغلطتها.

## لماذا المرأة؟

بهذه الخلفية السابقة من الطبيعي أن يبرز السؤال، لماذا يسرد المسيح القصة عن امرأة؟ السؤال هام. كان يمكن للمسيح أن يسرد مثلاً عن رجل فقد درهمه. ولقد سرد مثل هذه القصة الربّي فيليان، وهو من حكماء القرن الثاني للميلاد. وهي كالتالي:

إذا فقد رجل أي عملة في بيته مهما كانت ضئيلة كالأوبول مثلاً (١/٦ دراخما) فإنه يوقد سراجًا بعد

سراج، وفتيلاً بعد فتيل، حتى يجده. فهل من المنطقي: أنه إذا كان لأجل هذه الأشياء الأرضية السريعة الزوال يوقد كل هذه السُرج والمصابيح حتى يجد مكانها، أفلا يصح أن يفتش عن كلمات التوراة التي تُعد بمثابة الحياة لهذا العالم والعالم الآتي والتي تعد كنوزًا مدفونة؟[٧]

بعد قراءتي لقصة الربّي فيليان، على المرء أن يتساءل: إذا كان الرجل اليهودي الشرقي بإمكانه أن يفتش عن الدرهم المفقود دون أن يفقد كرامته، فلماذا أخبر يسوع هذه القصة عن امرأة؟ الإجابة بسيطة: لقد كانت النساء بالنسبة له على نفس قدم المساواة في الأهمية مع الرجال. بل إن العهد الجديد كله يضع النساء على قدم المساواة مع الرجال.[٨] إن هذا العمل لإعادة المرأة إلى مكانها اللائق بها كندٍ للرجل يبدأ بأعمال وتعاليم يسوع. ويدعم ذلك إدراج النساء ضمن تلاميذ يسوع.

إن الفكرة الشائعة في الكنيسة هي أن جماعة التلاميذ تتكون من الرجال فقط، ولكن من المؤكد أن هذا قول يجافي الحقيقة[٩] وهناك عدد من النصوص توضح ذلك ومن بينها ما يأتي.

١- إن الكلمة (mathētria) (تلميذة) في صيغتها الأنثوية تظهر في أعمال ٩: ٣٦ منسوبة إلى طابيثا (غزالة).

٢- في متى ١٢ : ٤٦-٥٠ تقترب عائلة يسوع منه وتريد أن تتحدث معه. فيجيب قائلاً: «مَنْ هي أمي ومَنْ هم إخوتي؟» ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي وإخوتي! لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي».

طبقًا لثقافة الشرق الأوسط، من المستحيل أن تشير إلى حجرة مليئة بالرجال وتقول مثل هذا القول. يمكن للمرء أن يقول: «ها أخي، وابن عمي (خالي) وعمي (خالي)»، ولكن ليس «ها أخي وأختي وأمي»[١٠] إن العبارة الأخيرة يمكن أن توجه فقط لجمهور من «الرجال والنساء» ولكن يسوع يقول مثل هذا الكلام، وهو يشير إلى الذين أمامه، وهو يدعوهم «تلاميذ». ولا شك أن هناك نساء بين الحاضرين.

٣-أكثر النصوص دلالة ذلك النص الوارد في لوقا ٨ : ١-٣ والذي يقول إن رجالا ونساء في جماعة الرسل كانوا يسافرون معًا من قرية إلى قرية. وزد على ذلك، فقد كانت النساء تصلين لأجل انتشار الكلمة، وهناك رجل (لوقا) يعلن تلك الحقيقة المدهشة علنا بإدراجها في إنجيله. لقد أمدت الكنيسة لوقا بهذه المعلومة. «على الرغم من غرابتها»، وقد سجلها بدوره في إنجيله بأمانة.

٤- مريم، أخت مرثا، «جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه» (لو ١٠ : ٣٩). كان الجلوس عند قدمي" ربّي يعني أن تصبح تلميذًا لذلك الربّي. وقد استخدمت نفس العبارة عن بولس في إشارة لتلمذته «عند رجلي غمالائيل» (أع ٢٢ : ٣). بعد أن لاحظنا وجود النساء بين التلاميذ، من السهل أن نفهم تعليم يسوع الذي يعكس تواجدهن. ويتضمن هذا التأكيد أمثلة من اختبارات حياة النساء، والأمثلة متوفرة بالفعل.

يروي يسوع في أغلب الأحيان أمثلته في ثنائيات: قصة من الحياة اليومية للرجال وأخرى من عالم النساء. وكما ذكرنا من قبل، فإن يسوع يقول: «أنتم نور العالم». ثم يوضح ما يعنيه باستخدام استعارتين: المدينة الموضوعة على الجبل والسراج الموضوع على المنارة في البيت (مت ٥ : ١٤-١٥). والجميع يعلمون أن الرجال يبنون المباني وأن النساء يوقدن السراج في البيوت اليهودية. وفي مناسبة أخرى، يُعلِّم يسوع قائلاً: «ملكوت الله.... يشبه حبة خردل أخذها إنسان وألقاها في بستانه» (لو ١٣ : ١٨-١٩). ثم يمضي فيقارن ملكوت الله «بخميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق» (لو ١٣ : ٢٠-٢١). يشير المثل الأول إلى عمل شائع لدى الرجال، بينما يعكس الثاني خبرة نسائية. والمثل المزدوج عن الراعي الصالح والمرأة الفاضلة مثال آخر على هذا الالتزام بالإشارة لكل من النساء والرجال.

يمكننا أن نضيف إلى ذلك الدليل الآخر المستمد من أن إنجيل لوقا يحتوي على سلسلة لافتة للنظر من القصص المتوازية التي تقارن بين الرجال والنساء.[١١] وفي القسم الأوسط من إنجيل لوقا وحده نلاحظ ما يأتي:

- كان يعوز كلا من مرثا (لو ١٠ : ٤١-٤٢) والرئيس (لو ١٨ : ٢٢) شيء واحد.
- يوجد مثلان يؤكِّدان على استجابة الصلاة (لو ١١ : ٥-٨؛ ١٨ : ١-٨).
- ذكر يسوع أهل (رجال) نينوى وملكة التيمن جنبًا إلى جنب (لو ١١ : ٢٩-٣٢).
- تطبيق مبدأ العدالة بالنسبة للخدم من ذكور وإناث (لو ١٢ : ٤٥-٤٦).
- الانقسامات بداخل البيت تشمل الرجال والنساء (لو ١٢ : ٥١-٥٣).
- شفاء كل من امرأة ورجل في يوم السبت (لو ١٣ : ١٠-١٦؛ ١٤ : ١-٦).

- شفاء كل من «ابنه إبراهيم» (لو ١٣ : ١٦) و «ابن إبراهيم» (لو ١٩ : ٩).
- مثل حبة الخردل والخميرة يوضح الملكوت (لو ١٣ : ١٨-٢١).
- من المتوقع من التلاميذ أن يكرموا يسوع فوق العائلة (مع ذكر كل من الرجال والنساء، لو ١٤ : ٢٦-٢٧).
- هناك تشابه بين الدرهم المفقود والخروف الضال (لو ١٥ : ٤-١٠).
- وصف أيام مجيء ابن الإنسان يحتوي على أمثلة عن النساء والرجال (لو ١٧ : ٣٤-٣٥). كما ذكرنا، فإن بعض هذه الثنائيات من الذكور والإناث تنسب إلى يسوع. وقد يكون البعض الآخر اختيارات جمعها لوقا من مصادر رسولية. وقد يكون هو نفسه مسئولاً عن البعض الآخر. وعلى أي حال، فالرسالة واضحة: بدءًا من يسوع وامتدادًا حتى عصر الكنيسة الأولى، وهناك جهود مشتركة لجمع شمل الرجال والنساء معًا على كل مستويات الشركة الجديدة التي تكونت حول يسوع، مسيح الله.(١٢) ولكن بالنسبة ليسوع هناك المزيد.

لقد رأينا أن الأسفار العبرية تؤكد أن الله شخص، وليس قوة مجهولة لا شخصية. ولتوصيل هذه الفكرة للناس، كان لابد من استخدام الاستعارات الشخصية. وكان على الأنبياء توظيف لغة المجاز التي تشتمل على أشخاص من البشر من الرجال والنساء معًا. وقد ذكرنا استعارات من سفر المزامير. ونضيف إلى ما تقدم صورتين تظهران معًا في سفر اشعياء:

«الرب كالجبار يخرج

كرجل حروب ينهض غيرته

يهتف ويصرخ

ويقوى على أعدائه

قد صمت منذ الدهر

سكتُ تجلدت

كالوالدة أصيح

أنفخ وأنخر معًا» (إش ٤٢: ١٣-١٤).

وقد سبق أن استشهدنا بما جاء في مزمور ١٣١، بما فيه من صورة أنثوية منسوبة إلى الله. وهناك حالة واضحة أخرى تظهر في إشعياء ٦٦ : ٧-٩، حيث يشبِّه النبي أورشليم بالأم. ويشبه المحبين العائدون إليها بأطفالها الصغار، الذين يشربون من ثدييها ويدللون على ركبتيها (أورشليم) (إش ٦٦ : ١٠-١٢). وفجأة، يتجه التشبيه اتجاهًا آخر:

«كإنسان تعزيه أمه

هكذا أعزيكم أنا

وفي أورشليم تُعزَون» (إش ٦٦ : ١٣)

من الواضح هنا، أن أورشليم قد أصبحت مكانًا للتعزية. والله الآن هو المعزي الذي يعزي كالأم.

وفي الختام، فإن يسوع يُرسي تقاليد مبنية على ما جاء في الأسفار العبرية من مساواة بين الرجال والنساء، وهي تقاليد مبنية على ما جاء في سفر المزامير وفي الشهادة النبوية لطبيعة الله. ومع وجود تلميذات ليسوع من النساء، ونظرًا لرغبته في الحديث إليهن على مستوى عميق كما يتحدث إلى الرجال، فإنه يضيف مَثَل المرأة الفاضلة إلى قصة الراعي الصالح. ولكن ما الذي يقوله يسوع في المثل؟

## مجموعة العقائد اللاهوتية المستمدة من مَثَل الدرهم المفقود:

## موضوعات متشابهة

هناك سبعة موضوعات لاهوتية في هذا المثل مشابهة لتلك الموجودة في المثل السابق ولكن لها دلالاتها المتميزة الخاصة بها.

١- **القيادة الخاطئة:** امرأة مهملة تضيع درهمها.

٢- **النعمة الغنية:** المرأة الفاضلة توقد سراجًا وتفتش باجتهاد لكي تجد الدرهم المفقود.

٣- **الكفارة:** بفضل اجتهادها تنجح المرأة في مسعاها. والدرهم لا يمكن أن يجد نفسه.

إن موضوع الاسترداد عن طريق بذل الجهود المضنية واضح بطريقة لا يخطئها أحد. وهذا الاسترداد جزء لا يتجزأ من الكفارة.

٤- **الخطية**: الجنس البشري هنا مشبِّه بدرهم لا قيمة له لضياعه وسط القانورات بين شقوق الأرض الحجرية في غرفة مظلمة.

٥- **الفرح**: الصديقات والـ haberoth (الجارات) يفرحن مع المرأة واحتمال أن يوجهن إليها اللوم على مجهوداتها للبحث عن الدرهم المفقود فكرة سخيفة. السماء نفسها تفرح بخاطئ واحد يتوب. فكيف لا يستطيع الـ حبريم (الفريسيون) أن يفهموا ذلك؟

٦- **التوبة**: الدرهم المفقود جماد ومع ذلك فهو رمز للتوبة. إن مأمأة الخروف تقدم بعض العون للراعي الذي يبحث عن خروفه الضال. ولكن هنا، فإن عبء عملية البحث والإنقاذ يقع على عاتق المرأة. وهكذا، مرة أخرى "توجد فكرة التوبة" (القصة الثالثة سوف توضح مدى أهمية قبول الابن الضال للعثور عليه. والتأكيد هنا على جهود المرأة في التفتيش والعثور على الدرهم).

٧- **الإيمان بشخص المسيح**: تمثل القصة الأولى «يسوع الراعي الصالح». ويعكس هذا النص الفكرة بأن يسوع يمثل «المرأة الفاضلة» أيضًا.

## مجموعة العقائد اللاهوتية المستمدة من مثل الدرهم المفقود

### معاني جديدة

في نفس الوقت، لا يمكن للقارئ أن يتخطى المثل بالقول «نعم، لقد بحثنا هذا الموضوع من قبل في القصة الأولى». إن هذا المثل المشابه يخلق معاني جديدة لم تتطرق إليها القصة الأولى.

يمكن ملاحظة ما يأتي:

١- **القيمة الثابتة للدرهم**: إن القيمة غير المتغيرة للدرهم لها تأكيد فريد (متضمن) في هذا المثل. قد يكون الخروف مريضًا وقد يتأثر صوفه نتيجة لذلك. وقد تتأثر شخصية الابن الضال فيصبح تعيسًا ومرتبكًا عاطفيًا بسبب التجارب التي مر بها في الكورة البعيدة. فإذا كان كذلك، فإنها تترك ندوبًا في حياته. ولكن الدرهم لا يفقد شيئًا من قيمته السابقة بسبب ضياعه.

٢- **قيمة النساء**: إن قارئ إنجيل لوقا قد أدرك لتوه الموضع الذي شبَّه يسوع نفسه فيه بالدجاجة (لو ١٣ : ٣٤). وهنا فهو كالمرأة الفاضلة. في المثل الأول يقول يسوع لسامعيه الفريسيين «يجب أن تكونوا مثل هذا الراعي (القذر)». وفي هذا المثل فهو يؤكِّد قائلاً: «أنا مثل هذه المرأة! أنا أبحث عن

الضالين. يجب أن تفعلوا كذلك». وباختيار يسوع لهذا التشبيه فهو يرفع من قدر جميع النساء.

٣- **أمل النجاح في العثور على الضال:** هناك تسليط للضوء على هذه الفكرة. إن نتيجة بحث الراعي، على الرغم من تصميمه، غير مؤكدة. فعليه أن يبحث في البرية الواسعة الخالية. ولكن ليس الحال هكذا مع المرأة التي ليس لديها خادمة بل تقوم بعملية الكنس بنفسها. وهي لا تنظر إلى خارج البيت لأنها تعلم أن الدرهم في البيت. وتفاصيل القصة تساعد القارئ على إدراك أن خلفية المثل عبارة عن منزل لفلاح بسيط مكون من حجرة واحدة. وقد كانت هذه المنازل في حجم الجراج الذي يتسع لسيارة واحدة ولا يحتوي سوى على القليل من الأثاث. والمنزل مظلم حتى أثناء النهار، وليس به نوافذ – مجرد فتحات صغيرة للتهوية. في مثل هذا المنزل لا توجد أماكن كثيرة يمكن أن يكون فيها الدرهم دون أن يلحظه أحد. واجتهاد المرأة قد كفل لها النجاح في مهمتها. فالدرهم موجود في البيت على وجه التحديد، ويمكن العثور عليه.

## أهمية المثل بالنسبة ليعقوب والابن الضال

أخيرًا، نأتي إلى السؤال الثالث: لماذا يُعدُّ هذا المثل هامًا بالنسبة للموضوع الأشمل الخاص بيعقوب والابن الضال؟ سوف نبحث هذا الموضوع بالتفصيل عند تسليط الضوء على الأم في قصة يعقوب. ولكن، يكفي هنا بيان موجز.

لو كان المسيح، كما يفترض البعض، يعيد كتابة قصة يعقوب، فإن تلك القصة تحتوى على أب (إسحاق) وأم (رفقة). ولكن المثل الذي ذكره يسوع من الابن الضال ليس به أم، لماذا؟ الإجابة البسيطة هي أن يسوع قد رفع من قدر الأب في قصته الجديدة من أب شرقي (إسحاق) وصاغه من جديد كشخصية مجازية تمثل الله. ولا يمكن ليسوع أن يستخدم استعارة مزدوجة في مثل واحد دون مساس بفهمه لوحدانية الله. فإذا كانت القصة الجديدة بها أم وأب، فهذا يعني أن هناك إلهين، أحدهما ذكر والآخر أنثى. يروي يسوع ثلاث قصص، ولكن لكل منها شخصية محورية واحدة. هناك راع واحد (ليس راعيًا وزوجته). وبنفس الطريقة هناك امرأة واحدة (وليس المرأة وزوجها). وأخيرًا، فالأب ليس له زوجة. إن وحدانية الله محفوظة، والله الذي هو روح ولا يمكن أن يكون ذكرًا أو أنثى يصور كمن يجمع بين صفات كل منهما.

ويعد ذلك في تناغم مع قصة الخلق حيث خُلق الإنسان على صورة الله. يقول: فخلق الله الإنسان

على صورته.... ذكرًا وأنثى خلقهم (تك ١ : ٢٧).

يوضح هذا النص أن كلاً من الذكر والأنثى قد خُلقا على صورة الله، وإذا كان ذلك صحيحًا فلابد أن طبيعة الله تشتمل على الطبيعتين معًا. إن القصص الثلاث التي نحن بصددها امتداد لنفس هذا الفكر اللاهوتي، وقصة المرأة الصالحة جزء لا يتجزأ من تلك المنظومة من القصص ككل.

وبالإضافة لذلك، وكما سنرى في مناقشة قصة يعقوب، فإن رفقة تعتبر شخصية كثيرة العيوب وهي تخدع زوجها وابنها الأكبر بلا خجل. وبعد ذلك المشهد لا نسمع عنها شيئًا مرة أخرى حتى موتها. إن يسوع يسقطها كلية من قصته الجديدة (المبنية على القصة القديمة) ولكنه يضع في مكانها شخصية نسائية إيجابية قوية وهو يصوغ مثل النساء الصالحات. ونتيجة لذلك، فإن مستمعيه من النساء (والذكور) كان بإمكانهم أن يتعلموا ويتأثروا من مثل الراعي الصالح، والمرأة الصالحة والأب الصالح. فالشخصيات الثلاث صور لله، وفي هذا المثل الثلاثي يصبحون جميعهم صورًا ليسوع.[١٤] ولذلك فإن إدراج هذه القصة للمرأة الصالحة يصبح جزءًا هامًا من استراتيچية يسوع وهو يؤلف قصة جديدة عن السبي والعودة بناءً على النموذج المستمد من قصة يعقوب.

المثل الثالث في هذه الثلاثية يمثل ذروتها. دعنا نتجه الآن لهذه القصة.

# هوامش الفصل الثامن

1. The material in this chapter is revised from K. E. Bailey, *Finding*, pp. 93-108.

2. Reconstructions of such homes in Chorazin (overlooking the Sea of Galilee) have windows that look like gun slits. Significantly the word *thura* (door) appears twenty times in the Gospels, but the word *thuris* (window) is completely absent from all four Gospels. Doors were an imporatnt functional part of life. windows were not.

3. Cf. V. C. Corbo, *The House of St, Peter at Capharnaum*, p. 39.

4. Nero ruled Rome A. D. 54- 68.

5. Cf. Fitzmyer, *Luke*, 2: 1081. The word *drachma* occurs only here in the entire New Testament. Its presence in the text is another piece of evidence for the authenticity of the parable as a creation of Jesus. Luke leaves this reference to the archaic *drachma* in the text rather than "contemporizing" the account by changing it into a denarius.

6. Ben Sirach (Ecclesiasticus) specifically warns the husband with an evil wife to lock things up, to issue supplies by number and weight, and to keep careful written records (Sirach 42: 6-7). Cf. K. E. Bailey, "Women in Ben Sirach and in the New Testament," pp. 56-73.

7. *Midrash Rabbah, Song of Songs* 1. 1.9, ed. Freedman and Simon, 9: 11.

8. For a full discussion of this topic, cf. K. E. Bailey, "Women in the New Testament: A Middle Eastern Cultural View," *Anvil* 11 (1994): 7-24.

9. The original twelve apostles were all men. The woman Junia is called an apostle in *Romans* 16: 7; cf. J. D. G. Dunn, *Romans*, 2: 894.

10. This is not a uniquely Middle Eastern attitude. Is there any culture, East or West, where a

speaker can gesture to a group of men and say, "Here are my sister and mother"?

11. My own study has unearthed twenty-seven such parallel passages in Luke alone; cf. K. E. Bailey, *Finding*, pp. 97-99.

12. So far I have discovered no cases of a rabbi presenting two parallel metaphors or parables, one from the world of men and a secound from the life experience of women. But the rabbis did on occasion make men parallel with women in their accounting of the tradition of the past. One such example occurs in the *Midrash Rabbah, Sonf of Songs* (2.7.1, 2.9.4.). where the patriarchs and matriarchs are mentioned together in parallel; cf. Freedman and Simon, 9: 113, 121. (This Midrash is generally Knwon to be compiled in Palestine. Its date of composition is unknown, but much of the material is from early sources, some of them pre-Christian. For our purposes it should be noted that it reflects community attitudes that were available to Jesus. He Participated in a tradition that he could expand upon.)

13. THe Hebrew word *adam* is rightly translated "humankind." In this text it is not a title.

14. In the Epistles all three become images for early Christian leadership, Paul sees himself as a "father" to the Corinthians (1 Cor 4: 15). He tells the Galatians that he is "*in travail* until Christ be formed in you!" (Gal 4: 19). Peter tells his readers to "be *shepherds* of God's flock: (1 pet 5: 2 NIV).

## الفصل التاسع

# البحث عن الضال

## مَثَل الابنين الضالين (لو ١٥ : ١١-٣٢)

قبل الاتجاه للتأمل في أوجه الشبه والاختلاف بين يعقوب والابن الضال، يجب أولاً فحص المثل الشهير نفسه.[١] إن هدفي هو مقارنة قصة يعقوب بمثل الابن الضال كما قصد يسوع أن نفهمه. ولكي نفعل ذلك من الضروري أن نلاحظ الأسلوب البلاغي الدقيق والتركيبي للمثل ثم نتجه إلى سلسلة من المعضلات التفسيرية المرتبطة بالقصة في فكر الكنيسة.

### أولاً، الأسلوب البلاغي

المثل عبارة عن مسرحية درامية من فصلين. الفصل الأول يمثل السبي (التغرب) وعودة الابن الضال. يركز هذا الفصل على ثلاثة موضوعات في ثلاثة مشاهد، يعقبها حديث الابن الضال في الكورة البعيدة، وينقسم هذا الحديث إلى قسمين. ثم ترد الموضوعات الثلاثة معكوسة (وتقدَّم في ترتيب معكوس). في المشاهد الثلاثة التي تعقب الحديث.

والفصل الثاني من المسرحية عبارة عن دراما الابن الأكبر وأبيه. وفي هذه الحالة، يظهر الإطار الخارجي المتماثل، باستثناء غياب المشهد الختامي. هاتان التحفتان البلاغيتان يمكن تصويرهما في شكل (٨) (صفحة ١٢١).

## الفصل الأول من المسرحية: الابن الأصغر

| | |
|---|---|
| ١- إنسان كان له ابنان | الموت |
| فقال أصغرها لأبيه | |
| «يا أبي، **أعطني** القسم الذي يصيبني من **المال** | |
| فقسم لهما معيشته». | |
| ٢- وبعد أيام **ليست بكثيرة، جمع** الابن الأصغر كل شيء | ضياع كل شيء |
| وسافر إلى كورة بعيدة | |
| وهناك بذر ماله **بعيش مسرف** | |
| فلما أنفق **كل شيء**. | |
| حدث جوع شديد في تلك الكورة | |
| فابتدأ **يحتاج**. | |
| ٣- فمضى والتصق | رفض قاطع |
| بواحد من أهل تلك الكورة | |
| **فأرسله** إلى حقوله **ليرعى خنازير** | |
| وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب | |
| الذي كانت الخنازير تأكله | |
| **فلم يعطه أحد**. | |
| ٤أ - **فرجع إلى نفسه** وقال | المشكلة (؟) |
| «كم من **أجير** لأبي | |
| **يفضل عنه الخبز** | |
| وأنا **أهلك جوعًا**». | |

٤ب- «**أقوم** وأذهب إلى **أبي** وأقول له — الحل (؟)

يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعد أن أدعى لك ابنًا

إجعلني كأحد أجراك».

فقام وجاء إلى أبيه

٥- وإذا كان لم يزل **بعيدًا** — قبول مفرط

**رآه أبوه**

**فتحنن وركض**

**ووقع علي عنقه وقبله.**

٦- فقال له الابن — استعادة كل شيء

«يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك

**ولست مستحقًا بعد أن أدعى لك إبنًا»**

**فقال الأب لعبيده**

«أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه

واجعلوا **خاتمًا** في يده **وحذاء** في رجليه».

٧- «وقدموا العجل المسمن واذبحوه — القيامة

فنأكل ونفرح

لأن ابني كان **ميتًا** فعاش

وكان **ضالاً فوجد**

فابتدئوا يفرحون».

**شكل توضيحي رقم (٨) مسرحية درامية من فصلين**

**الفصل الثاني من المسرحية: الابن الأكبر**

٨- وكان **ابنه الأكبر في الحقل** | يقف بعيدًا

فلما جاء وقرب من البيت

سمع صوت **آلات طرب ورقصًا**

فدعا واحدًا من الغلمان

وسأله **ما عسى أن يكون هذا**

٩- فقال له | أخوك سالمًا

**أخوك** قد جاء، | (وليمة) غضب!!

**فذبح أبوك العجل المسمن**

لأنه قبله **سالمًا**" فغضب ولم يرد أن يدخل.

١٠- **فخرج أبوه** | المحبة المكلفة

**يطلب إليه.**

١١أ- فأجاب وقال لأبيه | أعمالي

«ها أنا **أخدمك** سنين هذا عددها | أجري

وقط **لم أتجاوز وصيتك**

**وجديًا** لم تعطني

لأفرح مع **أصدقائي.**

١١ب- «ولكن لما جاء **ابنك** هذا | أعمالي

الذي أكل معيشتك | أَجْرَهُ

مع **الزواني**

ذبحت له العجل المسمن!»

١٢- فقال له «يا بني | المحبة المكلفة
أنت معي في كل حين
وكل مالي فهو لك».
١٣- «ولكن كان ينبغي أن نفرح | أخوك حي
ونسر **لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد».** | (وليمة) فرح

**الخاتمة التي يتوق الأب بحماس أن تكون نهاية للقصة**

(١٤؟) ودخل الابن الأكبر البيت،

وانضم إلى الوليمة،

وتصالح مع أخيه وأبيه،

وابتهج الأب لأنه وجد الابنين،

وأعادهما إلى الحياة.

## ملاحظات على الفصل الأول من المسرحية (الابن الضال)

كما سنرى فيما بعد، يُفتتح الفصل الأول (١) بالابن الضال وهو يرغب في «موت» أبيه. وفي ختام النصف الأول من المثل، بعد اتمام المصالحة مع الابن الضال، يعلن (٧) الأب أنه قد نقل الابن الضال من الموت إلى الحياة. فالابن الضال الذي يتمنى في البداية موت أبيه، يكتشف أنه هو نفسه «ميت» وفي حاجة إلى «القيامة».

وفي المشهد الثاني (٢) يفقد الابن الضال كل شيء ويفشل في محاولته لاستعادة خسائره. ولكن الأب، في المشهد المقابل (٦)، يرحب به ثم يرده إلى العائلة والمجتمع بأن يلبسه الحُلة الأولى الخاصة به ويعطيه خاتمًا يحمل شعار البيت. رفض قاطع (من قبل الابن) في مشهد (٣) يقابله قبول مفرط (من قِبَل الأب) في مشهد (٥). وفي المنتصف تمامًا يدلي الابن الضال بحديث مقسَّم إلى جزئين (٤أ - ب)

مصاغ بمهارة بهدف اكتساب المزيد من المزايا من أبيه.

## ملاحظات على الفصل الثاني من المسرحية (الابن الأكبر)

تبدأ رحلة الابن الأكبر أيضًا في الحقل (٨) وتتجه نحو البيت، حيث كان يقف بعيدًا. المشهد الأول من هذا الفصل (٨) ليس له مقطع شعري ختامي مقابل نظرًا لغياب الخاتمة. (إضافتي الخيالية للنص تحاول أن تعبر عن نوع الخاتمة التي يتوق الأب لإنجازها بحماس) يطلب الأخ الأكبر بعدئذ تفسيرًا للاحتفالات المقامة (٩) وعند اكتشافه إقامة احتفال بمناسبة مصالحة أخيه مع الأب يغضب ويوجه السباب لأبيه علنًا. في المشهد المقابل (١٣) يرد الأب على ذلك الغضب بالدعوة إلى الفرح. ويظهر الجزء الثالث من الدراما مع الابن الأكبر (١٠) محبة الأب المنكرة للذات، المحبة المقدمة له بثمن أفدح من تلك المقدمة للابن الضال. وتختتم محبة الأب بالعمل (١٠) بالمحبة المعبر عنها بالكلمات (١٢). وفي منتصف هذا الفصل الثاني نجد حديثًا يقدمه الابن الأكبر، ينقسم إلى جزئين (١١أ – ب). وكالحديث المعد مسبقًا من قبل الابن الضال، يحاول الابن الأكبر أيضًا أن يحصل من أبيه على مزايا أكبر. فعلى الأمل، فهو يأمل في أن يذبح له أبوه جديًا، إن لم يكن أكثر من ذلك.

وكما رأينا سابقًا، فكل نصف من المثل يعكس توازيًا معكوسًا، والعبارات المتوازية بين الحديثين تربطان النصفين معًا بطريقة فريدة. إن طيفًا واسعًا من المعاني التي سوف نناقشها فيما بعد يعززها هنا الأسلوب البلاغي للمثل. إن مستمعي/قراء القرن الأول من نوي الثقافة الرفيعة كان في إمكانهم التعرف على المقاطع الشعرية المتقابلة وإدراك مشاعر التوتر الدرامي للنهاية المفقودة بوضوح لدرجة أن جمهور المستمعين من الفريسيين لوحدهم كان في إمكانهم إزالتها بقبولهم ليسوع كالمنقذ والمخلِّص لحياتهم. فالابن الضال يترك حالة الغربة عن طريق قبوله للمصالحة مع الأب. هل سوف يكون الابن الأكبر على استعداد أن يلعب دوره بالقيام بنفس تلك الرحلة؟

نتجه الآن إلى المعضلات التفسيرية المرتبطة بهذا المثل العظيم

## إزالة معضلات التفسير على مدى القرون

من الحقائق التاريخية لتفسير الكتاب المقدس إنه كلما كانت الفقرة مألوفة أكثر، وكلما كانت محورية في حياة وإيمان الكنيسة، كلما اكتسبت المزيد من «معضلات» التفسير. وهناك حالة واضحة لذلك نراها

في قصص ميلاد يسوع.

يعرف الجميع (؟) أن ثلاثة من المجوس زاروا العائلة المقدسة. نحن لا نعرف بالفعل كم كان عددهم. نحن نعرف فقط أنهم أخذوا ثلاثة أنواع مختلفة من الهدايا: ذهبًا، ولبانًا ومرًا. من الممكن أن يكون ثلاثة قد أخذوا الذهب. وربما أربعة ظهروا ومعهم اللبان وثلاثة معهم المر، مما يجعل عدد المجوس عشرة. لا يقول لوقا كم كان عددهم. ويعتقد المسيحي العادي أن يسوع ولد في الليلة التي وصلت فيها العائلة المقدسة إلى بيت لحم، ولكن النص يقول: «وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد» (لو ٢ : ٦): أي، أنهما كانا في المدينة بضعة أيام قبل ميلاد الطفل. والفكرة أن هذه القصة، مألوفة جدًا، وبمضي الوقت، تعددت الوسائل الخاصة لإدراك القصة، في عقول العديد من القراء، حتى إنها قد التحمت مع النص نفسه.

وربما تطورت هذه العملية أكثر بالنسبة لمثَل الابن الضال العظيم أكثر من أي قصة أخرى في العهد الجديد. وقصدي هنا قاصر على مراجعة موجزة لـ ١٥ نقطة في القصة تحتاج لتوضيح في ضوء العالم الثقافي الذي عاش فيه يسوع. وسوف نناقش العديد منها بتفصيل أكثر عندما نتأمل في مقارنتها بقصة يعقوب.[٢] وهذه النقاط هي كالتالي:

١- **الطلب**: يطلب الابن الأصغر نصيبه من الميراث بينما لا يزال أبوه على قيد الحياة وبصحة جيدة. في الثقافة التقليدية للشرق الأوسط، يعني هذا أن الابن الضال لا يستطيع الانتظار حتى يموت أبوه. وكما ذكرنا آنفا، فإذا كان الأب مرتبطًا تقليديًا بثقافة الشرق الأوسط، فإنه سيضرب الولد على وجهه ويطرده من البيت. هل مثل هذا التصرف دخيل على ثقافة الشرق الأوسط؟ بالتأكيد لا. ماذا يحدث لصبي صغير يعمل في مزرعة في أي ثقافة حين يضغط على أبيه ليعطيه نصيبه من مزرعة العائلة، في الوقت الذي يكون فيه الأب، بصحة جيدة، ولا يزال يدير المزرعة؟ ولا شك أن مثل هذا النوع من الطلب يعد مهينًا ومسببًا للسخط في أي مكان في العالم. إن الابن الضال ليس مجرد غلام صغير يريد أن يشق طريقه في الحياة. بل أنه يطالب بشيء لا يصح التفكير فيه في الشرق الأوسط وما وراء ذلك، من المتوقع أن يرفض الأب ذلك، ولكنه لا يفعل.

٢- **المجتمع**: في كثير من الأحيان ينظر إلى هذا المثل كقصة عن ثلاثة أشخاص وليس أكثر من ذلك. ويتم تصوير بيت العائلة على أنه بيت كبير فوق تل منعزل. وليس الحال هكذا. فالأرض الزراعية نادرة

في الأرض المقدسة. وفي وقت كلا العهدين القديم والجديد كانت مساحة القرية العادية تبلغ حوالي ستة أفدنة. ونادرًا ما كان يعيش الفلاحون في الأرض الزراعية الخاصة بهم، بل كانوا يقيمون بدلاً من ذلك في قرية قليلة المساحة ومزدحمة، إن أمثال يسوع هي قصص عن أناس يعيشون في مجتمعات تذكر دائمًا تقريبًا أو يفترض وجودها.

في كل من المثلين الأولين في هذه الثلاثية يُدعى الجيران والأصدقاء لحضور احتفال خاص بهذه المناسبة. وفي هذه القصة بالذات يُباع الميراث للحاضرين. وفي نهاية القصة، يجري الأب في الشارع الرئيسي في القرية على مرأى من كل الناس المحتشدين. وبعد احتضان ابنه الأصغر الضال على أطراف القرية، فإنه يتجه لمخاطبة عبيده (الذين أسرعوا وراءه). وكما كان الحال مع الراعي والمرأة، يدعو الأب الجيران والأصدقاء لوليمة. ولأنه يتوقع عددًا كبيرًا من الناس، فإنه يأمر بذبح عجل وليس خروفًا أو بطة. ويتم استئجار جماعة من الموسيقيين المحترفين في القرية لهذه المناسبة. والابن الأكبر له دائرة من الأصدقاء الذين يعيشون بجواره ويمكنهم حضور الاحتفال لأجله. وبالاختصار، فإن هذا مَثَل عن ثلاثة أشخاص يعيشون في مجتمع، وهذا المجتمع بعيد عن أنظار المستمعين/القراء في كل ما ورد بالمثل. وكل جزء في القصة يتوقع من القارئ/المستمع أن يكون مدركًا لمثل هذا المجتمع البعيد عن الأنظار.

**٣- دلالة الهبة المبدئية التي قدمها الأب.** يهب الأب الحرية للابن الضال في أن يرث ويبيع نصيبه في قطعة الأرض. وفي خمسة مواقف في المثل لا يتصرف الأب بالطريقة التقليدية التي يتصرف بها الأب الشرقي. والموقف الأول هنا عندما يجيب الابن الضال لطلبه. والميراث ذو قيمة كبيرة. فهذه العائلة الثرية تملك قطيعًا من العجول المسمنة وقطيعًا من الماعز. وخدام البيت/العبيد دليل على الثراء. والبيت نفسه يحتوي على قائمة كبيرة للولائم تكفي لاستضافة جمهور من الناس يستطيع التهام عجل مسمن في أمسية واحدة. وبمقدور الأب استئجار موسيقيين محترفين للحفلة. وانتقال مثل هذا الميراث عملية معقدة يجب أن يقوم بها الأب وحده عندما يقترب من الموت (كما في حالة إسحق، التي سوف نلقي الضوء عليها فيما بعد). إذن فما هو دلالة استجابة الأب لهذا الطلب؟

كتب القس إبراهيم سعيد، العالم المصري البروتستانتي في تعليقه على إنجيل لوقا ١٤ باللغة العربية، في سنة ١٩٣٥ يقول:

«الراعي في بحثه عن الخروف، والمرأة في بحثها عن الدرهم، لا يفعلان شيئًا غير عادي يخالف ما يفعله أي واحد آخر لو كان في مكانها. ولكن الأفعال التي قام بها الأب في القصة الثالثة فريدة، وعجيبة، فهي أفعال سماوية لم يقم بها أي أب في الماضي».[٣]

كان القس إبراهيم سعيد عالمًا مسيحيًا مقتدرًا شرق أوسطي. ونظرًا إلى هذا النص وإلى ثقافته الخاصة أكد أن يسوع لا يستخدم أبًا شرقيًا كنموذج لله. في الغرب المعاصر، يتهم يسوع غالبًا بأنه فعل ذلك. ولكن ليس الحال هكذا. بل أن يسوع في رسمه لصورة الأب، قد تخطى كل الحدود التي يلتزم بها الأب في الشرق الأوسط. فلا أب بشري (أو أم) يصلح كنموذج لله. ولعلمه بذلك، فإنه يسمو بصورة الأب إلى ما وراء الحدود البشرية وهو يعيد تشكيلها كاستعارة جوهرية عن الله.

٤- **البيع المتعجل.** يتضمن النص أن الأب (في تحد للتقاليد الراسخة منذ أمد طويل) يمنح الميراث والحق في البيع، عالمًا تمامًا أن هذا الإجراء الذي يعد امتيازًا غير مسبوق سوف يعرض العائلة لفضيحة مدوية.

وقد أشير إلى عملية البيع في العبارة التي تترجم تقليديًا بأنه «جمع كل شيء» (لو ١٥ : ١٣ KJV) أو «جمع كل ماله» (RSV). والفعل اليوناني المستخدم هنا لفظ مالي يعني، «حوله إلى مال سائل (نقدي)».[٤] وعند حدوث ذلك، فإن هذا القطع المريع للعلاقات بداخل العائلة يصبح شأنًا معروفًا للكافة، مما يسبب التشهير بالعائلة في أنظار المجتمع كله. سمح القانون اليهودي في القرن الأول بتقسيم الميراث (عندما يكون الأب على استعداد لإجراء هذا التقسيم) ولكن لم يكن يمنح الأولاد الحق في البيع حتى موت الأب[٥]

«يبيع الابن الضال ما خصه من مال «بعد أيام ليست بكثيرة» (لو ١٥ : ١٣) ويضطر للانتقال بسرعة لأن غضب أهل القرية ضده كان يتصاعد نتيجة لأنه جلب العار على أبيه. إن غضب المجتمع هذا قد مثل ضغوطًا عليه للانتهاء من عملية البيع بأسرع ما يمكن ويغادر القرية[٦] ويبدو الابن الضال غير مبال تمامًا بالألم الذي سببه للعائلة. وكل ما كان يهمه هو تصفية أصوله والخروج من البلدة.

٥- **طقس الـ Kezazah (المقاطعة) في تلمود أورشليم**، وفي مواضع أخرى في كتابات الحكماء،

يُقال لنا إنه في وقت يسوع كان لليهود طريقة لعقاب أي ولد يهودي يضيع ميراث عائلته ليؤول للأمم. وكانت هذه الخسارة بالذات تعد مسببة للعار، وكان الرعب من هذه النصيحة ينعكس في مخطوطات البحر الميت. تقول وصية قهات:

«والآن، يا أولادي، كونوا ساهرين على ميراثكم الذي ورثتموه، والذي أعطاه لكم آباؤكم. لا تعطوا ميراثكم للأمم... لئلا تصغروا في أعينهم، وتصبحوا حمقى فيدوسون عليكم بأرجلهم لأنهم سوف يأتون ليسكنوا فيما بينكم ويصبحون سادتكم»[٧].

وللقضاء على أي فكرة لارتكاب هذه الغلطة المهينة، ابتكر المجتمع ما كان يطلق عليه (طقس الـ Kezazah أي المقاطعة)[٨]. كان أي ولد يهودي يفقد ميراثه لدى الأمم يواجه بهذا الطقس لو تجاسر وعاد إلى قريته. وكان الطقس نفسه بسيطًا. فقد كان القرويون يملأون آنية من الفخار بالجوز المحروق والقمح المحروق ويكسرونها أمام الفرد المذنب. وأثناء ذلك، كانوا يصيحون قائلين: «فلان الفلاني معزول عن أهله». ومنذ تلك اللحظة فصاعدًا، كانت القرية تقطع علاقتها بذلك الغلام البائس، وعند ترك الابن الضال للبلدة، كان يعرف أنه لا يجب أن يضيع أمواله لدى الأمم. ولكنه فعل ذلك. وفي الكورة البعيدة يعيش وسط أناس يمتلكون وبالتالي يأكلون الخنازير فمن الواضح أنهم أمميون. والخوف من فضيحة هذا الطقس والحاجة لكسب المزيد من المال لتعويض خسارته من الجوانب الهامة في المثل.

٦-**العيش المسرف.** أنفق الابن الضال ماله «بعيش مسرف» وليس في «معيشة منحلة» أو «معيشة مستهترة أو خليعة». يقول النص اليوناني إن الابن الضال «بذر» (diaskorpizo) ماله في عيش «مسرف» ( asotos لو ١٥: ١٣). هل هذه الكلمة تعني بالضرورة معيشة غير أخلاقية؟ يقول هولتجرين: «توصف حياة هذا الشاب بأنها حياة تتسم بالتبذير» أو «طائشة وفوضوية» (asotos) - وسواء كانت غير أخلاقية أيضًا أم لا... فهذا لا يتضح من اللفظ اليوناني المستخدم.[٩] لقد ظلت الترجمات السريانية والعربية في الشرق الأوسط (باستثناء واحدة) طيلة ١٨ قرنًا تتجنب أي إشارة للفساد الأخلاقي[١٠] بالنسبة لهذا الشاب. والكلمات المستخدمة في هذه الترجمات تصف معيشة هذا الشاب بكلمات مثل «مسرفة»، «وعاطلة» و «مرفهة» و «مبذرة»[١١] ولا يقدم لنا يسوع لمحة عن كيفية إنفاق الابن الضال لماله.

ويخبر السامع/القارئ فقط بأن الابن الضال كان مبذرًا. وفي نهاية القصة يتهم الابن الأكبر أخاه بتبذير ماله على الزانيات. ولكنه يزعم ذلك بعد وصوله «من الحقل» دون حتى أن يتأكد من أن أخاه قد رجع إلى القرية. من الواضح أنه يريد أن يبالغ في أخطاء أخيه. إن هذا الهجوم الظالم على الابن الضال من قِبل أخيه الأكبر يختفي تقريبًا عند وصف حياة الابن الضال في الكورة البعيدة بعد دراسة الترجمات التي قد توحي بالتسيب الأخلاقي دراسة دقيقة.

٧-**البحث عن عمل.** عندما بدد ماله، كان المفروض أن يرجع الابن الضال إلى بيت أبيه ولكنه كسر القواعد. لقد بدَّد ماله على الأمم وهو يعرف جيدًا أن شماتة العزلة تنتظره إذا عاد إلى القرية خاوي الوفاض. ولذلك، فهو يبذل جهدًا مستميتًا لتعويض خسائره. ولكي يفعل ذلك فهو بحاجة إلى عمل يدر دخلاً وفي مناسبتين يحاول الحصول على ذلك العمل. المحاولة الأولى تمت في الكورة البعيدة. والثانية هى خطة لإحراز النجاح عبر عنها في ليلة عودته إلى البيت. وكلا المحاولتين تستحقان التأمل.

تبدأ الخطة الأولى عندما يصبح الابن الضال راعيًا للخنازير ولكنها لم تنجح. فالنص يؤكد بالقول «فلم يعطه أحد» (لو ١٥ : ١٦). وكخطاب لنكولن في جتسبرج، «فإن هذا المثل لا يحتوي على كلمات زائدة. فكل عبارة مصاغة بمهارة لتحمل المعنى الدقيق. وهذه العبارة تخبر القارئ أن أصحاب الخنازير أطعموا الابن الضال ولكنهم لم يعطوه أجرًا. والمستمع/القارئ اليهودي في القرن الأول يعرف أن الابن الضال يجب أن يعوض المال الذي بدده إذا أراد أن يتجنب العزلة. وبعد أن فشل في محاولته الأولى، فإنه يبذل محاولة أخرى مستميتة لعل الحظ يسانده. إنه سيعود إلى البيت، ويتدرب على القيام بعمل معين، ويحصل على ذلك العمل، ويكتسب مالاً ليعوض به ما فقده!»

إن أباه لديه عبيد. والابن الضال لا يعرض أن يكون واحدًا منهم! عليه أن يحصل على عمل يحصل به على أجر، وهو يعرف أنه لا يمكن لأي عامل ماهر أن يقبله كصبي لديه دون موافقة والده. فكيف يمكنه أن يقنع أباه أن يثق فيه مرة أخرى؟

**٨- ربما يعد أكبر سوء فهم تقليدي سيء للفكر اللاهوتي الصحيح في هذا المثل موجود في الفكرة**

**الشائعة المأخوذة من هذه العبارة «فرجع إلى نفسه»** فكما سنرى، أنه يمكن قراءتها هكذا «وعاد إلى نفسه» والعبارة «فرجع إلى نفسه» تترجم غالبًا بمعنى «أنه تاب» وعندما تفهم بهذه الطريقة، يفقد النص حده القاطع، وتتحطم الوحدة اللاهوتية لهذا الإصحاح. كما ذكرنا، كان على الراعي الصالح أن يتجول في البرية ليجد خروفه الضال. وتوقد المرأة الصالحة سراجًا وتفتش باجتهاد لتجد الدرهم المفقود. إن كلاً من الخروف والدرهم بحاجة «للمنقذ» ولكن إذا استطاع الابن الضال من أن يشق طريقه إلى البيت، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بمجهوداته الخاصة، تكون القصة الثالثة في تناقض تام مع القصتين الأوليين. ففي القصة الأولى يعد الخروف الضال رمزًا للتوبة، والتي قررنا تعريفها بأنها «القبول بالعثور عليه» وتؤكد القصة الثانية هذا التعريف. ولكن إذا تاب الابن الضال توبة حقيقية في الكورة البعيدة وبذل جهدًا للعودة إلى البيت من ذاته، تسود الفوضى اللاهوتية. فإما أن للتوبة مفهومًا مرنًا مفتوحًا لتفسيرين متعارضين تعارضًا مباشرًا، أو أن يسوع نفسه كان مشوش الفكر.

وتعكس المناقشات اللاهوتية في تاريخ الكنيسة التوتر فيما بين فكرة «أن الله يجب أن يذهب للبحث عنا» وفكرة «أننا يمكن أن نعود إلى الله بدون مساعدة» في أوئل القرن الخامس، قال راهب بريطاني يدعي بيلاجيوس (Pelaguis): إن البشر قادرون على إتمام مشيئة الله والعودة إليه دون مساعدة. وعارض أوغسطينوس، من شمال أفريقيا، بيلاجيوس بالإصرار على أن الله، في المسيح، يجب أن يأتي ليخلص الجنس البشري لأنه بدون مساعدة لا يمكن للبشر أن يأتوا إلى الله أو يتمموا إرادته. هل يقدم يسوع الفكرة التي يدافع عنها أوغسطينوس في القصتين الأوليتين وفي المثل الثالث يقدم تدعيما لرأي بيلاجيوس؟ أم أن كل ما في الأمر إنه مشوش الفكر؟ إني أجد أن كلا الاختيارين غير مقبولين. هل هناك بديل؟

لقد رأينا من قبل أنه عند سرد الراعي الصالح استشهد يسوع بمزمور ٢٣. في ذلك المزمور يرد الله نفسي إليه («يرد نفسي» (مز ٢٣: ٣). عندما تقرأ العبارة «رجع إلى نفسه» في ضوء مزمور ٢٣، يظهر لنا معنى جديد. فالله أرجع المرنم (إلى الله) وجعله يتوب. ولكن الابن الضال سوف يحل مشكلاته الخاصة: رجع إلى نفسه. انظر شكل ٩ للمقارنة.

| مزمور ٢٣ : ٣ | لوقا ١٥: ١٧ |
|---|---|
| النص | النص |
| يرد (الله) نفسي إلى الله | الابن الضال يعمل ليعود إلى نفسه |
| العامل: الله | العامل: الابن الضال |
| هدف العودة: الله | هدف العودة: نفسه |

**شكل توضيحي رقم (٩): التوبة في مزمور ٢٣ ولوقا ١٥**

«من» يفعل «ماذا» بالنفس؟ بالنسبة للمرنم، الله يرد نفسي إلى الله، بينما بالنسبة للابن الضال، فهو يعود إلى نفسه.[١٢]

تحتوي طبعات العهد الجديد باللغة العربية في سنة ١٢٠٠ وهي السنة الغنية بهذه الطبعات عددًا من الترجمات التي تلقي كثيرًا من الضوء على عبارة «رجع إلى نفسه» فبعضها يقول: «أصبح ذكيًا»، والبعض الآخر يترجمها هكذا «أخذ يهتم بنفسه»، وأيضًا نجد عبارة: «فكر في نفسه» ثم «خطر على باله»، كل هذه الترجمات لم تر أن الابن الضال في الكورة البعيدة يتوب. وهناك مترجمون مسيحيون آخرون يرجعون للنص في اللغة العربية يستخدمون عبارة «عاد إلى نفسه». وقد استمرت هذه الترجمة لأكثر من ألف سنة في نصوص الأناجيل المسيحية الشرقية، وقد ظهرت طوال المائتي سنة الأخيرة كثيرًا. فما الذي توحي به؟

كما رأينا القصتين السابقتين، فإن التوبة تعني «العودة» أيضًا. إن داود يؤكد إنه لا يستطيع أن «يعود» (Shub) من نفسه: الله، الراعي الصالح، يجب أن يذهب وراءه، والعودة به إلى الله. وكما ذكرنا، فنفس الفكرة اللاهوتية مقدمة في مثل المرأة والدرهم المفقود. ولكن هنا، يقول النص «إن الضال عاد إلى نفسه»، وليس إلى أبيه». وهكذا فمجموعة النصوص التي فحصناها تقدم ثلاثة أنواع من العودة. وهي:

* بالنسبة لداود (مز ٢٣) ويسوع (لو ١٥: ٢-١٠): العودة إلى الله.

* بالنسبة لإرميا (إر ٢٣: ١-٨) وحزقيال (حز ٣٤: ١-٣١): العودة إلى الأرض.

* بالنسبة للابن الضال (في الكورة البعيدة): العودة إلى نفسه.

إن الابن الضال لا يعود إلى الله ولا إلى الأرض. بدلاً من ذلك، أنه يعود فقط إلى "نفسه"! وبالنسبة للخطة التي فكر فيها ليحرز نجاحًا فإن الأب مجرد وسيلة يستخدمها ليحصل على ما يريد، ليحصل على شيء يأكله! إن السؤال البارز الذي تثيره هذه الترجمة العربية الذكية هي: على أساس النص اليوناني هل هذه الترجمة مشروعة؟

يقول نص لوقا حرفيا «رجع (erchomai) إلى نفسه». والفعل erchomai يستخدمه لوقا عددًا من المرات بمعنى «يعود» وإحدى هذه المرات نجدها في أعمال ١: ١١ «أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي (erchomai) هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء».

من الواضح، إنه في هذا النص فإن كلمة erchomai تحمل معنى «يعود» وبالإضافة لذلك. هناك حالة في الترجمة اليونانية للأسفار العبرية حيث الفعل العبري (shub) بمعني (يعود/يتوب) يظهر في النص اليوناني هكذا erchomai [١٣] وفقا لهذا الارتباط فإن حديث الغلام للابن الأكبر في لوقا ١٥: ٢٧ يصبح هامًا. فالابن الأكبر يسأل الغلام عما يحدث. يجيب الغلام «أخوك جاء (ظهر) (hekei) «ولا تستخدم[١٤] هنا الكلمة erchomani (يأتي/يعود). والترجمة الأكثر حرفية في اللغة اليونانية لما جاء في لوقا ١٥: ٢٧ هي «أخوك هنا» تقول ترجمات العهد الجديد العربية المذكورة سابقًا إن الابن الضال «عاد إلى نفسه». وبالمقارنة، فإن نفس هذه الترجمات تخبرنا أن الغلام في لوقا ١٥: ٢٧، يقول «أخوك حاضر (ha dara)». إن هذا التقليد الكتابي الشرق أوسطي يرى بوضوح الابن الضال في الكورة البعيدة وكأنه يعود إلى نفسه"، بينما ما يحتاجه حقًا هو العودة القلبية «لمحبة أبيه وشركته». وعند وصول الابن الضال يقول الغلام «إنه هنا» وليس «إنه عاد». في كل هذه الترجمات العربية لا يرى الابن الضال في الكورة البعيدة بأنه يتوب. فما هو القول إذن فيما يتعلق باعتراف الابن الضال المعد مسبقًا؟

عند الوصول، ينوى الابن الضال أن يقول لأبيه «أخطأت إلى السماء وقدامك» (لو ١٥: ١٨)، ويفهم غالبًا منها أنها دليل على التوبة القلبية. ولكن المستمعين ليسوع ومن بينهم الكتبة والفريسيين يعرفون الكتب المقدسة جيدًا. إنهم على دراية خاصة بقصة سفر الخروج. وهذه الجملة من لوقا ١٥: ١٨ اقتباس

من قول فرعون عندما حاول أن يستميل موسى لرفع الضربات فبعد الضربة التاسعة، وافق فرعون أخيرًا على مقابلة موسى وهرون. وعندما ظهر موسى، كانت العبارة الافتتاحية في حديث فرعون لموسى «أخطأت إلى الرب إلهكما وإليكما» (حز ١٠: ١٦). ويعرف الجميع أن فرعون لم يكن يعبر عن التوبة. كان فقط يحاول استمالة موسى ليفعل ما أراده هو (فرعون). إن أفعال الابن الضال يُفهم منها جيدًا أنها محاولة لعمل نفس الشيء. فإذا كان يأمل في استمالة قلب أبيه، فإنه يخطط ليقدم حله لمشكلة الجفوة التي بينهما: التدريب على العمل. إنه سوف يكتسب مهارة معينة، ويعمل كأجير محترف ويتمكن من توفير المال[١٥]. وفي أثناء ذلك الوقت فإن الابن الضال لن يعيش في البيت. ولن يقترح على أبيه المصالحة فيما بينهما سوى بعد استعادة المال الضائع. وبعد أن فشل في الحصول على عمل يتيح له أجرًا في الكورة البعيدة، فإنه سيحاول أن يحصل على تأييد أبيه ليصبح عاملاً ذا دخل في المجتمع الذي نشأ في كنفه. سوف يخلص نفسه بحفظ الناموس. فالنعمة لا لزوم لها. إنه يستطيع أن يتصرف بمفرده – هكذا كان يفكر!

إن المحرك الرئيسي لعودة الابن الضال في هذا البحث هو مناجاته لنفسه في الكورة البعيدة حيث يعترف للمستمع/القارئ بالسبب الذي يدفعه للعودة. إنه ببساطة، رغبته في الحصول على ما يقتات به. فهو يقول «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعًا» (لو ١٥: ١٧). فباستثناء العبارة المقتبسة من قول فرعون بغرض الاستمالة، فلا يوجد لديه أي إشارة تدل على النوم. إنه لا يقول لنفسه «لقد ارتكبت خطأً كبيرًا» أو «إني أشعر بالخجل لما عملت» أو «لقد كسرت قلب أبي».

أنه لا يُعير اهتمامًا للألم الذي يعتمل في قلب والده بسبب الحب المرفوض ولا للخسارة المادية التي تحملتها العائلة بأكملها.

إن الدافع الذي اعترف به الابن الضال الذي كان يسعي لتحقيقه هو إيجاد وسيلة ليأكل. فلو كان عبدًا يقف أمام سيد، فإن خطته تُعد مخيبة للآمال كما أنها معيبة إلى حد كبير، ولكنها كان يمكن أن تكون مقبولة إلى حد ما. ولكن كابن يتعامل مع أب عطوف ومحب، فإن الحل الذي قدمه يعد غير ملائم إلى حد كبير. فالابن الضال يعتقد أن المشكلة ذات ارتباط بالمال المفقود. وحله الذي يعرضه يهمّش المشكلة، والتي لا تعد مجرد تعد على الناموس ولكنها تكمن أساسًا في العلاقة المحطمة.

**٩- نقطة التحول.** يتجه الابن نحو البيت وفي طريقه بدأ يعد نفسه للدخول المذل إلى القرية. إنه يتذكر طقس المقاطعة ويستجمع قواه لتحمل العار الناتج عن ذلك. ثم أن المواجهة المؤلمة مع أبيه لن تكون شيئًا أسهل من ذلك، كان رجاؤه الوحيد أن حديثه المتسم بالتواضع سوف يلمس قلب أبيه وأنه عن طريقه سوف يكتسب تأييد أبيه للحرفة التي يحتاج أن يلتحق بها ليصبح صاحب أجر. إن التقليد الذي اكتسب تقديسًا بمرور الوقت يتوقع منه أن يظهر، مثل يعقوب العائد، وفي حوزته هدايا ثمينة للعائلة.(١٦) ولكن الابن الضال لا يشق طريقه نحو البيت خاوي الوفاض فقط، ولكنه يعود أيضًا مكللاً بالفشل بعد أن جلب العار على أسرته وقريته بسبب الطريقة التي رحل بها. وفي حالته العقلية الراهنة، فهو على استعداد لتحمل طريق العودة المؤلم إلى البيت لسبب واحد فقط: إنه جائع. والنقطة الجوهرية هي «أنا أهلك جوعًا!» (لو ١٥: ١٧). فماذا عن أبيه؟

يعرف الأب أن ابنه سوف يفشل. وهو ينتظره يومًا وراء الآخر، وهو يحملق ببصره في شارع القرية المزدحم صوب الطريق البعيد الذي اختفي فيه ابنه المغرور والذي كان يحمل آمالاً عريضة. ويتذكر الأب أيضًا طقس المقاطعة. وهو يعرف جيدًا كيف ستعامل القرية ابنه عندما يعود في ثيابه البالية. وهكذا، فإن الأب يُعِد أيضًا خطة للقاء ابنه. كانت خطته أن يصل إلى الولد قبل وصول الولد إلى القرية وبذلك يحميه من غضب المجتمع.

يدرك الأب أنه إذا كان قادرًا على تحقيق المصالحة مع ابنه، علنًا، فلا أحد في القرية سوف يعامل ابنه الضال معاملة سيئة. إذا شهد الناس والمجتمع هذه المصالحة، فلن يصدر أي اقتراح من أي أحياء القرية بوجوب تنفيذ طقس المقاطعة. ولكن لتحقيق ذلك الهدف، كان مطلوبًا من الأب إنكار مهين للذات.

يرى الأب الابن الضال «إذ كان لم يزل بعيدًا» (لو ١٥: ٢٠) وبعد المسافة شيء روحي بأكثر منه مادي. يعتقد الابن الضال أن حفنة من المال سوف تشفي القلب الكسير، أنه في الواقع بعيد كل البعد عن الحقيقة!

إن عبارة «إذ كان لم يزل بعيدًا» مستعارة مما جاء في إشعياء ٥٧ : ١٩، حيث يؤكد الله بأنه سوف يعطي سلامًا للبعيد «وللقريب». وهذا هو بالضبط ما يبدأ الأب في عمله. إنه ينوي أن يصنع سلامًا عن

طريق عمل دراماتيكي مكلف مع الشخص البعيد (الابن الضال) ثم يركز بعد ذلك على صنع السلام مع القريب (الابن الأكبر).

مرة أخرى، تحتاج الصور التي في مخيلتنا إلى مراجعة فكما ذكرنا سابقًا، فإن حقيقة المجتمع المتقارب الصفوف ذو دلالة في القصة. ففي وقت الحصاد كان الفلاح يبني كوخًا ويعيش في حقله ليحمي محصوله. وبخلاف ذلك، كانت المساكن مزدحمة دائمًا ومتراصة معًا في قرى تتجاوز فيها تلك المساكن المزدحمة. وكانت العائلات الأكثر ثراء تعيش في مكان أقرب إلى وسط البلدة. وكانت شوارع القرية متراصة بالمنازل وحوائطها تتلامس معًا. وكانت تلك الشوارع تكفي بالكاد للسماح بمرور جمل ذي حمولة. كانت تلك الشوارع الضيقة قد أشار إليها مرارًا وتكرارًا في التلمود، حيث كان يسمح، في يوم السبت، لصاحب المنزل أن يمرر خبزًا لجاره، عبر الطريق، من شرفة الطابق الثاني إلى الشرفة المقابلة. وبعمله هذا، فإنه لا يحمل طعامًا إلى خارج البيت وبذلك فإنه لا يكسر ناموس حفظ يوم السبت. وكان يمكن للجار أيضًا أن يضع لوحًا خشبيًا عبر الشرفتين ويستخدمه للعبور إلى المنزل المقابل ومعه الطعام في يده.[١٧] من الواضح، أن عرض تلك الشوارع كان لا يمكن أن يزيد عن ١٢ قدمًا وكانت المسافة التي تفصل بين الشرفات لا تزيد عن ستة أقدام. في هذا المثل يتوقع من المستمع/القارئ أن يتخيل الأب ينتظر في إحدى الشرفات يومًا وراء الآخر وهو يرقب الشارع الضيق، الذي يعج بالحياة، والذي كان يؤدي إلى خارج القرية.[١٨]

للمرة الثالثة، يخالف الأب نموذج الأبوة في الشرق الأوسط. فعندما لمح الولد «إذ كان لم يزل بعيدًا» (أي قبل أن يصل إلى القرية (لو ١٥: ٢٠)، فإنه يمسك بثيابه الطويلة بيده ويجري في الشارع المزدحم ليرحب بابنه راعي الخنازير. وبعمله هذا، فإنه يقلل من شأنه أمام سكان القرية. إنه يخلي ذاته بدافع الشفقة، آخذًا صورة عبد ويجري لصالح ابنه المغترب.

يفرض التقليد على ساكني الشرق الأوسط، الذين يرتدون ثيابًا طويلة، ألا يجروا علانية أمام الناس. وهم لا يضطرون أبدًا لفعل ذلك. ومن يفعل ذلك فإنه يذل نفسه كثيرًا.[١٩] يجري الأب، عالمًا أنه بعمله هذا فإنه سوف يحول أنظار المجتمع بعيدًا عن أسمال ثياب ابنه البالية للنظر إليه. سوف يركز الناس على المنظر الشاذ لصاحب الأرض البارز، والذي يكن له الجميع عظيم الاحترام وهو يذل نفسه علنًا بالجري في الطريق وهو يكشف عن ساقيه. إنهم سوف لا يلحظون الشاب ذي الملابس الممزقة سوى بعد

حدوث المصالحة عند أطراف القرية.

وعندما يصل الأب للابن الضال، فإنه يقع على عنق ابنه ويقبله قبل سماع حديثه السابق الإعداد! لا يظهر الأب المحبة المكلفة استجابة لاعتراف ابنه! ولكن هبة النعمة تأتي كمقدمة على أقوال، الابن الضال. تعقد الدهشة لسان الولد تمامًا. فهو يرى أباه يتنازل عن كبريائه الشخصي لأجله. ولما غمرته عاطفة أبيه، تراه يقدم الجزء الأول من حديثة السابق الإعداد، والذي يكتسب الآن بعدًا جديدًا. إنه يعلن أنه قد أخطأ وأنه ليس مستحقًا أن يدعى ابنًا. وبامتناعه عن طلب التدريب على حرفة والخدمة، فإنه يوضح أنه لا يمتلك أفكارًا متفائلة بشأن إصلاح علاقته مع أبيه. وباختصار، فإنه لم يعد «يستغل» أباه للحصول على مكاسب إضافية. لا يقاطع الأب ابنه الأصغر. وبدلاً من ذلك، فإن الابن الضال يغير رأيه وفي لحظة من التوبة الحقيقية يتخلى عن خطته لخلاص نفسه ويسمح لأبيه بأن يجده. ويأتي أخيرًا إلى قبول العثور عليه. هذا الفهم للنص كان متاحًا لما يقرب من ألف سنة في الكنيسة الشرقية.

ذكر اثنان من أربعة من المعلقين العظام على الأناجيل في الشرق الأوسط والمذكوران في الفصل الثالث يعلقان عن السبب الذي جعل الابن الضال لا يكمل حديثه. كتب ابن الطيب يقول: إنه (الابن الضال) لم يكمل ما كان يخطط لقوله، وهو «اجعلني كأحد أجراك»... لأنه أدرك من جري أبيه نحوه والطريقة المملوءة بالنعمة التي لاقاه بها واحتضنه أنه لم يعد هناك أي مكان لطلبه كي يكون أجيرًا لأنه إن قدم مثل هذا الطلب بعد كل هذه الأفعال، فإن ذلك يدل على إنه كان يشك في صدق نوايا غفران أبيه المقدم له.[٢٠]

**ويقول ابن الصليبي:**

«لماذا لم يقل هو (الابن الضال) لأبيه «اجعلني كأحد أجراك» على الرغم إنه كان يخطط ليقول ذلك؟ الإجابة أن محبة أبيه قد غمرته وغفرانه كان متدفقًا دائمًا نحوه.[٢١]

إن هذين المعلقين البارزين في الشرق الأوسط يوضحان أن الابن الضال لم ينس حديثه كما أنه لم يقاطع من جهة أبيه، ولكن عالمه قد تغير عن طريق البيان العملي لمحبة أبيه المكلفة. إن الراعي الصالح يذهب ليجد خروفه الضال. والمرأة تفتش عن درهمها المفقود. وبنفس الطريقة، كان على الأب أن يخرج ليجد أبنه. الجديد في الأمر أن خروجه كان يعني هبة دراماتيكية لذاته في نوع من المهانة العلنية – كل

ذلك ليجد أباه ويسترده. يتخلى الابن عن كل الخطط لحل مشكلته. فهو «يقبل أن يوجد».

وهكذا فإن يسوع قد كتب تعريفين للتوبة في القصة. الأول هو التوبة كما فهمهما السامعون. أي، على الخاطئ أن يعترف، ويقدم التعويض المناسب ويظهرا خلاصه. والهدف من عمل التوبة هذا هو استعادة الخاطئ للفضل الإلهي. والثاني هو التعريف الجديد للتوبة الذي يقدمه يسوع هنا بكل ما فيه من دراما لا يمكن أن تُنسى وقوة مغيرة للحياة.

وعلى الابن الضال أن يقوم باختيار هام. فيمكنه أن يرفض النعمة المقدمة له ويصر على أن يعمل ويدفع الثمن كحل لمشكلته. أو يمكنه أن يخضع للنعمة ويتوب أي يقبل أن يوجد. وحديث الأب التالي يدل على أنه يختار الحل الثاني.

**١٠- الأب يتصرف كالأم.** الله روح، وشخصي وهو واحد. وأن نصف الله مستخدمين فقط الصفات التي تجرده من الشخصية، بينما نصفه كالأم والأب فإن ذلك يعني التضحية بوحدانية الله. إن التقليد المقدس المتناغم بشأن هذا الموضوع والذي يبلغ من العمر ألف عام والذي كان متاحًا ليسوع سوف يفحص فيما بعد. في هذا المثل، فإن الأب الشرقي التقليدي يتوقع منه أن يجلس في عزلة في البيت منتظرًا سماع ما سوف يقوله الابن الضال دفاعًا عن نفسه. كان يمكن لأم الولد أن تجري في الطريق وتمطر ابنها بالقبلات. إن الله يلد في العهد الجديد (١ يو ٣ : ٩) كما يفعل في العهد القديم (تث ٣٢: ١٨). وبنفس الطريقة، ففي هذا النص يظهر الأب في الطريق معلنا العطف الرقيق لأب، يحمل صفات الأمومة.

**١١- التعليم عن شخص المسيح.** عندما يخرج الأب من بيته، ليصالح ابنه، فإنه يصبح رمزًا لله في المسيح. والأب، كرمز لله، يتحول بهدوء إلى رمز ليسوع وفي نهاية القصة، فإن يسوع يتكلم بوضوح عن نفسه لأنه، عندما تقترب النهاية، فإن الأب في المثل يفعل بالضبط ما اتهم يسوع بعمله: إنه يقبل خاطئ ويخطط ليأكل معه.

لقد عرّف عبد الله بن الطيب الأب في محبته المتسمة بالتضحية بالذات في الطريق كرمز ليسوع.[٢٢] وقد قدم چواشيم چيرمياس من ألمانيا نفس التعريف في القرن الثاني عشر.[٢٣] وهذه حالة أخرى من التعليم التفسيري عن شخص المسيح، أي أن يتخذ يسوع رمزًا معروفًا عن الله ويحوله بهدوء إلى رمز لشخصه.

**١٢- معنى الوليمة.** يلاحظ الأب أن الابن الضال قد قبل العثور عليه ولا يقدم (الابن الضال) خطة

لكيفية حل المشكلة القائمة بينهما. عندئذ فقط يأمر الأب بعمل الوليمة للاحتفال بهذه المناسبة. إن معنى الوليمة في المثل يتم التأكيد عليه ثلاث مرات من قبل ثلاثة أشخاص. يؤكد الأب المعنى الأول، ويصدر الثاني من قبل الغلام في الفناء الخارجي للبيت، ويقدم الابن الأكبر المعنى الثالث. المعنيان. الأولان متناغمان كل منهما مع الآخر، ولكن المعنى الثالث في تناقض صارخ مع الآخرين.

والفكر المعاصر الشائع يتذكر فقط المعنى الثالث للوليمة ويهمل بطريقة غريبة المعنيين الآخرين. والمعاني الثلاثة كلها تتطلب لفت الأنظار.

(١) **تفسير الأب.** ما أن يتم تأكيد المصالحة، حتى يأمر الأب بالوليمة. إنه يقول: «فنأكل ونفرح لأن (وهنا يأتي تفسيره لمعنى الوليمة) ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥: ٢٣-٢٤).

لا يقول الأب «لقد كان ضالاً وعاد إلى البيت» ولكن النص يقول: «كان ضالاً فوجد» كان على شخص ما أن يجده. وقد كان الأب هو الذي ضحى بنفسه ليعمل ذلك. وهكذا، في رأي الأب إن الابن الضال كان ضالاً وميتًا وهو على أطراف القرية. وكما اضطر الراعي أن يذهب ويدفع ثمنًا باهظًا ليحدد موقع خروفه، وفتشت المرأة باجتهاد لكي تكتشف الدرهم المفقود، هكذا الأب نزل من البيت وخرج إلى الطريق في بيان عملي للمحبة المكلفة غير المتوقعة ليجد ابنه ويقيمه من الموت. الوليمة احتفال بنجاح تلك الجهود المضنية.

(٢) **تفسير الكلام.** يأتي الابن الأكبر من الحقل، وعندما سمع صوت آلات طرب ورقصًا، دعا واحدًا من الغلمان (a pais) (لو ١٥: ٢٦). هذه الكلمة اليونانية يمكن أن تعني ثلاثة أشياء الأولى «ابن»، وهي لا تتفق مع النص، والبديل الثاني «خادم»، وهي أيضًا تفشل في تقديم المعنى المناسب لأن جميع الخدم كانوا مشغولين في البيت في تقديم الوليمة الكبرى[٢٤].

والاختيار الثالث هو «غلام» (ولد صغير) وقد اختارت طبعات الشرق الأوسط السريانية والعربية كلها تقريبًا هذا البديل الثالث.

وعند اقترابه من بيت عائلته في وسط القرية، من الطبيعي أن يلتقي الابن الأكبر بعدد كبير من الغلمان الذين لم يكونوا كبارًا بالدرجة الكافية ليتكئوا مع الكبار في الوليمة ولكنهم كانوا خارج البيت يرقصون على أنغام الموسيقى ويستمتعون بتلك المناسبة على طريقتهم في مرح صاخب. يقوم الغلام

بدور الكورال في الدراما الإغريقية[٢٥] وهو يخبر المستمع/القارئ الحقيقة بشأن ما يحدث فعلاً في القصة. وعندما يستفسر الابن الأكبر عن الحفلة، لا يقدم الغلام وجهة نظره الشخصية. ولكنه، يردد مفهوم المجتمع بشأن ما يحدث.

«أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه (الأب) (وهنا يأتي التفسير الثاني للوليمة) قبله (الابن الضال) بسلام! (لو ١٥ : ٢٧، ترجمة المؤلف).

الكلمة المترجمة «بسلام» هنا هي الكلمة اليونانية *hygiainō*. في الاستعمال اليوناني المعتاد فإن هذه الكلمة لها علاقة بالصحة الجيدة». وهذه الكلمة هي أصل الكلمة الإنجليزية *hygiene* (علم الصحة). ولكن في الطبعة اليونانية للعهد القديم (السبعينية)، فإن الكلمة *hygianinō* تظهر ١١ مرة. في ١٠ مرات منها ترد كترجمة للكلمة العبرية *shalom* (سلام)، ومرة واحدة ترد كترجمة للكلمة العبرية الشقيقة *shalom* بمعنى «الشعور بالسعادة»، ولها نفس الأصل. وعندما كان يهود القرن الأول يستخدمون كلمة hygiainō، كانوا يترجمون في فكرهم الكلمة العبرية *shalom*، التي تشمل «الصحة الجيدة» ولكنها تعني ما هو أكثر منها بكثير. ففي حقيقة الأمر فهي تدل على السلام والمصالحة. وهذا الدليل من العهد القديم باللغة اليونانية يجعل من المؤكد تقريبًا أن يسوع استخدم الكلمة shalom عندما ابتكر هذه القصة - والفكرة أن الوليمة كانت احتفالاً بنجاح جهود الأب في تحقيق المصالحة (*shalom*) وقد احتشد الناس للاشتراك في هذا الاحتفال. وبدلاً من طقس المقاطعة والرفض، تشترك القرية في فرح عودة الابن واسترداده والذي تحقق بعد جهود مضنية من قبل الأب. وهكذا، فإن الغلام يؤكد تفسير الأب لسبب إعداد الوليمة. وبالنسبة لكليهما، كانت الوليمة احتفالاً بتكليل جهود الأب المضنية بالنجاح في الوصول إلى الصلح والسلام مع الابن. واللغة التي استخدمها الغلام هي «قبله» (وهو يخطط ليأكل معه)، تذكر السامع/القارئ بشكوى الفريسيين «هذا (يسوع) يقبل خطاة ويأكل معهم» (لو ١٥ : ٢). إن حديث الغلام يؤكد أن الأب قد تحول بوضوح إلى رمز ليسوع. إن يسوع يقبل خطاة ويأكل معهم. وفي هذا المثل يفعل الأب نفس الشيء.

**(حـ) تفسير الابن الأكبر.** بعد أن يترك الأب الوليمة يذهب ليصالح ابنه الأكبر وهو يشعر بمهانة أمام الجميع، يقدم الابن الأكبر تفسيرًا ثالثًا للحشد الجماهيري. إنه يقول لأبيه: «ذبحت له العجل المسمن» (لو ١٥ : ٣٠). أن هذا الزعم على طرفي نقيض تمامًا مما قاله الغلام للتو للابن الأكبر. وهو على النقيض

أيضًا من الغرض المعلن من قبل الأب عن سبب الوليمة. ومع ملاحظة أن الابن الأكبر يعارض التفسيرين السابقين للوليمة، فعلى السامع/القارئ أن يختار فيما بينها. هل الوليمة تكريم للابن الضال، أو تكريم للأب؟ هل الوليمة قد أقيمت احتفالاً بالجهود الناجحة للابن الضال في الوصول إلى البيت (من تلقاء نفسه)، أم أنها احتفال بنجاح جهود الأب المضنية، في صنع الـ shalom (السلام)؟ هل سوف يهنئ الضيوف أولا الابن الضال أم الأب؟ هل سيقبل الأب المجد بينما يقف ابنه، محرجًا وقلقًا، من خلفه؟ أو هل سيهنيء الضيوف الابن بينما يقف الأب مبتسمًا في خلفية الصورة؟

في معظم الأحيان لا يميز قارئ المثل التفسيرات الثلاثة للوليمة والتي شرحناها من قبل عندما يدلي الأخ الأكبر بالقول «ذبحت له العجل المسمن». يقبل الكثيرون ذلك كالتفسير الحقيقي للوليمة دون ملاحظة أن النص يقدم تفسيرين متناقضين لنفس الاحتفال. وعندما تتضح البدائل الثلاثة، فمن المؤكد أن تفسير الأب معزز بتفسير الغلام، بحاجة للتأكيد. فما هي التفسيرات الإضافية إذن للوليمة نفسها؟

تحتل الولائم مكانة بارزة في إنجيل لوقا،[٢٦] بدءًا من الوليمة الكبرى في بيت لاوي (لو ٥: ٢٩)، والعشاء مع سمعان الفريسي (لو ٧: ٣٦-٥٠) حتى السيد الذي يرجع من العرس (لو ١٢: ٣٥-٣٨) ومثل العشاء العظيم (لو ١٤: ١٥-٢٤) مرورًا بتناوله الطعام مع تلميذي عمواس (لو ٢٤: ٢٨-٣٥)، كان تناول الطعام بالنسبة ليسوع يشكل معلمًا بارزًا في حياته وتعليمه وفي الإصحاح الذي نحن بصدده توجد ثلاث ولائم. وأهم وليمة في الأناجيل هي بالطبع العشاء الأخير تلك الوليمة المقدسة تدل على أشياء مختلفة في العديد من التقاليد المسيحية. وهي أيضًا احتفال بنجاح التضحية عظيمة القيمة التي يقدمها يسوع عندما يصالحنا لنفسه. وهكذا فإنه ليس من الصعب أن نرى في الوليمة المقامة بمناسبة رجوع الابن الضال، والمدعو إليها الأخ الأكبر، نبوة عن العشاء الرباني. لا شك أننا نعرف أن يسوع هو بطل تلك الوليمة المقدسة وأن الخطاة ليسوا محور الاهتمام. ويعتقد الابن الأكبر أن أخاه هو بطل الاحتفال. ولكن ليس الحال هكذا. فكل المجد يرجع للأب.

إن البر الذاتي للأخ الأكبر يصبح نظارة ملونة يرى العالم من خلالها، فكل ما يمكن للأخ أن يفهمه هو أن الابن الضال فقد المال وأنه قد صولح مع أبيهما دون أن يرجع المال الذي أضاعه. وبالاختصار، فإن النعمة قد قدمت وقبلت وليس أن متطلبات الناموس قد أُعلنت رغم الإذعان لها والوفاء بها من قِبل الخاطئ. إن تفسير الابن الأكبر للوليمة يمثل وجهة نظر الكثيرين في الماضي والحاضر. ولكن وجهة

نظر الأب لها (مؤيدة من خلال حديث الغلام) تعكس فكر يسوع. بالنسبة للكثيرين، فالنعمة ليست مذهلة فقط - ولكنها أيضًا غير قابلة للتصديق! كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا؟ على أي حال، فأنت تحصل على ما تدفع ثمنه - أليس كذلك؟!

١٣- **غضب الابن الأكبر.** لو كانت الوليمة احتفالاً بالعودة السالمة للابن الضال (بصحة جيدة)، لدخل الابن الأكبر قاعة الاحتفالات على الفور. إن مثل هذا السيناريو يعني أن مركز الابن الضال في العائلة لم يتحدد بعد. ولكان الابن الأكبر على أحر من الجمر لكي يعرض وجهة نظره عندما تناقش العائلة هذا الأمر. بالطبع أنهم جميعًا سعداء أمام الآخرين(؟) لأن الابن الضال رجع إلى البيت بصحة جيدة! إن عدم الفرح لوصوله سالمًا كان يعني نوعًا من الفظاظة والغلظة حقًا، ويؤدي إلى سوء العلاقات العامة.

ولكن الابن الأصغر يوحي للأخ الأكبر بأن كل شيء قد انتهى! فالصلح قد تم مع الضال! وقد قبله أبوهما - وأنه قد فعل ذلك دون أن يدفع الضال ثمن خطاياه! ولهذا السبب يشعر الابن الأكبر بالغضب. بل إنه غاضب جدًا لدرجة أنه يتخذ خطوة عملية نحو قطع علاقته مع أبيه. فإن يكون الابن حاضرًا ويرفض الاشتراك في مثل هذه الوليمة فهذه إهانة علنية فظيعة للأب. والبديل الثقافي لذلك يتمثل في الافتراض النظري لابن في الغرب يشترك في مباراة ساخنة ضد والده في الصراخ بصوت عال علنا في أثناء تناول وليمة بعد عرش عائلي كبير. إن المباراة في الصراخ لا بأس بها - ولكن لا يصح أن تكون علانية في مثل احتفال كهذا! إن رفض الابن الأكبر لمصالحة أبيه للابن الضال يقود الابن الأكبر لتمزيق علاقته مع الأب الذي أنجز مهمة المصالحة.

١٤- **رد فعل الأب.** للمرة الرابعة يكسر الأب اللائحة المقبولة للسلوك بالنسبة للأب الشرقي، وللمرة الثانية في نفس اليوم يكون على استعداد لتقديم بيان عملي على المحبة غير المتوقعة والتي كلفته الشيء الكثير. وهي تقدم الآن لشخص حافظ للناموس وليس لمن تعدى على وصاياه. إن النعمة المذهلة حقيقة واقعة بالنسبة لكل الابنين معًا. فمن الناحية الثقافية، كان يتوقع من الأب أن يواصل الوليمة ويتجاهل الإهانة العلنية الصادرة من الابن الأكبر. فيمكنه التعامل معه فيما بعد. ولكنه لم يفعل ذلك! فالأب يهبط درجات السلم ويخرج من المنزل في حالة من الإهانة العلنية ليجد خروفًا ضالاً آخر/درهمًا/ ابنا.

١٥- **رد فعل الابن الأكبر على النعمة.** يرحب الابن الأصغر بالعثور عليه. إنه مبهور بسبب المحبة

المضحية المقدمة له. وعلى النقيض، فالابن الأكبر لم يتأثر بهذه المحبة. وبدلاً من ذلك، فإنه يهاجم بلا هوادة كلاً من أبيه وأخيه علنًا.[٢٧] يتوقع الناس أن ينفجر الأب ويأمر بسحقه بسبب الإهانات العلنية التي لحقت به. وللمرة الخامسة، يتسامي الأب سموا يفوق العقل. ليست هذه صورة لأب رائع. إنها رمز لله.

لو قبل الابن الأكبر المحبة المقدمة له، لاضطر للتعامل مع الضال بنفس القبول الودي الذي جعل الأب يرحب براعي الخنازير. إن الابن الأكبر بحاجة ليكون «مشابهًا لصورة» (رو ٨: ٢٩) أبيه العطوف، الذي يظهر في شكل عبد متألم لكلا النوعين من الخطاة، مقدمًا لكل منهما محبة مضحية غير مستحقة. هل الابن الأكبر على استعداد لدخول قاعة الوليمة والبدء في عملية التعلم لكي يتصرف مثل أبيه؟ عند هذه النقطة في القصة نستطيع أن نرى الجمهور على خشبة المسرح متمثلاً في شخصية الابن الأكبر. ويسوع يقف على نفس المسرح كالأب. فكيف ستنتهي القصة؟

ليس للمثل نهاية. نحن لا نعرف ما ينوي الابن الأكبر أن يفعله، أن يسوع يقول بوضوح: «أخوك ينتظرك في الوليمة. فماذا أنت فاعل به – وبي؟» ومطلوب من السامع/القارئ أن يقدم الخاتمة الغائبة لتلك المسرحية.

## مثل الابنين الضالين:

### مجموعة العقائد اللاهوتية

كما سبق أن ذكرت، فالمثل ليس مستودعًا لفكرة ما. ولكنه بيت يدعي القارئ/السامع للسكن فيه. وللبيت عدد من الأبواب، والنوافذ والحجرات. وكما هو الحال مع يوحنا ٣: ١٦ (أنظر الفصل الخامس). فإن لهذا المثل مجموعة من الموضوعات اللاهوتية الدسمة والمتشابكة. وأنا مقتنع، أن جميعها كانت في فكر يسوع. ومعظمها كان متاحًا لجمهور السامعين من الفريسيين، وكانت كل مجموعة الموضوعات اللاهوتية مفهومة لتلاميذه وللقراء المسيحيين لإنجيل لوقا في القرن الأول.[٢٨]

١– **الخطية**: يتعرض المثل لنوعين من الخطية. إحداهما خطية المتعدي على الناموس والأخرى خطية حافظ الناموس. وكل منهما يعمل على تحطيم العلاقات. الأول يحطم علاقته مع الناس في الوقت الذي يفشل فيه في تحقيق توقعات العائلة والمجتمع. والثاني يحطم علاقته أيضًا ولكنه يحقق نفس تلك التوقعات.

٢- **الحرية**: يمنح الله حرية كاملة للجنس البشري، وهى الحرية لرفض محبته. فالإنسان حر في أن يختار طريقه حتى لو سبب ذلك الطريق ألمًا لا حدود له لقلب الله المحب.

٣- **التوبة**: هناك إشارة لنوعين من التوبة قد تم توضحيهما بطريقة مثيرة. أولهما تقول: اكتسب قبولك كخادم/كأجير. وثانيهما تقول: أقبل الهبة الثمينة بالعثور عليك كابن.

٤- **النعمة**: وضح المثل هذه المحبة المقدمة مجانًا التي تفتش وتتألم لكي نخلص.

٥- **الفرح**: هناك نوعان من الفرح يظهران في القصة. بالنسبة للأب، هناك فرح في العثور على الابن، وبالنسبة للابن. هناك فرح للعثور عليه وعودته للمجتمع.

٦- **الأبوة**: إن صورة الله كأب عطوف تظهر في أسمى تعريف لها في كل الكتاب المقدس. يتضمن التعريف هبة المحبة المضحية للمعتدين على الناموس ولحافظي الناموس سواء بسواء.

٧- **البنوية**: كل ابن يعود إلى الأب سواء ذكر على وجه التحديد (الابن الأكبر) أو ينوي أن يذكر (الابن الضال) أن علاقته بالأب تشبه علاقة العبد بالسيد. فالأب لن يقبل ذلك. إنه يقدم الحب الثمين لكليهما، بدافع العزم على أن يكون لديه أبناء يستجيبون للمحبة وليس عبيدًا يطيعون الأوامر.

٨- **الإيمان بشخص المسيح**: يتخذ الأب مرتين صورة العبد المتألم الذي يقدم في كل مرة بيانًا عمليا مع المحبة غير المتوقعة. وتظهر المرأة والراعي شيئًا من هذا القبيل على نطاق أضيق. وفي كل مشهد نرى إخلاء دراماتيكيًا للذات. ويجسد المثل الثالث العلاقة الشخصية والتي نراها في المقارنة بين أعمال يسوع وأعمال الأب وذلك بأن كلاً منهما يرحب بالخطاة على مائدة الشركة. إن وحدة العمل توحي بوضوح بوحدة الشخصية.

٩- **العائلة/المجتمع**: يقدم الأب حبًا مضحيًا لابنيه لكي يعيدهما إلى الشركة في كنف العائلة/ المجتمع. والعائلة هي الاستعارة التي يستخدمها يسوع للكنيسة.

١٠- **الكفارة**: العملان اللذان أظهر فيهما الأب محبة مضحية لافتداء ولديه قد كلفته ثمنًا باهظًا وبسبب طبيعته، وبسبب الطبيعة المضحية للمحبة المقدمة، فإنهما يولدان قوة كفارية لا حدود لها. إن بعضًا من أعمق مستويات معنى القوة الكفارية للمحبة المضحية يعلن عنها ويتم كشف النقاب عنها.

١١- **الأفخارستيا (مائدة الرب)**: الابن (الابنان؟) اللذان يشتركان في هذه الوليمة في المثل يجلسان ويأكلان مع الشخص الذي قدم محبة ثمينة ليربحهما للشركة معه. ويرمز هذا المثل للعشاء الأخير العظيم مع تلاميذ يسوع. إن طابع الوليمة احتفالي والثمن الذي دفعه الراعي. والمرأة، والأب لا ينسى في أثناء الوليمة التي يختتم بها كل مثل. ولكن الجو العام في الوليمة هو جو الفرح لنجاح الجهود المضنية في العثور على الضال.

١٢- **الأخرويات**. بالنسبة لقراء إنجيل لوقا، فإن الوليمة المسيانية قد بدأت. وجميع الذين يقبلون محبة الأب النفيسة يرحب بهم كضيوف لديه. أن مائدة الشركة مع يسوع هو احتفال مبسط للوليمة المسيانية في آخر الأزمنة. إن مثل العشار العظيم في لوقا ١٤: ١٥-٢٤ يسبق هذا المثل. إن لوقا (أو المصدر الذي استقى منه) يقدم للقارئ مع المثل السابق توضيحًا بأن المكان الذي «نأكل (فيه) خبزًا في ملكوت الله» (لو ١٤: ١٥) يعني أخيرًا قبول مائدة الشركة مع يسوع ويظهر نفس الموضوع في هذا المثل أيضًا.

إن النقاط الخمس عشرة السابقة للتوضيح الثقافي جنبًا إلى جنب مع هذه الموضوعات اللاهوتية الأثنى عشر تضع الأساس لمناقشتنا ليعقوب والابن الضال.

هناك موضوع أخير يجب أن يشغلنا قبل المضي قدمًا إلى الأمام. إن يسوع جزء من التاريخ اللاهوتي والأدبي. ولذلك فإنه يجب أن يوضع في إطار ذلك التاريخ. وهنا يثور السؤال: كيف كان يهود تلك الحقبة الزمنية يتعاملون مع قصة يعقوب؟ هل كان يسوع يتبع اتجاهات مسبقة، ويراجع الطرق المنهجية للدراسة المتاحة له أنه كان يخطط لطرق جديدة؟ للإجابة على هذه الأسئلة، يمكننا أن نلجأ لاستشارة أربع مناقشات يهودية مبكرة لقصة يعقوب: الاحتفالات بالأعياد اليهودية، وفيلون، ويوسيفوس ومعلمي اليهود الأوائل ونحن نتجه الآن إلى بحث موجز في هذه النصوص.

# هوامش الفصل التاسع

1. For a fuller exposition of my interpretation of the parable of the prodigal son, see K. E. Bailey, *Poet*, pp. 158-206; Finding. pp.109- 93. In tis chapter I present only a brief summary.

2. The following summary is revised from K.E Bailey, "Pursuing," pp. 34-40.

3. E. Sa'id, *Luqa*, p. 395 (author's translation).

4. Cf. I. H. Marshall, *Luke*, pp. 607-8; J. Fitzmyer, *Luke*, 2: 1087. The New English Bible uses the phrase "turned into cash." For the Greek word in the text of Luke (*synagō*), cf. W. Bauer, *Greek English Lexicon*, p. 782.

5. Mishnah, *Bava Batra* 8.7, trans. Danby, p. 377.

6. Selling his inheritance would not have been easy. Someone on the fringes of the community would buy, but the prodigal would probably sustain a loss. No family in good relations with the prodigal's father would have dealt with him.

7. 4Q542, fragment 1 column 1 (lines 4-7). Cf. R. H. Eisenmann and M. Wise, The Dead Sea *Scrolls Uncovered*, pp. 149-50.

8. *Midrash Rabbab, Ruth* 7.11, ed. Freedman and Simon, 8: 87; Jerusalem Talmud, Ketubbot 2: 10; *Qiddushin* 1: 5 Cf. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 167-68.

9. A. J. Hultgren, *The Parables of Jesus*, p. 75; K. E Bailey, *Poet*, p. 170.

10 The point here is that Eastern Christians from the second century onward have understood that there is no hint of immorality in the description of how the prodigal spent his money. (The Old Syriac is the only exception.)

11. The word *musrif* (Wasteful) is the most common.

12. In the Syriac and Arabic translations all across the centuries the same word, *nefesh* (Syriac) and *nefs* (Arabic), appears in both texts in each language tradition.

13. Cf. 2 Chronicles 10: 5 in the Greek Septugint.

14. *Hēkei* is a form of *hēkō*, "to be present."

15. The phrase "bread enough and to spare" (Lk 15: 17) means that the craftsmen who work on his father's estate are indeed able to save. They have "enough" and "to spare." The Prodigal plans to join them.

16. Jacob erturns with wave after wave of expensive animals for his brother, cf. Genesis 32: 13-21.

17. Mishnah, *Mo'ed* 11: 2, trans. Danby, p. 110; Mishnah, *Eruvin* 7: 4, trans. Danby, p. 131.

18. Thrown out of the window, Jezebel fell to her death in the street. Thus even the palace was built on the very edge of the street (2 Kings 9: 30-37).

19. For a longer discussion of this critical aspect of the story, cf. K. E. Bailey, *Finding*, pp. 143-46.

20. Ibn al-Tayyib, *Tafsir*, 2: 272-75 (author's translation).

21. Ibn al-Salibi, *Durr*, 2: 157 (author's translation).

22. Ibn al-Tayyib, *Tafsir*, 2: 272.

23. Jeremias, *Parables*, p. 132.

24. A "servans/slave" (*doulos*) would have spoken of "my master" rather than "your father."

25. Sepphoris, Herod Antipas's capital four miles from Nazareth, had a large Greek-style theater. On the basis of archeological evidence, the excavator James Strange identifies

Herod Antipas as its builder (cf. James Strange, "Sepphoris," in *The Ancbor Bible Dictionary*, 5: 1090-93). It was an important city before Jesus was born, and Greek culture was pervaisve throughout the "Galilee of the Gentiles" (Is 9: 1; Mt 4: 15).

26. In parable and in narrative account there are more than twenty references to meals in Luke's Gospel.

27. For a full description of the details of this attack, cf. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 195-200; *Finding*, pp. 75-82.

28. This section has been revised from K. E. Bailey, *Fidning*, pp. 190-92.

# ثالثًا: مثل الابن الضال في إنجيل لوقا الإصحاح الخامس عشر

## مقارنة بقصة يعقوب

## في سفر التكوين ٢٧- ٣٥

## القصة والمثل: أوجه الاتفاق والاختلاف



## الفصل العاشر

# إعادة سرد قصة يعقوب

## قصة يعقوب في التقليد اليهودي القديم وفي فكر يسوع

منذ عصر يسوع تم التأكد من صحة نصوص الأسفار العبرية، كما أثبتت ذلك مخطوطات البحر الميت. ومع ذلك ففي تلك الفترة مارس المؤلفون اليهود الحرية في إعادة كتابة. بعض القصص الهامة المذكورة في تلك الأسفار من جديد. وها أنا أنوي هنا أن أفحص كيف أعاد أربعة من هؤلاء المؤلفين صياغة قصة يعقوب.

واهتمامنا بيعقوب قاصر على قصة هروبه وعودته كما هي مدونه في تكوين ٢٧: ١-٣٦: ٨ ونحن نبدأ بقصته (تك ٢٧: ١) عندما أدرك أبوه إسحاق، أنه قد شاخ، وقرر أن يوفق أوضاعه وأعطى ليعقوب البركة الرئيسية دون قصد منه. يهرب يعقوب إلى «كورة بعيدة» (لو ١٥: ١٣) وفي النهاية يعود إلى الأرض ولكن في البداية لا يعود لإسحاق أبيه. تحدث القطيعة عندما يصل يعقوب ليرى أباه إسحاق، بعد مرور بعض الوقت. ولكن يموت الأب، ويمضي عيسو الأخ الأكبر ليعقوب «من وجه يعقوب أخيه» (تك ٣٦: ٦) ويعود إلى «جبل سعير» (٣٦: ٨).

توضع هذه الحقائق الأساسية أمامنا في سياق أحداث قصة الابن الضال. وهكذا فنحن بحاجة أن نهتم فقط بهذا الجزء الهام من حياة يعقوب. إن يسوع يعيد سرد هذه القصة وهو يؤلف القصة الجديدة لمثل الابن الضال. ولكن يجب أن نسأل: هل يسوع فعل ذلك وحده؟ هل هو اليهودي الوحيد في كل القرون التي قبل عصره وبعدها الذي أعاد سرد قصة يعقوب بطريقة أو بأخرى؟ الإجابة واضحة:

ليس يسوع وحده هو الذي فعل ذلك. ولفهم ما يفعله يسوع بقصة يعقوب. فنحن بحاجة لفحص ما عمل الآخرون بنفس القصة.

هناك أربعة نصوص أخرى تتعامل مع قصة يعقوب[1] في وقت ما فيما بين ١٤٠-١٦٠ ق.م.، خصص مؤلف كتاب «اليوبيلات» (أعياد اليوبيل) Jubileas جزءًا من كتابه لقصة يعقوب. وكما سوف نرى، فمن خلال الديانة اليهودية المحافظة قُدم سردًا جديدًا تمامًا للقصة. وتعامل فيلون الإسكندري، المعاصر ليسوع أيضًا مع قصة يعقوب، ولكن بطريقته الفلسفية المجازية الخاصة به. وفي أثناء النصف الأول من القرن العشرين، كتب يوسيفوس، اليهودي الفلسطيني والذي مُنح معاشًا مجزيًا من قبل قيصر، نسخته الرائعة لقصة يعقوب وأخيرًا، تمت كتابة التأملات التفسيرية لسلسلة طويلة من المعلمين اليهود على قصة يعقوب في القرن الرابع الميلادي. وعنوان هذا الكتاب هو Genesis Rabbah «التعليق على سفر التكوين» وقد تحررت كل من هذه المصادر الأربعة من القصة الكتابية. ولكن بطريقة مختلفة. ونحن نتجه الآن إلى هذه النصوص.

إن تصنيف هذه المجهودات الأربعة ليس سهلاً. لقد تأمل معلمو اليهود في القصة، وسجلت تفسيراتهم. وكانت النتيجة ذلك «التعليق» أي أن Genesis Rabbah يقدم النص في سفر التكوين ثم يقدم وجهات نظر عديدة لما يعنيه النص. ولا يتحرك فيلون بطريقة منتظمة في أحداث القصة، بل أنه يضع بصمات فلسفته في أجزاء عديدة منها في كثير من المواضع في كتاباته الغزيرة. وباستخدام الرمز كطريقة للدراسة، فلا حدود لما يجده في القصة. ويقدم يوسيفوس سردًا متصلاً لقصة يعقوب ويقدم لقرائه ما يبدو مثل المسودة الأولى لنص فيلم من أفلام هوليوود فيما يتعلق بقصة يعقوب وقد تم تحديثها لجذب جمهور القرن الأول اليوناني الروماني. وبقليل من الاهتمام بكثير من المحتوى اللاهوتي للقصة الأصلية، يخبرنا يوسيفوس قصة جيدة. ويتحرر أيضًا من كثير من القيود في الكتابة. اثنان من هؤلاء (فيلون ويوسيفوس) يكتبان باليونانية من زاوية ما على الحدود الثقافية فيما بين اليهودية والوثنية ويكتب يوسيفوس للأمم. ويكتب فيلون للأمم ولليهود المتحدثين باليونانية. والكتابان الآخران (اليوبيلات والتعليق على سفر التكوين) مكتوبان باللغة العبرية للمجتمع اليهودي فقط. صدر كتاب "اليوبيلات" فيما قبل العصر المسيحي، بينما كتب فيلون لمعاصري يسوع. وقد لحق بها يوسيفوس بعد عدة سنوات قليلة، وامتد عصر مؤلفي «التعليق على سفر التكوين» (Genesis Rabbah) بداية من القرن الأول إلى

القرن الرابع للميلاد. سوف ألقي نظرة سريعة على كل من هؤلاء، مبتدئًا بالمؤلفين اللذين عملا «من وراء الحدود».

## فيلون الاسكندري

ولد فيلون[٢] حوالي من ١٥-٢٠ ق.م. في عائلة يهودية بارزة في الإسكندرية مصر، وتلقى تعليمًا راقيًا في المدارس اليونانية لتلك المدينة العريقة التي تشتهر بالعلم. وعندما أصبح أكبر سنًا، في سنة ٣٩/٤٠م، رأس وفدًا يهوديًا إلى قيصر في روما، من ناحية كان فيلون فيلسوفًا وأستاذًا في علم الأخلاق. ومن الناحية الأخرى، كان يهوديًا ملتزمًا إلى حد كبير. وكان يعيش اجتماعيًا وفكريًا في كلا العالمين. يكتب بيدر بورجن Pader Borgen عن فيلون قائلاً «عاش طوال حياته في البيئة المزدوجة للمجتمع اليهودي والمجتمع اليوناني الإسكندري، وكانت الفلسفة هي اهتمامه الأوحد»[٣].

لقيت كتابات فيلون الكثيرة اهتمامًا واسعًا من قبل المسيحيين الأوائل ومن اليهود بعد ذلك بعدة قرون. طور فيلون الطريقة الرمزية للإطار الخاص بتفسيراته الكتابية وكان مقتنعًا بأن كل الأفكار القيمة كان يمكن نسبتها إلى موسى وأن العنصر الأخلاقي مصدره الكتاب المقدس.

«وهكذا فإنه ينتمي للأمة اليهودية وتراثها»[٤] ولإيمانه بوجهة النظر هذه، كان من الطبيعي أن يشعر أنه كان من المهم نسبته كل التعليم للأسفار العبرية. يقدم تعامله مع قصة يعقوب مثالاً لمنهجه التعليمي. ونحن نجد تأملات فيلون على قصة يعقوب في أرض الغربة والعودة متناثرة في مقالات عديدة. وفي إحداها فإنه يسجل خواطره بشأن نصيحة رفقة ليعقوب بالهروب والذهاب إلى حاران فيقول:

«إني معجب برفقة أشد الإعجاب، فهي نموذج للصبر، لأنها في ذلك الوقت، توصي الرجل الكامل في روحه (يعقوب)، والذي تخلص من حدة الأهواء والشهوات والرذائل، بأن يهرب ويعود إلى حاران... وبأسلوب بليغ تدعو هنا السير في الطريق، والمؤدي لاستعمال الحواس الخارجية، هروبًا، لأنه، في الحقيقة، يكون العقل في حالة عدم تركيز. والذي بعد أن يكون قد ترك الأشياء الملائمة له والتي تكون مدركة للأفهام فإنه يتجه إلى الجانب المضاد لتلك والتي تكون مدركة بالحواس الخارجية[٥]».

ويواصل تأملاته على رحلتي يعقوب وإبراهيم إلى حاران فيكتب قائلاً:

«تجولي إذن، يا نفسي في الأرض، ووسط البشر، ولتأت بكل فرد، إذا رأيت أن ذلك مناسب، لتمييز الأشياء التي تهمه والحكم عليها، وعلى سبيل المثال، ما هو الجسم، وتحت أي مؤثرات، سواء كانت إيجابية أم سلبية، يتعاون مع العقل، وما هو الإدراك الخارجي، وكيف يمكنه أن يساعد العقل المتحكم في كل شيء، وما هو الحديث، وكيف يؤدي دوره ليصبح مدعي للفضيلة، وما هي اللذة والرغبة، وما هو الألم والخوف[٦]».

وبنفس الطريقة، صفحة وراء الأخرى، وباستخدام المجاز وترابط الكلمات جنبًا إلى جنب مع سعة الخيال. يحاول فيلون أن يوجد الارتباط بين آرائه الفلسفية والأخلاقية وأجزاء عديدة من قصة يعقوب وبقية الأسفار العبرية. ومن المهم أن نلاحظ كم الحرية الرائع الممنوح له من قبل قرائه، لكي يستعمل الأسفار المقدسة بهذه الطريقة[٧].

## يوسيفوس

ولد يوسيفوس في ٣٧م في الأرض المقدسة من أسرة حسمونية. ونظرًا لانتفاعه بمزايا التعليم الجيد، فقط أصبح بارزًا بسرعة كبيرة في الشئون اليهودية للقرن الأول وقد أنضم في البداية للثورة وقاتل روما قبل أن يتأكد من فشل جماعة الغيورين. وبعد أن غير اتجاهه فجأة، انضم إلى صفوف الرومان. وبعد انتهاء الحرب التي امتدت من سنة ٦٦-٧٠م، أصبح مواطنًا رومانيا ومنح معاشًا. ونظرًا لأنه عاش في روما حوالي ٣٠ سنة، فقد وهب نفسه للكتابة. ومن بين أشياء أخرى، أنه أعاد سرد قصة تاريخ اليهود منذ بدء الخليقة حتى سنة ٦٦م[٨]. وهناك إجماع عام على أن معظم قراءه كانوا أمميين. ولقد أراد أن يثني على التاريخ اليهودي والثقافة اليهودية لدى مجتمع كان يسئ الظن باليهود بسبب الثورة اليهودية ضد روما. وأراد أيضًا أن يبرر أفعاله لدى مواطنيه من اليهود. واهتمامنا ينصب على ما قاله عن يعقوب.

تظهر المادة الكتابية ليوسيفوس في كتابة الذي عنوانه «تاريخ اليهود القديم» The Antiquites. وفي مقدمة هذا الكتاب يكتب قائلاً: «سوف أصف بدقة ما هو مكتوب في سجلاتنا.. وذلك بدون إضافة أي شيء لما هو مكتوب فيها، أو انتزاع أي شيء منها»[٩] ليس واضحًا ما يعنيه بذلك بسبب الحرية التي يعيد بها سرد القصص الكتابية. ولكن من زاوية ما يبدو وأنه يعتقد أنه يقدم رواية أمنية لتاريخ شعبه.

ومع أنه لا يطيل الحديث عن يعقوب، إلا أنه يقدم رواية شبه كاملة عن قصة الهروب والعودة. والقليل من المحذوفات والتعديلات التي أدخلها على النص الوارد في تكوين ٢٧: ١-٣٦ :٨ هي كما يأتي:

يُقال إن إسحاق يدعو عيسو للدخول لأنه، إسحاق، محروم بحكم كبر سنه من عبادة الله، أي إنه غير قادر على عبادته بتقديم الذبائح. وهو أيضًا يريد أن يبارك عيسو (١: ١٨: ٥ {٢٦٧})[١٠] وعندما تقترح أمه خطتها الماكرة ليعقوب لخداع إسحاق، يشعر يعقوب بالقلق بشأن تورطه في هذه «الممارسة الشريرة» (١: ١٨: ٦ {٢٧٠}) (ليست هناك محاولة للتستر على الخديعة. هناك اعتراف صريح بأنها عمل شرير. بهذا الاعتراف، يبدو يعقوب نبيلاً). يبارك إسحاق يعقوب (المتنكر في شخص عيسو) ويطلب من الله أن «يجعله وبالاً على أعدائه، ومكرمًا ومحبوبًا من أصدقائه» ( ١: ١٨: ٦ {٢٧٣})، وهي ترجمة طريفة تصلح للعديد من الثقافات لما جاء في تكوين ٢٧: ٢٩، يرجع عيسو من رحلة الصيد، ويجد أنه قد خدع ويطلب البركة يصلي إسحاق أن يتفوق عيسو في الأسلحة. ويحصل على مجد دائم في هذا المضمار (١: ١٨: ٧ {٢٧٥}) (هذا تمجيد لعيسو لم يحصل عليه في تكوين ٢٧: ٤٠ في تقليد ما بعد عصر الكتاب المقدس، نرى عيسو دائمًا في مركز متدنٍ كشخص شرير). يترك يعقوب كنعان لأنه «كره أهل ذلك البلد» (١: ١٩: ١ {٢٧٨}).

وفي خلال رؤيا سلم يعقوب يخبره الله أنه، أي الله، أخرج إبراهيم من بلاد ما بين النهرين «عندما كان مطرودًا من أهله وعشيرته» (١: ١٩: ٢ {٢٨١})، (لا ذكر لعهد، وهناك اختفاء لقرار إبراهيم العظيم باللجوء إلى الإيمان). هناك وعد ليعقوب بأن، نريته سوف «تملأ الأرض كلها والبحر» (١: ١٩: ٢ {٢٨٢})، وهناك تفاصيل رومانسية باستفاضة عن الحب من أول نظرة بين يعقوب وراحيل. وعند لقائه بيعقوب، يضغط لابان على يعقوب بشأن كيفية تركه لأمه المسنه وأبيه وهما في أمس الحاجة إليه (١: ١٩: ٦ {٢٩٤}).

بعد أن يفوز يعقوب بالأختين كزوجتيه ويستعد للرحيل، تسرق راحيل الأصنام الذهبية من المنزل لكي تجد ما تساوم به لو أسرع لابان وراءهم وأمسك بهم (١: ١٩: ٩ {٣١١})، وهذه إضافة دراماتيكية. عندما يلحق لابان بيعقوب الهارب وعائلته، تصبح الأصنام المفقودة، أصنامًا أبوية مقدسة كان يعبدها أجدادي (١: ١٩: ١٠ {٣١٦})، المزيد من القرائن على صلة القصة بالثقافتين اليونانية والرومانية). وعندما سئل عن سبب هروبه، يقول يعقوب للابان إنه كان مجبرًا على القيام بذلك العمل بسبب "حبه

لوطنه". ذلك الحب الذي يغرسه الله في قلوب كل البشر (١: ١٩: ١٠ {٣١٧}) (اسمع! أسمع!) لابان يفتش في متاع يعقوب بحثًا عن الأصنام الذهبية. راحيل تخبئها في الخيمة في جيوب السرج الخاص بسرج جملها الذي تجلس عليه، قائلة إنها لا تستطيع أن تقف لأنها في حالة طمث. ثم تخبر بأن لابان لا يعتريه الشك في شيء ما لأنه لا يستطيع أن يتخيل أن «ابنته في مثل هذه الظروف يمكن أن تقترب من تلك الأصنام» (١: ١٩: ١١ {٣٢٣}). (أي، كيف يمكن لامرأة (نجسة) أن تتمكن من الجلوس على الأصنام المقدسة»؟)

عندما يسمع يعقوب أن أخاه عيسو يقترب ومعه ٤٠٠ رجل، يقسم، جماعته إلى فرق، حتى إذا هزم الفريق الأول، يقدم الفريق الثاني الدعم والمعونة والمأوى (١: ٢٠: ١ {٣٢٨}) (تبدو هذه مثل خطة حربية جيدة!) وضع النساء والأولاد في المقدمة «حتى يروا كيف يتصرف الرجال وكما لو كانوا يحاربون بالفعل لو كان عيسو ميالاً للقتال» (١: ٢٠: ٣ {٣٣٥}). ولكن عيسو لم يقاتل يعقوب، بل «حياة» (١: ٢٠: ٣ {٣٣٦})، (لمسة حربية لطيفة أخرى!). وفي نهاية القصة يقال لنا إن رفقة ماتت أثناء غياب يعقوب (١: ٢٢: ١ {٣٤٥}) (لا يسجل سفر التكوين متى ماتت). هناك أشياء حذفت أو أعيد ترتيبها. هناك أشياء كثيرة اختصرت، أو تم تحويل السرد القصصي إلى مناجاة للنفس. والمحصلة النهائية رائعة.

وكشخص قد نشر عددًا من المسرحيات وكتب المسودات الأولى لفلمين كاملين قد تم إنتاجهما من قبل أشخاص محترفين، فإني مبهور بهذا العمل. هناك حوار جيد والمشاهد الطويلة المملة قد اختصرت. وإظهار الدوافع يحمل قدرًا كبيرًا من عمق التفكير. وقد صيغت الدراما، ككل لكي تثير انتباه جمهور ذي قدر كبير من الأهمية ويمكن التعرف عليه بسهولة إنه عمل منجز ببراعة! مثير للإعجاب، ومذهل!

ومن المسلَّم به، أن أغلبية الجمهور الذي يكتب له يوسيفوس يتكون من الأمم. ومع ذلك، فلا اعتراض من أحد على حقيقة أنه كان يحاول أيضًا أن يدافع عن أعماله أمام مواطنيه من اليهود. ولذا فعلى الرغم من أنه كان يفكر قليلاً في نفر من جمهوره من اليهود، إلا أنه كان يشعر بقدر من الحرية في صياغة قصة يعقوب من جديد. لقد شعر بوضوح أنه يتمتع بقدر من الحرية ليعمل ذلك. وصحيح أنه كما في حالة فليون، فقد كان المسيحيون وليس اليهود هم الذين احتفظوا بكتاباته. ولكن حقيقة أنه كان يشعر بقدر كبير من الحرية ليعيد كتابة قصة يعقوب من جديد مازالت لافتة للأنظار في حد ذاتها، بالإضافة

إلى أنها ذات أهمية لموضوعنا. لقد كتب هذان اليهوديان أساسًا للأمم. فماذا عن اليهودي الذي كتب لليهود فقط؟ ولهذا السبب، نتجه الآن إلى كتاب «اليوبيلات» (Jubilees).

## كتاب اليوبيلات

كتب كتاب اليوبيلات بالعبرية بقلم يهودي من فئة الحسديم من فلسطين أو أسيني في الفترة ما بين سنة ١٦١ و ١٤٠ ق. م. يدّعي المؤلف أنه يقدم ما قاله الرب لموسى خلال الأربعين يومًا التي كان فيها على جبل سيناء ليتلقى الناموس. ويبدأ الكتاب بقصة الخليقة ويقدم قصص آدم، ونوح، وإبراهيم، ويعقوب وموسى. ويعقوب هو «الشخصية المحورية»[١١] وكما يؤكد و.س ونترميوت Wintermuti ببلاغة، فالقصص الكتابية مختصرة ومحذوفة، ومنقحة، ويضاف إليها بعض الإضافات، ومشروحة وبين آن وآخر قد أعيد صياغتها من جديد تمامًا[١٢] والمادة المكتوبة عن يعقوب والتي تغطي مدة اغتراب يعقوب وعودته تملأ عشرة فصول من ٥٠ فصلاً وإعادة كتابة القصة الكتابية يأخذ مساحة أكبر مما لا يمكن من إيجازها. كل ما يمكن ملاحظته القليل من النقاط الهامة.

في البداية، بعد أن يبارك إبراهيم إسحاق، يدعو إليه يعقوب ويعطي ليعقوب أيضًا بركة وفيرة تتضمن تحذيرًا صارمًا بأن ينأي بنفسه عن الأمم. وتأمره البركة بألا يتعامل معهم، وألا يعمل أعمالاً مثلهم أو يصبح من مخالطيهم، وأسباب هذه القيود ترجع «لأن أعمالهم دنسة وكل طرقهم ملوثة، وكل طرقهم جديرة بالازدراء، ومكروهة».[١٣]

ينام يعقوب بعد ذلك «في حضن إبراهيم» وينال بركة ثانية. تخبر رفقة يعقوب عن أهمية عدم الزواج من امرأة كنعانية، في الوقت الذي نزل فيه «روح الحق» على فمها، وتضع يديها على رأس يعقوب ثم تعطيه بركة شاملة.[١٤] وبعد أن نقرأ هذا الوصف للمرأة الملهمة التقية وهي تبارك «ابنها الطاهر»[١٥] نقرأ عن خداع يعقوب ورفقة لإسحاق وعيسو. وخلال عملية الخداع، حين يلمس إسحاق يدي يعقوب (اللتين يغطيهما شعر كثيف) ويسمع صوت يعقوب، يقال لنا «وهو (إسحاق) لم يعرفه لأن التغيير كان من السماء»[١٦]، وعندما يدرك عيسو. أنه قد خدع «ويصرخ طالبًا البركة، فإن البركة المعطاة له تتضمن الوعد. بأنك سوف تخطئ بالتأكيد تمامًا حتى الموت، وسوف يقتلع نسلك من تحت السماء».[١٧] يضطر يعقوب لأن يهرب لحياته، وتنزعج رفقة وتشعر بالخوف. ويشجعها زوجها إسحاق عندما يقول: «لا

تخافي من جهة هذا الموضوع، يا أختي، لأنه مستقيم في طريقه وهو رجل كامل. وهو مخلص. وسوف لن يهلك».[١٨]

ويحلم يعقوب حلمه الشهير في بيت أيل، ويسافر إلى «أرض المشرق»، وفي النهاية يأخذ زوجتيه، ويبدأ في رحلة العودة ويطارد من قبل لابان. وعند المقابلة، يقسمان بألا يؤذي كل منهما الآخر. ثم عبر يعقوب مخاضة يبوق «وفي ذلك اليوم، جاء إليه عيسو أخوه، وتصالح معه وابتعد عنه إلى أرض سعير، ولكن يعقوب سكن في خيام».[١٩]

ومن المدهش ألا نجد ملاكًا في الليل، وليس هناك صراع مع الزائر السماوي، ولا نجد اسمًا جديدًا وليس هناك لقاء مثير مع عيسو. ولا يذهب يعقوب إلى موطنه، ولكنه يرسل «ملابس وطعامًا ولحمًا وشرابًا ولبنًا وزبدة وجبنًا وبعض بلح الوادي» إلى والديه في حبرون ٤ مرات في السنة[٢٠] ولأنه كان يلبي «كل احتياجاته» فقد «باركا يعقوب بكل قلبيهما ونفسيهما».[٢١] إن قصة اغتصاب دينة تأخذ بعدًا سيئًا بوصفها فتاة صغيرة لا تتجاوز الثانية عشرة من العمر.[٢٢] ما الذي يمكن أن نفهمه من كل هذا؟

التحليل الدقيق للأسباب والدوافع الكامنة وراء إعادة كتابة قصة يعقوب من جديد لا يدخل في مجال بحثنا لهذا الموضوع. من الواضح، أن يعقوب يصبح أكبر من الحياة، كذلك أمه. إن حفظ الناموس والانفصال الشاق عن كل الأمم شيء بارز في كل أجزاء القصة وليس هناك تفسير لحذف المصارعة مع الملاك وإعطائه اسمًا جديدًا. يمكن أن نقول أشياء أكثر من ذلك، ولكن يكفي لتحقيق أهدافنا أن نلاحظ أنه في هذا النص نرى يهوديًا فلسطينيًا تقيًا ومحافظًا، يكتب بالعبرية ليهود أتقياء آخرين، وهو يعيد بحرية كتابة أجزاء هامة من واحدة من أهم القصص التي كونت هوية المجتمع. وهكذا، فإنه طبقًا للتقليد، فإن إعادة كتابة قصة يعقوب ليست فقط للثناء على اليهودية لدى الأمم (فيلون ويوسيفوس) ولكنها تستخدم أيضًا لتعزيز جانب معين من الديانة اليهودية لدى اليهود الأنقياء![٢٣] تلك مقدمة هامة لموضوعنا نتجه الآن للنص الرابع.

## التعليق على سفر التكوين Genesis Rabbah

إلى هنا القينا نظرة على أجزاء فلسفية قليلة مبنية على قصة يعقوب (فيلون)، وإعادة كتابة نفس

القصة للأمم (يوسيفوس) وإعادة كتابة العصور السابقة لأجل اليهود (اليوبيلات) وأخيرًا، نلاحظ الآن جهدًا متعمدًا في التعليق، لا تعاد فيه كتابة القصة، بل النص الكتابي، جنبًا إلى جنب مع التعليق عليه، وتقديم ذلك للقارئ.

في القرن الأول للميلاد وما بعده، كان حكماء وشيوخ إسرائيل كمجموعة يطورون أساليبهم في التعامل مع الأسفار العبرية. وقد انتقلت تعليقاتهم على سفر التكوين شفويًا وأخيرًا كتبت في القرن الرابع. وإلقاء نظرة سريعة على تلك الأساليب هي المحطة الرابعة في رحلتنا لفهم كيفية تعامل التقليد اليهودي المبكر مع قصة يعقوب.

وصف العالم اليهودي الأمريكي البارز، چاكوب نوسنر (Jacob neusner) باقتدار معلمي اليهود بأنهم يكتبون بالكتاب المقدس،[٢٤] يوضح نوسنر أن حكماء إسرائيل لم يكونوا نقادًا تاريخيين معاصرين. فلم يكن همهم منصبًا على ما يعنيه النص في أزمنة وظروف الذين كتبوه. كان لهم منهجهم الخاص في التفكير، ووفقًا للمثال التوضيحي لنوسنر، فقد استخدم المعلمون/الحكماء الأسفار العبرية «كألوان لوحة الرسم» وهو يكتب قائلاً «لقد استخدموا الكتاب المقدس كما يستخدم الفنان الألوان التي على لوحة الرسم، معبرين عن الأفكار من خلال الكتاب المقدس وبه كما يرسم الفنان بتلك الألوان دون أن يستخدم شيئًا آخر»[٢٥] ومع أنهم ابتدعوا صورهم الخاصة بهم، إلا أنهم استخدموا الأسفار المقدسة كألوان ينتجون بها تلك الصور.

يدافع نوسنر في هذا الصدد عما هو أكثر من «كتابة نص قوي» لقد «كتب» الحكماء «بالكتاب المقدس» ويمكن تغيير الاستعارة فنقول، إن الكتب المقدسة كانت أحجار البناء للمبنى الجديد. صحيح أن الأحجار أعيد استخدامها لغرض مختلف، ولكن مواد البناء الجديد قد «أعيد استخدامها» من الأسفار العبرية. فالحكماء لم يعلقوا عمومًا على الأسفار المقدسة بهدف فهم ما كان يقوله الكتاب الأصليون لمعاصريهم. ولكنهم حدثوا المادة المكتوبة جذريًا لأغراضهم الجديدة، وهي أغراض قد أصبحت بالتدريج أكثر أهمية من الأسفار المقدسة نفسها. يقول التلمود البابلي:

«قال معلمونا: أولئك الذين يشغلون أنفسهم بالكتاب المقدس (وحده) لا يمتلكون سوى ميزة متوسطة، وبإضافة المشنا لذلك، فإنهم يصبحون أهلاً للمكافأة والتقدير، أما الذين يلمون بالتلمود إضافة للكتاب

المقدس والمشنا – فليس هناك من هو أكثر فضلاً منهم».[٢٦]

يقول مثل رباني آخر «لكن {الحكماء} قالوا: يُشّبه الكتاب المقدس بالماء، والمشنا بالنبيذ، والـ shas (التلمود) بالنبيذ المتبل».[٢٧]

وقبل يسوع بجيل من الزمان، قدم الربّي الشهير هليل سبعة مبادئ للتفسير الكتابي. وكلها لها علاقة «بالاستدلال المستمد من مقدمة منطقية صغرى انسحابًا على مقدمة منطقية كبرى» والاستدلال المستمد من تشابه كلمات أو عبارات، والعلاقة بين المبادئ العامة و «الخاصة» وأشياء من هذا القبيل.[٢٨] أما محاولة فهم ما كان يقوله الكاتب الأصلي، في عصره، إلى قومه، فهذا ما لم يكن في أجندة عمل هليل.

يمكننا أن نرى نتيجة تفسير معلمي اليهود في تعليق قديم على نشيد الأنشاد. لقد تم تعريف النشيد بأنه عبارة عن أناشيد الحب الروحي. في نشيد الأنشاد ٢: ٦ تقول العروس: «شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني»: لكل سطر من هذه السطور يقدم المدراش Midrash (التفسير اليهودي التقليدي للتوراة) العديد من التفسيرات. وبتجميعها وتلخيصها نجدها كما يلي:

**شماله تحت رأسي:**

يشير هذا إلى المجموعات الأولى من نصوص التوراة، أو المجموعات الإضافية، أو إلى تلاوة النصوص، أو إلى المظال، أو إلى العلامات والرموز اليهودية.

**يمينه تعانقني**

يشير هذا إلى المجموعات الثانية من نصوص التوراة، أو إلى تعاويذ الحماية، أو الصلاة، أو سحابة الحضور الإلهي في وقت لاحق.[٢٩]

من الواضح، أنه ليست هناك محاولة لربط المعنى الأصلي للنص بالاستعمال الجديد لمعلمي اليهود ونفس هذا الأسلوب في التفسير واضح في «التعليق على سفر التكوين» (Genesis Rabbah). فيما يتعلق بقصة يعقوب التي نحن بصددها.

وعلى خلاف فيلون، ويوسيفوس واليوبيلات فإن Genesis Rabbah (التعليق على سفر التكوين) يتعامل مع العديد من المعلقين الذين كتبوا على مدى عدة قرون. ونحن نتوقع أن هذه التعليقات تثير الكثير من الاهتمام، كما نرى في المثلين التاليين. عندما لبس يعقوب ثوبًا فاخرًا من ثياب عيسو، وظهر أمام إسحاق في تكوين ٢٧: ٢٧، يقول إسحاق: «انظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب». تقول الـ Genesis Rabbah:

يعلمنا هذا أن القدوس، فليكن مباركًا، أراه بيت المقدس كما بني، وكما أزيل، ثم بني مرة أخرى.

«أنظر رائحة ابني» هذا يشير إلى الهيكل بكل جماله اتساقًا مع هذا العدد: «رائحة سرور تحرصون أن تقربوه لي» (عد ٢٨: ٢).

«.... كرائحة حقل». يشير هذا إلى الهيكل عند تدميره ولذلك قيل: «تفلح صهيون كحقل» (مي ٣: ١٢).

«.... قد باركه الرب «يتحدث هذا عن الهيكل عندما تم استرداده مرة أخرى في وقت لاحق، كما قيل: «لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلى الأبد» (مز ١٣٣: ٣).[٣٠]

في هذه الحالة، فإن تعليق إسحاق على رائحة ثوب عيسو (الذي يرتديه يعقوب الآن) يفهم منه بأنه يشير إلى الهيكل على مدار تاريخه، كما يعلق نوسنر.[٣١]

وفيما بعد في القصة عندما يتصارع يعقوب مع الملاك عند طلوع الفجر، يقول الملاك ليعقوب: «أطلقني لأنه قد طلع الفجر» (تك ٣٢: ٢٦). ويستمر التعليق على هذه العبارة المميزة لعدة صفحات. ويبدأ التعليق هكذا:

«هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك» (مرا ٣: ٢٣):

قال ر. سمعان بارأباح: «حيث أنك تقدم لنا بركة جديدة كل صباح، فإننا نعلم على وجه اليقين أن أمانتك عظيمة حتى أنها تحيي الأموات».[٣٢]

نجد هنا نوعًا من التشجيع الرعوي مقدمًا للقراء على أساس العبارة الواردة في الكتاب المقدس.

وفكرة طلوع الفجر تثير بعض التأملات التعبدية بشأن طلوع الصباح في نصوص أخرى حيث يذكّر الكاتب بالقيامة من الأموات.

وفي أجزاء كثيرة من الـ Genesis Rabbah الوثيقة ذات الصلة بالموضوع، فإن الحرية في إعادة استعمال النص في قصة يعقوب يكاد يكون شاملاً. وفي حقيقة الأمر، فإن صورة جديدة يتم رسمها من الألوان المأخوذة من الكتاب المقدس، غالبًا مع القليل من الإشارة للمشهد الكتابي نفسه.

## قصة يسوع الجديدة

نفس هذه الحرية إزاء النص الكتابي نراه بالفعل في إنجيل متى، حيث يقتبس الكاتب الأسفار العبرية كمرجع هام لهدفه الشامل لتقديم يسوع كمسيا إسرائيل الذي طال انتظاره. وهذا يأتي بنا للتأمل في ما فعله يسوع بقصة يعقوب.

في إنجيل لوقا يظهر لنا بديل خامس. إن يسوع لا يعلق على نصوص الكتاب المقدس (فيلون ومعلمو اليهود)، ولا يعيد سرد القصة وفقًا لميوله الخاصة (يوسيفوس واليوبيلات). ولا يظهر إسحاق، ويعقوب، وعيسو ولا ذكر لأسمائهم. وقبل ذلك، في قصة الخروف الضال والراعي الصالح، يبدأ يسوع بمزمور ٢٣، وكما ذكرنا، فإن يسوع يعيد سرد القصة بحيث يكون هو محورها.

وهنا، في مثل الابن الضال، يستخدم نفس هذا الأسلوب. فلا يستخدم «نصًا ثم يعلق عليه»، ولا يعيد سرد القصة القديمة كما حدث في "اليوبيلات" ولكن يسوع يسرد بدلاً من ذلك قصة جديدة، ولكن القصة الجديدة تتبع نفس إطار القصة القديمة وتتفاعل معها. القصة القديمة هي قصة يعقوب. وكما في حالتي الراعي الصالح والخروف الضال، فإننا نجد يسوع هو محور قصة السبي الجديد والعودة، فأحجار البناء السابقة لا يعاد استخدامها دائمًا بنفس الطريقة. لقد حاولت (دون بلوغ حد الكمال) أن أصنف نقاط الاتفاق والاختلاف بين القصتين في البنود الثلاثة الآتية:

**أ– المحتوى الدرامي المتماثل تقريبًا.** كل من الإطار الكلي والعناصر الدرامية العديدة فيها متماثلة تقريبًا (في كل قصة) وعلى سبيل المثال، ففي كلا القصتين يحصل الابن الأصغر على ميراثه مستخدمًا وسائل غير شريفة ويهاجر إلى كورة بعيدة. وسوف نرى أمثلة عديدة من هذا القبيل.

ب- **المحتوى الدرامي الذي يعاد استخدامه مع بعض التغييرات.** مثل واضح لذلك يتمثل في مشكلة موت الأب. في قصة يعقوب يقول إسحاق: «إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي» (تك ٢٧: ٢). وكما رأينا، فالابن الضال يقترب فجأة بطريق غير مباشر من موضوع موت أبيه يطلبه الحصول على نصيبه من الميراث. يظهر نفس الموضوع في كلا القصتين: وتفتتح كل قصة به، ولكن يتم التعامل معه بطريقة مختلفة في المثل. إن قصة يعقوب مثل لما هو متوقع حدوثه. ويوضح المثل ما ليس متوقعًا حدوثه. وسوف نفحص الكثير من الحالات من هذا القبيل.

ح- **معكوسات جذرية.** أخيرًا، هناك قائمة ثالثة تحتوي على بنود تظهر في كلا القصتين ولكنها معكوسة جذريًا في مثل يسوع. على سبيل المثال، يبدأ يعقوب تغربه في الكورة البعيدة كرجل فقير وفي وقت معين يصبح غنيًا. ويبدأ الابن الضال تغربه كرجل غني ثم تتدهور به الأمور حتى يصل لحالة من الفقر: إن موضوع «الفقر/الغنى والابن الأصغر» يظهر في كل قصة. ولكن القصة الثانية تسير في اتجاه معاكس للأولى. وهذه القائمة طويلة أيضًا.

وبالاختصار، هناك بنود معينة مقبولة ومؤيدة في القصة الجديدة دون تغيير عن القصة القديمة (أ). وهناك بنود أخرى يعاد استخدامها مع بعض التغييرات (ب). والبند الثالث يشتمل على محتوى درامي/ لاهوتي يظهر في كلا القصتين ولكنه معكوس في المثل أو متغير تغييرًا جذريًا لإدراجه في القصة الجديدة (ج) [٢٧] فما الذي يقبله يسوع إذن ليقوم بهذا المجهود الشديد التميز وبالإبداع؟

## الترجمة والكرازة

وصف أندرو وولز وهو مؤرخ كنسي اسكتلندي ومتخصص في شئون المسيحية غير الغربية العلاقة بين الترجمة والكرازة التي تبدأ بالتجسد. فيكتب قائلاً:

«بالتجسد، صار الكلمة جسدًا، ولكن ليس جسدًا فحسب، فالإيمان المسيحي لا يعني مجرد التجلي أو تجسد الإله، وظهور اللاهوت على مسرح الأحداث البشرية. فالكلمة صار بشرًا... لم يكن المسيح مجرد كلمة مستعارة أدخلت إلى قاموس البشر، ولكنه قد نقل بالتمام، وأخذ وفقًا للاستخدام الوظيفي للغة، إلى كل خصائص الشخصية، والتجربة والعلاقة الاجتماعية. ورد الفعل البشري الصحيح نحو هذا العمل الإلهي وهو الصيرورة بشرًا يجب أن يكون التجديد، وانفتاح الأجهزة الفاعلة في الشخصية،

والعقل، والعواطف، والعلاقات على المعنى الجديد، على رسالة المسيح».[٣٤]

هذا الانتقال الإلهي من السماء إلى الأرض يصبح نقطة التحول ونموذجًا للكرازة. لقد أتى لنا الكلمة من الله، ونفس هذا الكلمة يؤخذ إلى شعوب وثقافات أخرى والتجسد هو نموذج «الانتقال» جديد من إحدى الثقافات وطريقة فهم العالم إلى ثقافة وطريقة أخرى. ويكتب وولز ثانية:

«وبالمثل، فالتجديد يتضمن استعمال النظم الفكرية القائمة، «وتحويل» تلك النظم إلى اتجاهات جديدة، وتطبيق مفاهيم ومقاييس جديدة على النظام الفكري والسلوك السائدين والفاعلين في مكان معين. إنه لا يعني الاستبدال، استبدال شيء جديد بشيء قديم، بل يعني التحويل، تحويل ما هو قائم بالفعل إلى قيمة جديدة.[٣٥]

وبوضع الفكرتين معًا، يقول وولز «ونتيجة للحدث الأصلي بانتقال يسوع الناصري هناك عدد لا حصر له من إعادة الانتقالات إلى الأنماط الفكرية والثقافات في مختلف المجتمعات التي يكرز بالمسيح فيها عندما يحدث التجديد».[٣٦]

وهكذا فإن وولز يرى عملية تتم على مرحلتين:

(المرحلة الأولى): كلمة الله يصير جسدًا.

(المرحلة الثانية): الإنجيل الحادث نتيجة لذلك، «ينقل» (يترجم) إلى ثقافات أخرى. ومع ذلك ألا يقدم لنا العهد الجديد مرحلة ثالثة؟ فما بين صيرورة الكلمة جسدًا (المرحلة الأولى) وخدمة بولس بين الأمم (المرحلة الثانية)، يمكننا أن نلاحظ "انتقال" يسوع فيما يتعلق بماهيته وما جاء ليفعله إلى الفكر والثقافة اللاهوتية للديانة اليهودية في القرن الأول. إن ذلك لم يحدث تلقائيًا. إن الحقيقة الجديدة عن الله الذي يفتقد ويفتدي شعبه في شخص يسوع كان يجب أن تقدم في عبارات مفهومة في إطار ثقافته اللاهوتية.

نعم، فكلمة الله الأزلي قد انتقل إلى الجسد في يسوع الناصري. ولكن الكلمة هذا قد تتطلب حتمية انتقال آخر (ترجمة أخرى) إلى العالم الفكري واللاهوتي الذي كان يشكل هو جزء منه.[٣٧] وفي الأمثال الثلاثة في لوقا ١٥ من الممكن أن نرى أن يسوع نفسه كان اللاهوتي الذي قام بتلك الترجمة الأولية إلى

«إسرائيل حسب الجسد» (١كو ١٠: ١٨، ترجمة حرفية انظر الـ KJV). إن مجهودات بولس بالنسبة للعالم اليوناني الروماني (ومجهودات كاتب سفر العبرانيين) تصبح لذلك الترجمة الثالثة (وليست الثانية) وهذه «الترجمة الثانية» التي أنجزها يسوع، يتم التغاضي عنها في معظم الأحيان. إذن فهذه الانتقالات الثلاثة يمكن تلخيصها كما يأتي:

١- كلمة الله ينتقل إلى الجسد في شخص يسوع.

٢- يسوع «ينقل» حقيقة ماهيته وما جاء لينجزه بإعادة صياغة قصص العهد القديم فيما يتعلق بالراعي الصالح وقصة يعقوب إلى أنماط جديدة يكون هو نفسه محورًا لها.

(٣أ) ينقل بولس الإنجيل الناتج عن ذلك إلى مفاهيم واستعارات يمكن للعالم اليوناني الروماني أن يفهمها.

(٣ب) تفعل الرسالة إلى العبرانيين نفس الشيء لذلك الفرع من الديانة اليهودية الذي كان يركز على الهيكل وطقوسه.

إن التفكير المسيحي في العهد الجديد ينتقل عادة من أول هذه الانتقالات انتقالاً مباشرًا إلى الثالث ومن المسلّم به، أن الشهود المسيحيين عبر التاريخ قد بدأوا «بالإنجيل الناتج» وجاهدوا لتقديم ذلك الإنجيل في عبارات مفهومة إلى ثقافات جديدة. ولكن ألا يفهم الإنجيل نفسه بصورة أفضل إذا تم فهم «الانتقال الثاني» جيدًا كذلك؟

صحيح أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين، كان يعمل جاهدًا لتقديم الإنجيل وفقًا للأنماط الفكرية اللاهوتية للديانة اليهودية في القرن الأول. ولكني مقتنع بأنه في مثل الابن الضال في المراحل الأولى لتكوين الإنجيل، كان يسوع نفسه يعمل جاهدًا لحل نفس تلك المشكلة!

في ذلك الوقت المبكر، كانت المرحلة الثانية ذات تأثير عميق، وهامة وملزمة كالمرحلتين الأولى والثالثة. والمجتمع الذي كان يسوع جزءًا منه اتخذ اسمه من قصة يعقوب. فقد كان يلقب إسرائيل، ذلك الاسم الذي أعطى ليعقوب في القصة العظيمة لرحلته نحو أرض الغربة (السبي) والعودة. والمدونة في تكوين ٢٧-٣٥. وكانت قصته جزءًا هامًا من قصة المجتمع. وسوف تركز الفصول التالية على الطريقة

التي أخذ بها يسوع تلك القصة العظيمة وصاغها من جديد كقصة جديدة يكون هو نفسه محورًا لها.

وأخيرًا، فإن قصة يعقوب ليست مختارة من الكتوبيم (الكتابات) الأقل احترامًا كما في حالة إعادة استعمال مزمور ٢٣ ولكن من التوراة نفسها، ويسوع لا يقوم بشرح استعارة موجزة (الراعي الصالح) بل قصة مطولة! صحيح، إن اليوبيلات Jubilees تقدم تصورًا جديدًا لقصة يعقوب. ولكن مؤلفها لم يكتب نفسه في النص كبطل لها. إن الحرية في تقديم نسخة جديدة من قصة يعقوب كان مؤكدًا بالفعل في التقليد ويتسلح يسوع بتلك الحرية ويمارسها بطريقة جديدة وجريئة. ونتبع ممارسة تلك الحرية هي المهمة التي نحن بصددها الآن.

# هوامش الفصل العاشر

1. The variants between the Greek Old Testament (Septuagint) and the Hebrew text of the Jacob saga are minor when compared with the variants in the four accounts listed. Thus the Septuagint will be omitted from the discussion.

2. The information for this paragraph is taken from p. Borgen, "philo of Alexandria," in The *Anchor Bible Dictionary*, 5: 333-342, and from H. A. Wolfson, *Philo*.

3. P. Borgen, "Philo of Alexandria," in *The Anchor Bible Dictionary*, 5: 335.

4. P. Borgen, "Philo of Alexandria," in *The Anchor Bible Dictionary*, 5: 341.

5. Philo, *On the Migration of Abraham* 38.208, in *The Works of Philo*, p. 273.

6. Philo, *On the Migration of Abraham* 38.208, in *The Works of Philo*, p. 274.

7. In passing it should be noted that Philo's Works were not preserved in the Jewish community. Thus, outside of the philosophically oriented, sophisticated Jewish community in Alexandria, he was apparently not popular.

8. This information was gleaned from Louis H. Feldman, "Josephus," in *The Anchor Bible Dictionary*, 3: 981-98.

9. Josephus, *The Antiquities of the Jews*, Preface, 3 (17).

10. I will list the traditional numbers of the book, chapter and paragraph. At the end of each notaion the paragraph numbers of the Loeb Classical Library seris will be added.

11. O. S. Wintermute, "*Jubilles*: A New Translation and Introduction," in *The Old Testament Pseudepigrapha*, 2: 36.

12. O. S. Wintermute, "*Jubilees*: A New Translation and Introduction," in *The Old Testament*

*Pseudepigrapha*, 2: 35.

13. *Jubilees* 22: 16.

14. *Jubilees* 25: 15-23.

15. *Jubilees* 25: 12.

16. *Jubilees* 26: 18.

17. *Jubilees* 26: 34.

18. *Jubilees* 26: 17.

19. *Jubilees* 29: 13.

20. *Jubilees* 29: 15-16.

21. *Jubilees* 29: 20.

22. *Jubilees* 30: 2.

23. Fragments of the book of *Jubilees* were found among the Dead Sea Scrolls.

24. J. Neusner, *Writing with Scripture.*

25. J. Neusner, *Writing with Scripture*, p. 4.

26. Babylonian Talmud, *Bava Metzi'a* 33a; *Shabbat* 16c.

27. Babylonian Talmud, *Soferim* 41a(2).

28. Babylonian Talmud, *Avot of Robbi Nathan* 32a (2); also cf. Tosefta, *Sanhedrin* 7: 11 (B) (J. Neusner, *Tosefta*, 4: 222).

29. *Midrash Rabbah, Song of Songs* 2: 6.1, ed. Freedman and Simon, 9: 111-12.

30. *Genesis Rabbah*, trans. J. Neusner, 2: 401.

31. *Genesis Rabbah,* comment by J. Neusner, 2: 402.

32. *Genesis Rabbah,* trans. J. Neusner, 3: 121.

33. To preserve the integrity of the flow of the story, I will discuss these items following the unfolding of the parable itself. But each dramatic element studied will be fiven a letter designation (A, B, or C) at the beginning of the discussion to indicate a suggestion for classification of the material along these lines. The three types are listed together in an apprendix for convenince of comparison.

34. A. F. Walls, *The Missionary Movement in Christian History,* p. 28.

35. A. F. Walls, *The Missionary Movement in Christian History,* p. 28.

36. A. F. Walls, *The Missionary Movement in Christian History,* p. 28.

37. In a public lecture Andrew Walls has discussed what he calls "the conversion of memory." New Christians, argues Walls, should not erase their past but allow it to be converted to Christ, This is what Jesus is doing: "converting" the community's memory." of the Jacob saga as he creates the new story of the compassionate father and the two lost sons.

## الفصل الحادي عشر

# التمرد الكبير

### العائلة قبل أن يترك الابن الضال البيت (لو ١٥: ١١- ١٣)

سوف يفحص هذا الفصل جوانب التشابه بين قصة يعقوب ومثل الابن الضال، مع التركيز على الابن الضال قبل أن يغادر البيت. نص المثل والعناصر الدرامية المتشابهة في الروايتين كالآتي:

«وقال إنسان كان له ابنان. فقال أصغرهما لأبية: «أعطني القسم الذي يصيبني من المال.» فقسم لهما معيشته. وبعد أيام ليست بكثيرة حول الابن الأصغر كل ما كان لديه إلى أموال نقدية[1] وسافر إلى كورة بعيدة» (لو ١٥: ١١-١٣، ترجمة المؤلف).

### ١١: ١ موت الأب (ب)

تبدأ كل قصة بإشارة إلى موت الأب ولكنها تفعل ذلك بطرق غير متشابهة بشكل لافت للنظر. في بداية قصة يعقوب، يقول إسحاق لعيسو «إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي» (تك ٢٧: ٢). ثم يقول بعد ذلك إنه يريد أن يبارك عيسو قبل أن يموت. إن الأب هو الذي يبدأ الحديث، وليس الابن، ويشير الأب لموته هو.

في المجتمع الشرق أوسطي التقليدي (كما في العديد من الثقافات في العالم)، يفترض أن تلك هي الطريقة الطبيعية للتعامل مع مشكلة الميراث. وحين يشعر الأب أنه على وشك أنه يموت، فمن المتوقع أن يقدم وصيته شفاهًا. وعندما اقترب إبراهيم من الموت، أعطى هدايا لأبنائه من قطورة، «وصرفهم عن إسحاق ابنه... وهو بعد حي» (تك ٢٥: ٦). وبعد عددين يموت إبراهيم «بشيبة صالحة». ويبدو أن العطايا لأبناء قطورة كانت جزء من تسوية ميراثه.

إن أطفالهم لم يطالبوا بذلك، ولكن إبراهيم هو الذي فعل ذلك. وفي ٢ملوك ٢٠: ١، يقول إشعياء لحزقيا «أوص بيتك لأنك تموت». وهذا هو النمط المعتاد للحياة التقليدية والمشار إليه أيضًا في عبرانيين ٩: ١٦. والفكرة بأن واحدًا من الأبناء يمكن أن يثير هذا الموضوع فكرة غير معروفة لدى كل

من اليهود والعرب.[٢]. يؤكد بن سيراخ بنوع خاص أن الميراث لا يجب أن يورّث خلال حياة المعطي (سيراخ ٣٣: ١٩-٢٣). وعيسو لا يبدأ بمثل هذا النقاش.

وعلى النقيض من ذلك، ودون مقدمات، في المثل، يطالب (الابن الضال الابن الأصغر، وليس الأقل شأنًا) بميراثه من أبيه، والمفترض أنه بصحة جيدة. وبإثارته لهذا الموضوع، يوحي الابن الضال بأنه يرغب في الموت المبكر لأبية.[٣]

وهكذا، ففي كل قصة، فإن المشهد الافتتاحي يركز بصورة، دراماتيكية على موضوع موت الأب، والفرق بين القصتين أن الابن الضال، دون سابق إنذار، يبدأ إثارة هذا الموضوع. وبمعرفتنا للدلالات الرمزية للشخصيات الرئيسية الثلاث في المثل، فإن هذا الطلب له مغزى لاهوتي عظيم. فبالنسبة ليسوع، فإن الخطية ترغب في موت الإله وتريد أن تأخذ عطاياه دون إشارة إلى المعطي. وسوف نعاود الرجوع لهذا الموضوع فيما بعد.

## ١١: ٢ الابن الأصغر يقطع العلاقة مع الأب (ب)

كل من يعقوب والابن الضال يمزقان علاقتهما بأبيهما، ولكن بطرق مختلفة. يفعل يعقوب ذلك بخداع الأب بجعله يعتقد أنه عيسو. ومن الطبيعي أن يشعر عيسو بالغضب الشديد، ولكن من الغريب أنه ليس هناك ما يدل على رد فعل إسحاق. ويمكن افتراض خيبة الأمل إزاء الخيانة. ولكن عند الرجوع إلى البيت، لا يبدو يعقوب متلهفًا لرؤية والده. وأخيرًا، «جاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممرا» (تك ٣٥: ٢٧)، ولكن ليس هناك إشارة أنها كانت فرصة للمصالحة، وليس هناك وليمة. ويترك لدى القارئ الانطباع الواضح بأنه لم يحدث جرح عميق في العلاقة يحتاج للشفاء. ويعمل كاتب «اليوبيلات» جاهدًا ليتأكد من أن القارئ يعرف أن إسحاق يشعر بسعادة دائمة مع أبيه يعقوب[٤] وأنه بعد عودته يبذل يعقوب كل جهد ممكن للعناية بأبيه[٥]. وليس هكذا الحال مع الابن الضال.

ويحطم الابن الضال علاقته بأبيه بسبب طلبه الفظ. فكان لابد من تعميق الفجوة فيما بينهما عندما يبيع الابن الضال ما آل إليه من ملكية. وعندما يحدث ذلك، فإن الإساءة التي لا تغتفر والتي وجهها لأبية تصبح على كل لسان في المجتمع. وعند نهاية القصة ينهمك الأب في أعمال دراماتيكية تفوق الحد لإرجاع المياه إلى مجاريها بينه وبين الابن الضال وبين الابن الضال والمجتمع.

وإذا قارنا القصتين، فإن الجفوة بين الابن الضال وأبيه أعمق وأشد إيلامًا من تلك التي تفصل إسحاق عن يعقوب. فإن يخدع الابن أباه المسن وينتزع نصيبًا أكبر مما يستحقه في الميراث (سرًا)

شيء، وأن يتمنى الابن موت أبيه ويسمح للقرية باكتشاف تلك الرغبة لديه شيء آخر. يفتتح المثل بهذه القنبلة اليدوية وهي تنفجر في وجه الأب. وعندما يحدث هذا، يصاب المستمع/ القارئ بالصدمة ويتوقع الغضب والرفض من جانب الأب.

وكما رأينا هنا، فالخطية في نظر يسوع أكثر من التعدي على الناموس، إنها تحطيم للعلاقة. وفي حقيقة الأمر، فإن الابن الضال يتعدى على الناموس، ولكنه يفعل ما هو أكثر من ذلك. إنه ، في الواقع، في حالة تمرد كلي ضد أبيه. إحدى الكلمات العبرية مقابل خطية كلمة Pesha (تمرد). ويصدر النبي عاموس أحكامًا مدوية كالرعد ضد الأمم وضد يهوذا وإسرائيل مستخدمًا هذه الكلمة ذات الدلالة (عا١: ٣، ٦، ٩، ١١، ١٣؛ ٢: ١، ٤، ٦). وفي هذه القصة يعكس يسوع هذا الفهم اللاهوتي للخطية. لذا فإن السامع/ القارئ يعرف أن أخطر موضوع يفرق بين الأب والابن ليس المال المكتسب بطريقة غير شرعية (التعدي على الناموس) ولا حقيقة أنه أضاع ذلك المال. بل العلاقة الممزقة وألم الحب المرفوض الذي ينتج عن ذلك التمزق.

## ١١: ٣ طبيعة الأب (ج)

كتب وليم تمبل رئيس الأساقفة:

«كل عبقري أصيل يواجه بعقبه الألفاظ التي تتيحها له اللغة المعاصرة كالسبيل الوحيد والحتمي للتعبير عن نفسه. وعندئذ عليه أن يختار أفضل الألفاظ المتاحة، ويثق أن استعماله الخاص لها سوف يصحح بالتدريج من الإيحاءات المتعلقة بها، والتي تكون غريبة عن فكره، حتى يتمكن أخيرًا من فرض المعنى الذي يقصده عليها»[٦].

ينطبق هذا البيان تمامًا على استعمال يسوع لكلمة «أب» كاسم واستعارة لله. فكما رأينا في مثل الابن الضال، فإن صورة الأب تتغير من تلك التي تدل على رئيس لسبط أو لقبيلة إلى استعارة يمكن استعمالها للإشارة إلى الله. وأهمية هذا التغيير والتحول هام لفهم كل أناجيلنا الأربعة. تزعم بعض الأوساط اللاهوتية أن يسوع والرسل قد تبنوا فكرة «الأب الشرقي» كصورة لله. فالأب الشرقي التقليدي في الشرق الأوسط عادة يتعامل مع أطفاله برقة بالغة. قد يكون فظًا في معاملة عامة الناس، ولكنه نادرًا ما يكون كذلك بالنسبة لأطفاله. وليس ذلك شيئًا مألوفًا عادة في الغرب. ولكن في نهاية المطاف، لا الحقيقة ولا نفاذ البصيرة بهامين.

ما يهم حقًا هو أنه طيلة الألفي عام فإن المسيحيين في الشرق والغرب والشمال والجنوب، قد سمحوا

في بعض الأحيان لمفاهيم عن الآباء البشريين أن تؤثر على مفاهيمهم عن الله كأب للجميع. ومثل هذا النشاط، حيثما يحدث، هو نوع من عبادة الأصنام يجب أن يتم التعرف عليه ويتم الإقرار بأنه خطية ويرفض. إن السؤال الذي يجب أن يثار هو، هل الكتاب المقدس يحدد معني كلمة أب كما تنسب إلى الله؟ وحيث أنه يفعل ذلك، فإن ذلك التعريف وحده يجب بكل تأكيد أن يتحكم في الطريقة التي يفهم بها المسيحيون الله كأب.

فكتاب كل من العهدين القديم والجديد أوضحوا ما يعنونه عندما أشاروا إلى الله كأب. فحين تستخدم الكلمة كلفظ مجازي عن الله، فإنها تصبح رمزًا قويًا للرقة والعطف. ولكن سوء الفهم شرقًا وغربًا إزاء هذه النقطة شامل وضخم في آن واحد. ولذلك، فإن الفحص الوجيز لاستعمال لقب أب بالنسبة لله في الأسفار العبرية يثبت أنه في تنسيق بديع.

ينسب لقب أب بالنسبة لله ١٦ مرة في الأسفار العبرية. أربع مرات منها تتحدث عن الله كأب لداود. والاثنتا عشرة مرة الأخرى تصف الله كأب لشعبه. ويمكن تلخيص هذه الاثنتى عشرة مرة على النحو التالي:

- أب = الفادي/الشفوق/ الرحيم (٧)
- أب = خالق (٣)
- أب = كرامة (١)، قوة (١)

تتطلب كل من هذه الفئات الثلاث من الألقاب فحصًا وجيزًا.

وفيما يأتي الأمثلة السبعة لله كالفادي/الشفوق/الرحيم

«غنوا لله...

أبو اليتامى وقاضي الأرامل» (مز ٦٨: ٤-٥).

كما يترأف الأب على البنين

يترأف الرب على خائفيه» (مز١٠٣: ١٣).

«زفير أحشائك ومراحمك

نحوي امتنعت

فأنك أنت أبونا

وإن لم يعرفنا إبراهيم

وإن لم يدرنا إسرائيل

أنت يا رب أبونا

ولينا منذ الأبد اسمك» (إش٦٣: ١٥-١٦).

«يا أبي أليف صباي أنت»

«وأنا قلت

كيف ... أعطيك أرضا شهية...

وقلت تدعينني يا أبي» (إر٣: ١٩).

«أسيرهم إلى أنهار ماء...

لأني صرت لإسرائيل أبًا» (إر٣١: ٩).

«من مصر دعوت ابني...

وأنا درجت أفرايم،

ممسكًا إياهم بأذرعهم...

كنت أجذبهم بحبال البشر،

بربط المحبة،

وكنت لهم

كمن يرفع النير عن أعناقهم،

ومددت إليه مطعمًا إياه...

قد انقلب عليَّ قلبي،

اضطرمت مراحمي جميعًا» (هو ١١: ١-٩).

هذه النصوص السبعة توضح أنه بالنسبة لكاتب الأسفار العبرية، فإن صورة الله كأب كان يسيطر عليها أفكار العطف، والحب، والرقة، والفداء.

وبالإضافة لما سبق، فهناك ثلاثة نصوص تفهم أبوة الله بأنها تضم صفة الخالق.

وهاك هذه النصوص:

«الرب تكافئون بهذا

يا شعبًا غبيًا غير حكيم؟

أليس هو أباك ومقتنيك،

هو عملك وأنشأك؟ (تث ٣٢: ٦، انظر أيضًا تث ٣٢: ١٨).

«يا رب أنت أبونا،

نحن الطين، وأنت جابلنا،

وكلنا عمل يديك» (إش ٦٤: ٨).

«أليس أب واحد لكلنا؟ أليس إله واحد خلقنا»؟ (مل ٢: ١٠).

وأخيرًا، هناك نص واحد يشير فيه لقب أب لقوة الله. وثان يربط اسم الأب بالكرامة. وها هما:

«مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا، من الأزل وإلى الأبد. لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد» (١ أخ ٢٩: ١٠-١١).

«الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فإن كنت أنا أبًا فأين كرامتي وأن كنت سيدًا فأين هيبتي؟ قال لكم رب الجنود» (ملا ١: ٦).

يتضمن لقب الملك الحكم الاستبدادي المطلق، بينما يعبر لقب لأب بالنسبة لله (كما رأينا سابقًا) عن الشفقة والعطف والرقة. فقط في ١ أخبار ٢٩: ١١ فإن لقب الأب ذو صلة بالقوة، والمجد، والجلال.

ويتصرف الله الآب في بعض الأحيان كالأم. وكما لاحظنا سابقًا، في إشعياء ٦٣: ١٠ وفي إشعياء ٦٤: ٨، يدعى الله أبًا، بينما بعد أعداد قليلة في إشعياء ٦٦: ١٣ يوصف ذلك الأب بالكلمات التالية:

«كإنسان تعزيه أمه،

هكذا أعزيكم أنا،

وفي أورشليم تعزون» (إش ٦٦: ١٣).

وتنسب الصفات الأنثوية لله أيضًا في تثنية ٣٢: ١٨ الذي يقول:

«الصخر الذي ولدك تركته،

ونسيت الله الذي أبدأك...» [٨]

ويتبع مزمور ١٣١: ٢ نفس الاتجاه حين يقول:

«بل هدأت وسكت نفسي،

كفطيم نحو أمه،

نفسي نحوي كفطيم».

يهدئ المرنم هنا نفسه، ولكنه في أثناء ذلك يشبه نفسه بطفل يستريح على «صدر أمه»، والأم في ذا النص تشبيه لله.

وأخيرًا، فإن إشعياء ٤٩: ١٥ يقول:

«هل تنسى المرأة رضيعها،

فلا ترحم ابن بطنها؟

حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك».

إن عطف الله هنا يفوق محبة الأم البشرية. ومع أن محبة الله مثل محبة الأم، إلا أن محبة الله أعظم منها حدة.

وهكذا، فإن العهد القديم يقدم لقرائه استعارة وتشبيها. فالله لا يطلق عليه أبدًا لقب «أم»، ولكن يشار إليه «كأب» يتصرف مثل الأم. وهذه اللغة المتزنة بدقة تعاود الظهور في مخطوطة الترانيم (هودايوت Hodayot) من مخطوطات البحر الميت، والتي تقول:

«لأنك أب

لجميع [أبناء] حقك،

وكالمرأة التي تحب رضيعها بشدة،

هكذا أنت تفرح بهم،

وكالأب الذي يحمل طفله في حجره،

هكذا أنت تعتني بكل مخلوقاتك».[٩]

إن الله هنا أب يتصرف كالأم التي تحب رضيعها بشدة.

إن مفهوم الآباء كأناس ذوي عطف يمكن إرجاعه، لما قبل العهد القديم والجديد، إلى الأدب الغنوسي (السامي) الشرقي. وفي مجموعة من وثائق القرنين الثالث والرابع المستعادة من وسط آسيا تظهر ترنيمة تذكارية لـ مار زوكو Mar Zuku (حوالي ٣٠٠م) تحتوي على ما يأتي:

«أيها الآب المبارك، الحليم والرحيم

المتسع الصدر والكريم،

العطوف والشفوق،

لقد أفرحت المظلومين

وأنقذت نفوسًا عديدة من البؤس

وهديتهم ليرجعوا إليك».[١٠]

ومهما تكن أخطاء الآباء العديدين في الشرق الأوسط (أو الغرب)، فإن ما سبق، مثلما جاء في سفر هوشع أصحاح ١١، بعد تزكية قوية للمفهوم الشرق أوسطي عن الأب كرمز للعطف والشفقة.

ومع ذلك، فإن ذروة هذا الفهم للأب موجودة في مثل الابن الضال. ففي خمس مرات في هذا المثل يظهر الأب العطف بقدر أكبر مما هو متوقع من الأب السامي التقليدي.

(أ) يلبي الأب الطلب المبتكر غير المسبوق وغير المعقول ويعطي الابن الضال ما يخصه من الميراث.

(ب) يسمح للابن الضال ببيع الممتلكات. ويعلن ذلك عن كرم يتخطى حدود التقاليد والناموس اليهودي مما هو مبين في المشنا.[١١]

(ج) يجري في الطريق مرحبًا بابنه الضال بطريقة درامية مثيرة تظهر الشفقة التي تكلفه الكثير، على أمل أن يستعيد الضال من العبودية إلى البنوية، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الموت إلى الحياة.

(د) إنه يتحمل المهانة الأليمة أمام الجميع إذ يترك ضيوفه، في الوليمة التي دعاهم إليها، مقدما حبًا أكثر تكلفه للابن الأكبر الذي أظهر تمرده علانية.

(هـ) بعد تلقيه إهانات لفظية من الابن الأكبر، يدعوه الأب ليفرح بدلًا من اللجوء لإصدار الأحكام القاسية وإتباع أساليب العقاب.

وكما كتب القس إبراهيم سعيد، المفسّر المصري في منتصف القرن العشرين، في تعليقه على إنجيل لوقا باللغة العربية:

«الراعي في لوقا ١٥ والمرأة يفعلان تلك الأشياء التي نتوقع أن يفعلها الراعي الصالح والمرأة الصالحة. ولكن الأب في قصة الابن الضال يقوم بأفعال إلهية لا نتوقع أن يقوم بها أي أب».[١٢]

إن ذروة محبة الأب في المثل تظهر في المطلب الأخير من الابن الأكبر بالفرح أو ليس في عناق الضال في الطريق). يعلق ابن الطيب من بغداد باللغة العربية في القرن الحادي عشر على الأب الذي يخرج لملاقاة ابنه الأكبر المتمرد فيقول:

«انظر إلى قلب الأب إنه مليء بالرقة والحب لأنه ترك الوليمة، والضيوف، وابنه الأصغر ليطلب من ابنه الأكبر بأن يدخل. فكما لو كان فرحه ناقصًا طالما أن واحد من ابنيه حزين. إنه لا يوبخ الابن

الأكبر على قساوة القلب أو على تبلد حواسه. وبنفس الطريقة فإن الآب السماوي يرغب في دخول الكتبة والفريسيين إلى ملكوت السموات، وكذلك العشارين والخطاة. وهكذا فقد أظهر طول الأناة والرغبة الصادقة بأن يأتوا إليه كما فعل هذا الأب الأرضي».(١٣)

يرى ابن الطيب الأب في المثل كشخص مليء «بالرقة والمحبة» ويؤكد بقوة أن «الأب السماوي يظهر نفس هذه الصفات «بنفس الأسلوب». هناك الكثيرون من الآباء المتسلطين المتجهمين في واقع الحياة وفي كل ثقافة ولكن هذه الصورة لا تظهر أبدًا في الكتاب المقدس كنموذج لله.

وكما ذكرنا من قبل، فالكتاب المقدس لم يقارن أو يشبه الله بالأب البشري. في هوشع ١١: ٩ يقول الله:

«لأني الله لا إنسان،

القدوس في وسطك،

فلا آتي بسخط».

يوضح الكتاب المقدس أن الله ليس مثل الأب البشري، ولكنه مثل ذلك الأب، أي الأب المذكور في هوشع ١١ ولوقا ١٥.

في قصة يعقوب، فإن إسحاق بالفعل أب شرقي، ولكنه لا يتسم بالكثير من صفات الأب الشرقي فهو يستنكف أن يطلب العون بشأن عدم تأكده ممن سوف يقدم له طعامه. ولا يقدم لعيسو اعتذارًا. ويبدو أنه غير قادر على التعامل مع خداع زوجته له ولا يبذل أي مجهود لجمع شمل عائلته المفككة. وأخيرًا، في نهاية القصة، فإن قواه تتضاءل تدريجيًا حتى يموت مستسلمًا في حالة من السلبية وعدم الفاعلية. لكل قصة أب، ولكن الفروق بينهما شاسعة!

يبدو أن يسوع الناصري أخذ صورة الأب السماوي في هوشع ١١، وأضاف إليها جانب عطف الأمومة المنسوب إلى الله والذي يظهر في العهد القديم، وذهب إلى أبعد من ذلك عندما ابتكر صورة الأب في المثل. هذا الأب الجديد مليء بالرقة، والصبر، والعطف، والمحبة والاستعداد لتحمل الألم ليقوم بعملية الفداء.

وكما كتب هنري نووين (Henri Nouwen)، الكاهن الكاثوليكي الروماني الهولندي الراحل، في كتابه «عودة الابن الضال».

«إن الطريقة التي يُقدم بها للابن الأصغر حلة، وخاتمًا، وحذاء، والترحيب به في البيت في احتفال

مهيب، كما أن الطريقة التي تم بها حض الابن الأكبر لكي يقبل مكانه الفريد في قلب والده وأن يشترك مع أخيه الأصغر حول المائدة، كل ذلك يوضح بجلاء اختراق كل حدود السلوك الأبوي المتعارف عليها. فليست هذه هي صورة الأب المثالي الرائع. إنها صورة لله، الذي ليس لصلاحه، ومحبته، وغفرانه، وعنايته، وفرحه، وعطفه حدود على الإطلاق. يقدم يسوع الجود الإلهي باستخدام كل الصور التي تمده بها ثقافته، مع إدخال التعديلات المستمرة عليها».[١٤]

إن يسوع لم يعلم تلاميذه فقط أن يصلوا قائلين "أبانا" ولكنه حدد هذه الملامح الأبوية. فلا شك، أنه لا يجب السماح لأي صورة عن الأب كلقب لله بأن تشكل تفكير أي تلميذ ليسوع بخلاف تلك الصورة التي رسمها في المثل الذي نحن بصدده.

من الطبيعي أن ينظر بعض أصحاب الأديان الأخرى بفزع شديد إلى المسيحي الذي يصلي قائلًا «أبانا» فإن مثل هذه الصلاة في نظرهم تؤدي حتمًا إلى الوثنية لأن العابدين سوف يتأثرون في فهمهم للقب الأب بالآباء البشريين الذين يعرفونهم. ونحن كمسيحيين، يجدر بنا أن نستمع جيدًا لهذا التحذير. نعم ، فعلى مدار التاريخ قد انزلقنا كثيرًا نحو وثنية تشكيل فهمنا عن الله كأب من ثقافتنا أو اختبارنا الشخصي، مهما كانت تلك الثقافة أو ذلك الاختبار. وحل هذه المشكلة لا يعني أن نتخلى عن أن نلقب الله بالأب، بل أن نقتصر في فهم معنى ذلك اللقب على التعريف الذي ذكره يسوع. إن تغيير مفهومنا عن الله والألفاظ التي نستخدمها بصورة ليس هو البديل الوحيد. فلدينا هذا المثل!

وبالمناسبة، يجدر ملاحظة أن يسوع يجعل من هذه القصة الموروثة قصة عالمية. فبدلًا من أن تكون قصة عن قبيلة معينة في مكان معين وفي وقت معين في التاريخ، فإن القصة الجديدة تحكي عن النوع البشرى في كل الأماكن والأزمنة. وهذا التعميم للقصة سوف يظهر بصورة متكررة ونحن ننتقل خلال النصين اللذين نحن بصددهما.

## ١١: ٤ الأم (ج)

تظهر أم يعقوب، رفقة، في شكل شاحب مقارنة بقديسات مثل راعوث، والمرأة الفاضلة في أمثال ٣١. وفي الحقيقة، فإن رفقة تخدع عامدة متعمدة كلا من زوجها وابنها الأكبر. وبعد هذه الخديعة المزدوجة، تختفي من النص ولا تذكر مرة أخرى إلا عند وفاتها. وإنها لنهاية محزنة لقصة زواج بدأ بالوعد غير المنطوق بأشياء أفضل. ويبدو أن كاتب «اليوبيلات» يشعر بحساسية خاصة تجاه السلبيات. وقد يفسر هذا لماذا يعمل كاتب «اليوبيلات» جاهدًا لتقديمها كقديسة.[١٨]

لا توجد أم في مثل الابن الضال. ومع ذلك، فحين يجري الأب مندفعًا في الطريق للترحيب بالضال، فإنه يفعل ما تفعله الأم بصورة تلقائية. والأب هو الوالد الذي من المتوقع أن يبقى وحده في البيت، منتظرًا ما سوف يقوله ابنه الضال دفاعًا عن نفسه. أما الأم، فمن المسموح لها، بل ومن المتوقع أن تجري في الطريق وتمطر الابن العزيز بالقبلات. يقدم لنا يسوع صورة لأب يتصرف برقة الأم وعطفها- أب، إذا جاز التعبير، يحمل صفة الأمومة.

وفي وقت لاحق من ذلك النهار، عندما ينتهز الابن الأكبر فرصة الوليمة العامة للشجار والصراخ مع والده، كان يمكن للأم أن تندفع نحوه لتعمل على تهدئته. تقليديًا، كان يجب على الأب أن يبقى مع ضيوفه ومرة أخرى يتصرف الأب مثل الأم.

وبالاختصار، ماذا يحدث في لوقا ١٥ فيما يتعلق بهذه النقطة بالذات، مقارنة بقصة يعقوب؟ إن الصورة السلبية لأم يعقوب يتم التخلي عنها بهدوء. وبدلًا منها، نرى الصورة النبيلة، العلنية، والواضحة للمرأة الصالحة بدرهمها المفقود تحتل خشبة المسرح، جنبًا إلى جنب مع الأب الذي يتصرف كالأم الرقيقة العواطف. وفي أثناء ذلك، يتم الحفاظ على وحدانية الله بدون التضحية بالجوانب الأنثوية لطبيعة الله والمتاحة ليسوع في الأسفار العبرية. إن الله روح، فهو ليس ذكرًا أو أنثى. ومع ذلك فالله هو أب يتصرف كالأم. هذه الفكرة اللاهوتية جيدة التناغم والموجودة في العهد القديم. تؤكدها مخطوطات البحر الميت ويعبر عنها أفضل تعبير في فكر يسوع.

## ١١: ٥ أب وابنان (أ)

تحتوي كلا القصتين على أب وابنين، ابن أكبر وابن أصغر. وتعرض قصة يعقوب شخصيات ليست بذي أهمية. فتظهر رفقة، ولابان، وليئة وراحيل جنبًا إلى جنب مع أربعمائة رجل مسلح. ومع ذلك فهم الشخصيات الذين يقومون بالأدوار الثانوية في القصة. ولكن القصة تدور حول إسحاق، ويعقوب وعيسو.

وفي المثل، فمن الواضح أن الشخصيات البارزة هي الأب، والابن الأكبر والابن الضال. والمثل ليس قصة مطولة، وفريق العمل المعاون لا يذكر بالاسم. ولكن هناك أشخاص في المجتمع يشترون ميراث الابن الضال. وهناك مواطن في الكورة البعيدة يستأجر الابن الضال. وعند عودة الأخير، هناك ذكر لطبقة من الأجراء (العمال المهرة). وهناك خدم البيت وغلام يظهر على المسرح ويشارك في الدراما. وهناك بيت مليء بالضيوف الذين يشاركون في الوليمة التي يؤدي فيها الموسيقيون والراقصون

أدوارهم. ويقول الابن الأكبر أن له دائرة من الأصدقاء الذين يجب أن يستمتع معهم ويفرح. تكّون هذه الشخصيات الشخصيات الإضافية الهامة.

وكما ذكرنا، فإن بعضًا من هؤلاء الممثلين المعاونين يظهرون على المسرح. هناك مواطن في الكورة البعيدة يستأجر الابن الضال. في الواقع، أن الابن الضال «التصق» (حرفيًا) بهذا المواطن.[١٩] ويخاطب الأب الخدم/العبيد ليأمرهم بإحضار الخاتم، والحلة، والحذاء وأن يعدوا وليمة. والموسيقيون والراقصون يسمعون دون أن يراهم أحد. للغلام فقط دور للحديث. أما الآخرون في فريق العمل المعاون يظلون بعيدين عن الأنظار أو وراء الكواليس. وفي كل قصة، نرى الضوء مسلطًا على أب وابنين.

قصة إبراهيم هي قصة لأب وابنين. ولذلك فإن جمهور الفريسيين بدأوا يتساءلون إن كان يسوع سوف يبدأ في ذكر أوجه التشابه مع قصة إبراهيم، ولكن بتقدم القصة، فإن أوجه التشابه مع الصدمات التي تلقاها إبراهيم من إسماعيل وإسحاق تقل، بينما تستمر أوجه التلاقي مع قصة إسحاق وعيسو ويعقوب.

إن اختيار يسوع لهذه الشخصيات الرئيسية الثلاث لقصته يفتح أعين جمهور سامعيه على احتمال أنه يصوغ قصته الجديدة وفقًا للتركيب الدرامي لقصة يعقوب. وعندما تتضح معالم المثل فإنهم سوف يستمعون بعناية ليعرفوا إن كانت قبل هذه الفكرة مقبولة أم لا.

## ٦:١١ هوية الابنين (ب)

في قصة يعقوب، يمثل الابنان قائدين لعشيرتين. أحدهما يرأس إسرائيل بينما يصبح الآخر مؤسسًا لأدوم، والعداوة بينهما مستحكمة على الدوام. في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة، كان يرمز للابنين في المثل بأنهما يمثلان اليهود والأمم. ولكن لا يمكن إقامة الدليل على هذا التصنيف. فإذا كان المقصود بأن الابن الضال يمثل الأمم، كان يجب على عائلة الأب أن تخصص راعيًا يونانيًا للقيام بمهمة رعاية الخنازير، ولكن بدلًا من ذلك، فمنذ البداية كان الابن الضال فردًا في عائلة قد تغرب ثم عادت علاقته مع عائلته إلى مجاريها. وظل الابن الأكبر في البيت ولكنه كان يشعر بأنه غريب أيضًا، عن كل من أخيه وابيه. وفي عالم يسوع والنص، فإنهما يمثلان. «العشارين والخطاة» (الابن الأصغر) و"الفريسيين والكتبة" (الابن الأكبر، انظر لو ١٥: ١-٢). وعلى العموم فإنهما رمزان للجنس البشري. يمكن أن يطلق عليهما «الذين في الداخل والذين في الخارج» أو «المخالفين للناموس» و«حافظي الناموس» أو الذين يتبعون تقاليد مجتمعهم وأولئك الذين لا يفعلون كذلك.

في القرن التاسع، فإن موسى باركيفا، عالم سرياني كتب من الموصل في العراق، يهاجم فكرة تعريف الابنين بأن أحدهما يمثل اليهود والآخر يمثل الأمم. يكتب موسى باركيفا فيقول:

«ويقول آخرون إنه [يسوع] قصد بـ «الابن الأكبر» الإسرائيليين، وبالابن الأصغر» الشعوب [الأمم]... ولكننا نقل إن المسيح أشار إلى «الرجل» كأبيه. وأشار إلى الابن الأكبر بأنه يمثل شريحة الأبرار... وأشار إلى «الابن الأصغر» بأنه يمثل شريحة الخطاة. وسماه «الابن الأصغر» لأن الفكر الطائش، والشهواني، والجاهل، والخاطئ من سمات الخطاة».[٢٠]

من الواضح أن باركيفا يراعي شمولية المثل. إن يسوع لا يتحدث عن مجتمعات إثنية خاصة بعينها ولكنه يشير إلى أنواع مشهورة من البشر في كل لسان وثقافة. ويؤكد هنري نوين هذه اللافتات الوصفية ويسلط عليها الضوء فيما بعد. وهو يردد على الدوام إن كلا من الابنين الأكبر والأصغر موجودين وسطنا وأنه إذا دخل الابن الأكبر قاعة الوليمة، فإنه يجب أن يبدأ في التعامل مع أخيه بنفس الطريقة التي يتعامل بها الأب مع كلا ولديه. يكتب نوين فيقول: «وجودي في بيت الأب يتطلب أن أجعل حياة الأب هي حياتي وأن أتحول إلى شبهه.»[٢١]

قال يسوع «كونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم» (لو ٦: ٣٦). إن هذا المثل يحدد كلا من طبيعة تلك الرحمة وطبيعة ذلك الأب. مرة أخرى فإن قصة عن عشيرة واحدة، على الرغم من عدم إهمال تلك العشيرة، تصبح قصة عن كل البشر.

## ١١: ٧ طبيعة البركة / الميراث (ب)

البركة/ الميراث عنصر هام في كل قصة، ولكن هناك بعض التنقيحات الهامة في قصة يسوع. يطلب يعقوب ويأخذ بركة أبيه، وهي ذات صلة مباشرة بثروته الشخصية وبقيادته للعشيرة (تك ٢٧: ٢١-٢٩). وفقد عيسو أولا بكوريته (تك ٢٥: ٢٩-٣٤) ثم خُدع وفقد البركة أيضًا. ولكن ضياع بكوريته لم يكن يمثل أمرًا خطيرًا مثل فقدانه للبركة، كما أن أباه لم يكن مسئولًا عن ضياعها. إن ضياع بكوريته كان يعني ضياع الفرصة ليرث القسم الأكبر من ثروة العائلة (تث ٢١: ١٧). ولكن ضياع البركة (كما هي موضحة في ما قاله إسحاق ليعقوب وهو يباركه) كان يعني ضياع الثروة وأشياء أخرى في غاية الأهمية.

وكما ذكرنا، فإن إسحاق، بأسلوب الشرق أوسطي الجميل، عبر عما يجول بفكره بشأن هذا الموضوع وهو يحس بدنو أجله.[٢٢]. ولكن من الواضح، أنه أساء تقدير حالته الصحية، فهو في واقع

الأمر، عاش ليرى يعقوب يعود بعد ٢٠سنة (تك ٣١: ٣٨) من «الكورة البعيدة». ولكن ما يهمنا بنوع خاص هنا الطبيعة الثلاثية للبركة (الميراث) التي يعطيها ليعقوب.

بارك إسحاق يعقوب مانحًا إياه ثروة على شكل «ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر» (تك ٢٧: ٢٨). كما كتب إيوجين مالي قائلا:

«هذه البركة الخاصة بالابن البكر ليست مدونه في سفر التكوين، ولكن يمكن الافتراض بأن مثل هذه البركة قد أعطيت لتدل على حق الإرث. (ربما يكون ذلك متضمنا في تكوين ٣٤: ٣٦ب).» [٢٣]

ويواصل إسحاق حديثه فيقول: «كن سيدًا لإخوتك. وليسجد لك بنو أمك» (تك ٢٧: ٢٩). وأخيرًا، نجد ترديدا لما جاء في جزء من بركة إبراهيم في تكوين ١٢: ٢-٣. فقد وعد الله إبراهيم قائلًا «أجعلك أمه عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وأبارك مباركيك ولاعنيك العنه».

«ويقول إسحاق ليعقوب:

ليتعبد لك شعوب،

وتسجد لك قبائل...

ليكن لاعنوك ملعونين،

ومباركوك مباركين» (تك ٢٧: ٢٩).

يقدم ليعقوب ثلاثة أشياء «الرخاء المادي، استعباد أخوته (الأمميون/الأمم)، واستنزال اللعنات على أعدائه مع بركة مناصريه.

وموضوع "الميراث" محوري أيضًا في مثل يسوع، ولكن كما في قصة يعقوب، فالكلمة نفسها غير مستخدمة. يفتح الابن الضال المشهد الأول بالقول «أعطني القسم الذي يصيبني من المال». وكما ذكرنا، فقد أعطى له هذا القسم، مع إعطائه الحق في البيع، ولكنه فقد انتسابه لعشيرته وأهله كما فقد انتماءه لوطنه. حصل الابن الضال على ثروة مادية ولكن ليس هناك وعد بأن أمميًا، مثل ذلك الأممي في الكورة البعيدة، سوف يصيبه الضرر إذا تجاسر وأرسل الابن الضال لإطعام الخنازير! وليس هناك أي وعد بأن الابن الأكبر سوف يستعبد للابن الأصغر.[٢٤]

وفي حقيقة الأمر، فأن الابن الأكبر يغضب عندما يعود الابن الضال، ولكن ليس هناك إيحاء مباشر بأن الأول يخشى الاستعباد لأخيه. وبكل تأكيد، فإنه من المرجح أن الابن الأكبر يخشى أن يعطى الأب الكريم المزيد من المال للابن الأصغر المتشرد – وهو مال يعد جزءًا من حقوق الابن الأكبر. وهذا يفسر

السبب الذي دفع الأب ليقول له بكل وضوح "كل مالي فهو لك". إن قصة عن كيفية انتقال القيادة من جيل إلى جيل تتحول إلى قصة توضح كيف أن أبًا عطوفًا مضحيًا بنفسه يقدم حبا ثمينًا للمعتدي على الناموس ولحافظ الناموس في آن واحد.

ويبقى سؤال واحد وهو، ما الذي كان يسوع يعنيه بالضبط في إشارته إلى "الميراث" الذي أعطى للابن الضال؟ نحن نعرف ما الذي وعد به إسحاق ليعقوب. ولكن ما الذي كان يرمز له الميراث في فكر يسوع؟

يطلب الابن الضال نصيبه من «المال». في كل العهد الجديد، فإن كلمة مال (*ousia*) موجودة هنا فقط. [٢٥] ويستجيب الأب للطلب بأن "قسم معيشته" (*bios*) فيما بينهما. ماذا يعني ذلك؟

في المجتمع الزراعي التقليدي في الشرق الأوسط فإن أرض الفلاح هي حياته، وليست مجرد معيشته. فالأرض شيء محوري بالنسبة لهويته ذاتها. وفي الأسفار العبرية، فإن نابوت على استعداد لأن يموت من أن يبيع أرض عائلته الموروثة، حتى إلى الملك. فهو يقول للملك آخاب «حاشا لي من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائي» (١مل ٢١: ٣). وينشد الأمريكيون معبرين عن حبهم للأرض بافتخار. وتعكس وجهة النظر هذه شيئًا عن الموقف التقليدي لسكان الشرق الأوسط تجاه أرض العائلة وما تعنيه. إن الأب بأفعاله، يعطي الابن الضال حياته ذاتها.[٢٦] وهكذا، فمن الناحية الرمزية، فإن يسوع يقول لسامعيه الفريسيين إن أبناء الله يقدم لهم العالم الطبيعي، الذي يمكنهم من المعيشة، وحياة الله ذاتها كهبة مجانية لأبنائه. وبتقدم القصة يتضح أن كلا من جانبي هذه الهبة المزدوجة يمكن تبديدهما. ومع ذلك فلا يقدم للابن الضال سلطان على عشيرته، ولا يلعن أعداؤه، ولا يبارك أصدقاؤه ومحبوه. إن قصة يسوع ذات صلة بعائلة، كما كانت القصة القديمة. ولكن في القصة الجديدة، فإن رابطتي الجنس والقبيلة ليستا من العوامل الهامة التي تكون العائلة الجديدة. وبدلًا من ذلك، فإن الاهتمام ينصب على العلاقات بين أفراد العائلة. وعلى حياة الأب (الله) التي تعطى للابنين. مرة أخرى يتعامل المثل على مستوى عميق مع كل الجنس البشرى واحتياجاته.

وتلخيصًا لما سبق، فإن كلا القصتين تتعاملان مع موضوع الميراث، ولكن القصة الجديدة تتعامل مع الموضوع بطريقة مختلفة ذات مغزى. وهذا التحول في التركيز سوف يظهر مرة أخرى عند مناقشة موضوع الأرض. إن حياة الأب ذاتها تعطى للابن الضال. فهل سيتذكر ابنه المعطي ويحافظ على العطية؟

## ١١: ٨ طريقة اكتساب البركة / الميراث (ب)

في كل قصة يطلب الابن الأصغر الحصول على مزايا (الميراث/ البركة) من الأب، باستخدام وسائل غير شريفة، وينجح.

تسمع أم يعقوب، رفقة، عن خطط إسحاق لكي يبارك عيسو وتنتظره حتى يقوم برحلة الصيد قبل تنبيه يعقوب بنوايا أبيه. وتشرح خططها للقيام بخديعة كبرى لزوجها. إن يعقوب على استعداد للاشتراك في الجريمة ولكنه يخشى لئلا يفشلا. فتضغط عليه رفقة، فيواصلان تنفيذ المخطط وينجحان. يتمكن يعقوب من خداع أبيه إسحاق بجعله يعتقد أنه عيسو وينال بركة أخيه.

وكما ذكرنا، فلا يوجد ابن في بيت تقليدي في الشرق الأوسط له الحق أن يطالب بميراثه. فالناموس اليهودي واضح في هذا الصدد. فإذا وقع الأب تحت ضغط عند إصداره للوصية، تكون وصيته باطلة.[٢٧]. وعلى قدر معلوماتي المحدودة، فإن هذا الجانب من المثل فريد في كل آداب الشرق الأوسط في جميع اللغات.[٢٨]. وفي الحياة المعاصرة، فقد كشفت النقاب عن قصتين لابن يطالب بميراثه من أب حي وبصحة جيدة - إحداهما فارسية والأخرى سورية وفي كلتا الحالتين، فإن الأبوين كانا مستاءين ولم يقدما للشاب شيئًا[٢٩]

وهكذا، فعلى الرغم من أن طريقة حدوث الأشياء مختلفة، إلا إنه في كل قصة فإن الابن الأصغر متورط في اكتساب بركته/ميراثه من الأب باستخدام أساليب غير شريفة، وينجح كلاهما في تحقيق ذلك. لقد ظهرت الآن الارتباطات الواضحة المعالم بين القصة والمثل. ومن الناحية اللاهوتية فالتغييرات التي أجراها يسوع تتواصل في التحرك في اتجاه عالمية القصة. إن قصته خاصة بعشيرة معينة تصبح قصة ذات مفهوم عميق عن الجنس البشري.

## ١١: ٩ الحاجة للسرعة (أ)

في كل قصة يكون الابن الأصغر المتمرد في عجلة من أمره, ولأن طبيعة الخداع مختلفة، فإن عامل السرعة يتخذ شكلًا مغايرًا في كل حالة.

في تكوين ٢٧: ٥-٢٠ فإن الخديعة مخططة ويتم تنفيذها. إن يعقوب بقيادة أمه، رفقة، يأخذ لحم الجدي اللذيذ ويدخل به إلى إسحاق، الذي يعتقد أن الذي قُدم له صيد قد تم للتو ويصيح قائلًا: «ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني؟» واستكمالًا للخديعة يجيب يعقوب بالقول: «إن الرب إلهك قد يسّر لي». والقارئ يعلم أن السبب الحقيقي للسرعة أنه يريد أن يكمل الخديعة ويأخذ بركة إسحاق قبل أن يظهر

عيسو من جديد فيكتشف خداعه. وقد عبر يعقوب من قبل عن خوفه من غضب أبيه إذا تم اكتشاف خديعتها (تك ٢٧: ١١-١٢).

وما أن نفذ خديعته. وبعد نواله البركة وما أن «خرج من لدن إسحاق أبيه» (تك ٢٧: ٣٠)، حتى أتى عيسو أخوه من صيده وأماط اللثام عن اللعبة. ولذا فالحاجة إلى الاندفاع والعجلة جزء هام من التوتر الدرامي للقصة. ويدرك القارئ هذا التوتر من خلال مقابلة يعقوب مع أبيه. إن نفس طبيعة عملية الخداع تتطلب عنصر السرعة.

وهناك أيضًا عنصر السرعة في المثل. فكل ما لدى الابن الضال قد تحول إلى مال نقدي «بعد أيام ليست بكثيرة» (لو ١٥: ١٣) أي أنه كان متعجلًا. والسبب واضح. فقد أهان شرف عائلته، وعندما يبدأ في بيع أصوله المكتسبة حديثًا، نطلع القرية على سر الخلاف العميق والجفوة التي أحدثت انقسامًا خطير هز كيان الأسرة. وعند تحركات الابن في المجتمع لمحاولة بيع ما يمتلك، تنشأ عداوة المجتمع العلنية ضده. فأصحاب الأرض المحترمون سوف يرفضون التعامل معه لمعرفتهم بما تورط فيه الابن الضال من إهانة بالغة لأبيه. سوف يشتري أحدهم، ولكن في أثناء عملية الشراء، فإن استياء المجتمع يتصاعد حتما وتزداد حدته تدريجيًا[٣٠] ويترك القارئ أيضًا للتفكير في غضب الابن الأكبر، والذي يشبه استياء عيسو، فإنه بلا شك كان يتصاعد أيضًا. إن طبيعة طلب الابن الضال يتطلب أن يكمل خيانة العائلة ويترك المدينة بأسرع ما يمكن.

كان يمكن ليسوع ألا يذكر عبارة «بعد أيام ليست بكثيرة» ويقول ببساطة «جمع... كل شيء وسافر» ولكن العبارة القصيرة «بعد أيام ليست بكثيرة" تفتح الباب أمام المستمع/القارئ لكي يفكر في رد الفعل المعادي لدى المجتمع. هذه العداوة الدفينة ضد الابن الضال تصبح جزءًا هامًا من القصة عند عودته. وهكذا، فإن عنصر السرعة يعاد استخدامه في القصة الثانية لغرض مختلف، ولكن الحاجة للسرعة عامل مشترك يسهم في ربط القصتين معًا.

## ١١:١٠ الخديعة والخيانة (ب)

انطلقت رفقة ويعقوب عن عمد لخداع إسحاق، كبير العائلة، وابنه الأكبر، عيسو وإسحاق متقدم في السن وشبه أعمى. وتقوم الأم بالاشتراك مع ابنها في إنجاز الهدف المنشود. ويتعرض كل من الأب والابن الأكبر ليس لمجرد الخديعة بل للخيانة أيضًا.

ومن الناحية الأخرى، فإن الأب في المثل لا يتعرض لخديعة. إنه يفهم على وجه التحديد ما يحدث.

وهو ليس أعمى بالمعنى الحرفي ولا فاقد للأهلية من الناحية السيكولوجية. والابن الضال يدرك بلا شك أن الحيل الماكرة لا تجدي ولهذا فهو لا يلجأ إليها. ونداؤه الذي يقول فيه «أعطني القسم الذي يصيبني من الميراث» يحمل كثيرًا من الفظاظة وقساوة القلب. والابن الأكبر، على النقيض من ذلك مثير للارتياب بصمته في هذا المشهد الأول. وهو أيضًا يأخذ ميراثه في ذلك الوقت. ولكنه لا يقول شيئًا. فالنص يقول ببساطة «فقسم لهما حياته/معيشته» (لو ١٥: ١٢، ترجمة المؤلف).

وهكذا فإن يسوع يقدم أبًا لا يتعرض للخديعة ومع ذلك فهو يقبل الخيانة. ومرة أخرى، فإن صورة الأب الشرقي تتحول إلى لفظ مجازى عن الله استعارة. فعلى الرغم من أنه بإمكاننا أن نخون الله عن طريق ارتكاب الخطية، إلا أننا لا نستطيع أبدًا أن نخدعه.

## ١١: ١١ الاغتراب عن الابن الأكبر (أ)

في كلتا القصتين يغترب الابن الأصغر عن الأخ الأكبر. إن يعقوب، بتشجيع، وتعليمات صادرة من أمه، وبمؤازرة منها، يخدع أخاه الأكبر. وسرعان ما يتم تسليط الأضواء على الخديعة، ويتحول العنف العائلي إلى احتمال بتهديد الحياة. إن عيسو يخطط لقتل يعقوب.

وفي المشهد الافتتاحي للمثل، يصمت الابن الأكبر. فهو أيضًا حصل على نصيبه من الميراث المقسوم له كما ذكرنا من قبل. ويتوقع المستمع/القارئ منه أن يرفضه، ولكنه لا يفعل ذلك. فإن صمته ينبّه القارئ بأن علاقة الابن الأكبر مع كل من أخيه وأبيه ليست صحية.

وحتى لو كان يكره أخاه، فالمفروض أنه لأجل أبيه فإنه يتوسط ويقبل القيام بالدور التقليدي للوسيط – وهو جانب هام من الثقافة التقليدية المنتشرة في الشرق الأوسط. فعند حدوث شرخ في العلاقة داخل الأسرة، فإن أقرب المقربين للعائلة يكون تحت ضغط ثقافي كبير ليتدخل للقيام بدور الوسيط. ويتوقع المستمعون الأصليون للقصة من الابن الأكبر أن يحمل على عاتقه هذه المسئولية.[٢١] وعلى خلاف عيسو فإن الابن الأكبر لا يمكنه الشكوى من ضياع أي شيء كان مستحقًا له، ولكنه يمكن أن يصبح في حالة من الغضب الشديد بسبب الإهانة الموجهة للأب، والعار الذي أصاب الأسرة من قبل المجتمع وخسارة العائلة كلها بسبب ضياع قسم كبير من الأرض.

وبسبب صمته، يترك جمهور السامعين لتخيل مقدار ما حل به من غضب، والسبب في ذلك.

وفي كلتا القصتين، يظل غضب الابن الأكبر حبيسًا مثل قنبلة موقوتة قابلة للانفجار ويتوقع السامع/القارئ انفجارها في أي لحظة. هذا الموضوع هو خيط قوي آخر يربط القصتين معًا. فعلى المستوى

البشري، يبدو يسوع أنه يعطي جمهور السامعين من الفريسيين حقهم، مثل عيسو، في الغضب. ولكن بعمله هذا، فإنه يجذبهم إلى القصة. ولأن وجهة نظرهم قد تم التعبير عنها تعبيرًا دقيقًا، فإنهم فهموا القصة وتجاوبوا معها حين كانت أحداثها تروى لهم.

## ١١: ١٢ قطع أو عدم قطع جسور العلاقات (ج)

عندما يرتحل يعقوب فإنه يتذكر بيته وينوي بوضوح أن يعود إليه يومًا ما. وفي طريقه إلى خاله لابان في حاران، يقضي الليل في العراء، حيث يختبر «حلم السلم» الشهير والذي يظهر فيه الله ويقدم له الوعود. وفي الصباح ينصب عمودًا وينذر نذرًا بأنه إن كان الله يقدم له العون ويرجعه بسلام إلى بيت أبيه «يكون الرب لي إلهًا» (تك ٢٨: ٢١). لقد تلقى وعودًا ولكنه لم يتلق أمتعة يمكن بيعها. إنه لا يأخذ شيئًا معه، وبذلك لا يسيء إلى مجتمعه وبيئته. لقد كان تلقيه للبركة وتورطه في عملية خداع أبيه في السر. وهو راحل فقط لأنه إذا مات أبوه فجأة فإن أخاه سيقتله. فإذا استطاع أن يحل تلك المشكلة، فإنه يستطيع العودة. وبالاختصار، فإنه يترك الخيارات أمامه مفتوحة، وكل الجسور خلفه تظل في حالة جيدة.

ولكن موقف الابن الضال مختلف تمامًا. فبعد أن أساء إلى أبيه وإلى مجتمعه بطلبه، وبتلقيه للميراث وبيعه، فقد أساء إلى كل واحد في دائرة عائلته وفي المجتمع، بمن فيهم أولئك الذين اشتروا ميراثه. ليس هناك إشارة أنه يفكر في العودة. فإذا نجح في الكورة البعيدة، فليس هناك ما يدعوه للرجوع إلى البيت مرة أخرى. وإذا لم ينجح، فلن يمكنه أن يحصل على عودة تحفظ عليه ماء وجهه.

وبالتأمل في هذا الجانب من القصة، فإن يسوع يواصل بالتأكيد تسليط الضوء علي طبيعة الخطية من الناحية اللاهوتية. عند هذا المنعطف من القصة، تصور الخطية بأنها الرغبة في موت الإله، وتلقي هباته وعطاياه، وطلب الحق في استخدامها دون تفكير في المسئولية تجاه واهب تلك الهبات أو في الحاجة أو الرغبة في العودة إلى البيت يومًا ما.

الابنان الأصغران يسيران في طريقهما الآن. ويفتتح المشهد الثاني وإذا بكل منهما يتجه نحو الكورة البعيدة. كيف يمكن مقارنة اختباراتهما عندما يكونان بعيدين عن بيت الأب. تلك هي المرحلة التالية من رحلتنا.

# هوامش الفصل الحادي عشر

1. Rather than translating *synagō* as "gathered together," I have opted for the more literal "turned into cash," which apperas in the New Enlish Bible.

2. N. Levison, *Local Setting*, p. 156.

3. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 162-65.

4. *Jubilees* 27: 17.

5. *Jubilees* 29: 15-20.

6. W. Temple, *Readings in St. John's Gospel*, pp. xxv-xxvi.

7. Granted, in Isaiah 66: 7-12 Jerusalem is the mother, but by verse 13 the imagery shifts. In that verse Jerusalem is no longer the mother; instead Jerusalem becomes the *Place* where the comforting occurs. The mother who does the comforting is God.

8. In the Gospel of John this theme is highlighted and repeated in the conversation between Jesus and Nicodemus (Jn 3: 1-15). Nicodemus is told that he must be born *anōthen* (again/ from above). The intent of this language is spelled out further in 1 John 3: 9, where the believer is said to be "born of God." Clearly. God acts like a mother who gives birth of the believers.

9. *Hodayot*, in *The Dead Sea Scrolls in English*, trans. G. Vermes, 9: 35-36(182).

10. H. J. Klimkeit, trans. and ed., *Gnosis on the Silk Road*, p. 88.

11. K. E. Bailey, *Finding*, p. 114.

12. I. Sa'id, *Luqa*, p. 396 (author's translation).

13. Ibn al-Tayyib, *Tafsir*, 2: 277 (author's translation); cf. K. E. Bailey, *Finding*, p. 173.

14. H. Nouwen, *The Return of the Promigal*, p. 131 (emphasis added).

15. The one exception that proves the rule is the word *malak* (King).

16. K. Cragg, *The Call of the Minaret*, p. 55.

17. K. Cragg, *The Call of the Minaret*, p. 47.

18. *Jubilees* 25: 11-23.

19. K. E. Bailey, *Cross*, p. 44.

20. Musa bar Kepha, *Luke*, trans. A. M. Saadi, fol. 78a.

21. H. Nouwen, *The Return of the Prodigal*, p. 123.

22. In the late 1990s, shortly before he died of cancer, Kinf Hussein of Jordan flew from America of Jordan to settle the matter of who was to be king after him.

23. E. H. Maly, "Genesis," in *The Jerome Biblical Commentary*, p. 27.

24. One tiny scrap of this aspect of the Jacob saga reppears in the parable. The prodigal is given "a ring" (Lk 15: 22), which implies the signet ring of the house. Such a ring is expected to be passed to the older son. A. J. Hultgren notes in passing that "the younger son has in effect now supplanted his older brother" (*The Parables of Jesus*, p. 79). Hultgren does not connect this remark to the Jacob story. perhaps this is parallel number fifty-two.

25. The very avoidance of the word *inheritance* further ties the two sotires together.

26. The Mount Sinai Arabic Gospels Mss 72 (A.D. 897) was translated from the Greek and survives in eight copies (cf. K. E. Bailey, *Finding*, p. 37) That important early Semitic version translated the Greek word *bios* as '*umr*, which literally means "the years of noe's life." The translators caught something of the depth of the overtones of the word *bios* (life) appears in the Greek text.

27. G. Horowitz, *The Spirit of Jewish Law*, p. 374.

28. Jacob does not *request* his inheritance. Through deception he stole his brother's inheritance.

29. K. E. Bailey, *Finging*, pp. 111-16.

30. The prodigal's haste gives the reader an important hint about the attitudes of the community. As the story develops, that same community becomes even more important.

31. K. E. Bailey, *Cross*, pp. 33-35; *Poet*, pp. 168-69.

## الفصل الثاني عشر

# السبي

### الابن الضال في الكورة البعيدة (لو ١٥: ١٣- ١٩)

كانت غربة يعقوب الطويلة عن البيت في حاران نجاحًا عظيمًا. ولكن الابن الضال ارتحل إلى كورة بعيدة ونزل ببطء إلى أعماق الهاوية. نلاحظ النص أولاً ثم مجموعة من ثماني نقاط تتلاقى فيها القصتان.

«وسافر (الابن الضال) إلى كورة بعيدة وهناك بذر ماله بعيش مسرف.[1] فلما أنفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة فابتدأ يحتاج. فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله إلى حقوله ليرعى خنازير. وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله. فلم يعطه أحد. فرجع إلى نفسه وقال كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعًا. أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعد أن أدعى لك ابنًا. اجعلني كأحد أجراك» (لو ١٥: ١٣-١٩).

## ١٢: ١ الابن الأصغر المتمرد في الكورة البعيدة (السبي والعودة)؟

في كل قصة، فإن الابن الأصغر، يشعر أنه غير موثوق فيه أو محبوب، ويسافر إلى كورة بعيدة ويظل هناك مدة طويلة. يهرب يعقوب إلى حاران ويقيم هناك لمدة عشرين سنة؟ ويسافر الابن الضال إلى بلد بعيد مجهول (أممي) حيث يمتلك الناس الخنازير.

نحن لا نعرف طول المدة التي ملكتها هناك، ولكنه يبدأ غربته بكمية كبيرة من المال، يبذرها في «عيش مسرف» لا شك أنه بقى في الكورة البعيدة مدة طويلة مما جعله يرى أيامًا طيبة وأن يختبر مجاعة قاسية. وفي النهاية، يمسك الجوع بخناقه. إن عبارة «جوع عظيم» تعني فشل المحاصيل لمدة

عام. والأكثر ترجيحًا فشلها لمدة عامين أو ثلاثة أعوام متتالية. ونزوله إلى هاوية وإطعام الخنازير يوحي أيضًا بمرور وقت طويل. وأخيرًا، عندما تبدأ حبال صبره على النفاذ، يقرر أن يخاطر بالعودة إلى البيت. وتوحي القصة بغيابه عن البيت عدة سنوات.

من الواضح أن كلتا القصتين تتعاملان مع موضوع «السبي والعودة» أو «الاغتراب والعودة» ولكن الاغتراب عن ماذا والعودة إلى أين أو إلى من؟ إن قصة حياة يعقوب هي قصة للاغتراب عن عائلته وأرضه والعودة إلى كليهما. وفي أثناء ذلك، يصبح يعقوب إسرائيل. وبالنظر إلى الوراء، فإن إسرائيل، كأمة، قد اختبرت السبي والعودة في التغرب في مصر ومرت بنفس التجربة في السبي البابلي. وهكذا، فإن المناسبتين الكبريين للسبي والعودة كلتاهما مناسبتان للاغتراب القومي بعيدًا عن أرض إسرائيل والعودة إليها. إن قصة يعقوب هي قصة إسرائيل، وقصته قصتها وحتى اسمه، إسرائيل، هو اسمها. ولكن أي «سبي وعودة» يقصدهما يسوع بالضبط عند ابتكاره لقصة جديدة على نمط قصة يعقوب العظيمة؟

يحتوي سفر إشعياء على أربعة أناشيد خاصة تدعى «أناشيد العبد»[٢] وثاني هذه الأناشيد متضمن في إشعياء ٤٩: ٥-٦ ونجد تحليلاً له في شكل (١٠).

| | | |
|---|---|---|
| ١- | والآن قال الرب | الرب يقول |
| | جابلي من البطن عبدًا له | عبده |
| ٢- | لإرجاع يعقوب إليه | يعقوب إليه |
| | فينضم إليه إسرائيل | إسرائيل إليه |
| ٣- | فأتمجد في عيني الرب | المجد/ القوة |
| | وإلهي يصير قوتي | لي |
| ٤- | فقال: | يقول |
| | قليل أن تكون لي عبدًا | عبدي |
| ٥- | لإقامة أسباط يعقوب | يعقوب |
| | ورد محفوظي إسرائيل | إسرائيل |

٦- فقد جعلتك نورًا للأمم نور/ خلاص
لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض للأمم

شكل توضيحي رقم (١٠). نشيد العبد لـ إشعياء ٤٩: ٥- ٦

إن موضوع الزوج الأول من الأسطر في شكل (١٠) يضاهيان موضوعي السطرين الرابعين (الله وعبده) ويعقب ذلك، فإن السطرين التاليين (#٢) يسلطان الضوء على أورشليم وإسرائيل، كما يفعل السطران الخامسان، وأخيرًا فإن الزوج الثالث من الأسطر (#٣) يركز على الطريقة التي يعطي بها الله مجدًا وقوة لعبده. وتباعًا، فالسطران المقابلان في رقم ٦ يخبران عن النور والخلاص الذي ينوي الله أن يعطيه لكل الشعوب. إلى أقصى الأرض. لقد فضلت أن أدعو ذلك «التوازي المرحلي»، وبملاحظة الشكل البلاغي، يفهم القارئ نية الكاتب. في الزوج الثاني من الأسطر، ونرى تصورًا لعودة يعقوب وإسرائيل إلى الله، وليس إلى الأرض. وفي السطرين المقابلين، فإن النهضة القومية ثمرة من ثمار قيامة «إسرائيل واستردادها» والفكرة الأولى من هاتين الفكرتين المتوازيتين (العودة إلى الله) فكرة مدهشة.

ووفقا لمعلوماتي، فمن الطبيعي والمفهوم أن المسبيين والمضطهدين يكون لديهم شوق عظيم للعودة إلى الأماكن الجغرافية التي انتزعوا منها. ولكن العودة إلى الله عادة لا تكون مدرجة في جدول أعمالهم. إنهم يشعرون أن مضطهديهم بحاجة إلى العودة إلى الله. وحيث أنهم هم المضطهدون، فمثل هذه الأشياء غير مطلوبة منهم! ولكن في هذا النشيد فإن العبد الخاص يستدعى ليخبر إسرائيل/ يعقوب بأنهم غرباء/ بعيدون عن الله وبحاجة للعودة إليه. هل هذه الرؤية اللاهوتية كانت تشكل جانبًا من وجهة نظر يسوع الناصري؟

في مثل الابن الضال، تركز القصة على عودته لأبيه شخصيًا وليس إلى عشيرته أو أرضه. ومن الواضح أن الأب رمز لله، ولذلك فإن العودة إلى الأب هو عودة إلى الله. وكما سوف نلاحظ، فإن ذلك لا يتم على أعلى مستوى سوى عن طريق ذهاب الأب إلى الابن الضال.

إن مهمة العبد المتألم هي قيادة يعقوب/ إسرائيل للعودة إلى الله، وهي بالضبط نفس مهمة الأب وهو يسعى لاسترداد الضال. ومن الممكن أن نقترح أن لاهوت العبد المتألم، والذي يشكل أساسًا في العهد الجديد، يظهر هنا كجزء من الفكر اللاهوتي ليسوع. إن مهمته هي أن يأتي بالمسبيين إلى الله، وهو تكليف يشمل المسبيين (أسرى الخطية) الذين يعيشون في أورشليم والجليل. إن الإقامة في أرض إسرائيل لا تعني أنهم عادوا إلى إله إسرائيل.

## ١٢ : ٢ الابن الأكبر يبقى في البيت (بعيدًا عن مسرح الأحداث) (أ)

في كل قصة يبقى الابن الأكبر في البيت عائشًا تحت سلطة والده طوال مدة غياب أخيه الأصغر. ولا تظهر كلتا القصتين شيئًا عما يفعله الابن الضال خلال تلك السنوات. وفي كلتا القصتين، يركز الراوي فقط على الابن الأصغر وعلى ما يحدث له في الكورة البعيدة. وفي كل حالة، ففي حالة عودة الابن الأصغر وعند عودته، هناك مشكلة خطيرة لم تحل حيال الابن الأكبر يجب مواجهتها والتعامل معها. وهكذا ينصح المزيد من التشابه بين القصتين.

## ١٢ : ٣ رعاية الحيوانات الطاهرة مقابل رعاية الحيوانات النجسة (ب)

بينما كان يعقوب في حاران (تك ٣٠: ١-٣٦)، فقد عمل لعدد من السنوات في رعاية الماشية، والأغنام والمعيز. وهو عمل من الأعمال الشريفة. ولكن يسوع في ابتكاره لقصة الابن الضال، كان يمكنه أن يجعل الابن الضال يحاول أن يدير دكانًا صغيرًا أو يتعلم يبني منازل حجرية، ولكنه لا يفعل ذلك. إنه يرعى الحيوانات، ولكن، يا للحسرة، فهي خنازير! إن مجرد استعداده لرعاية هذه الحيوانات النجسة يوضح بجلاء أنه لا يتجه ليكون بطلاً للقصة. إن ذلك الدور يقوم به يعقوب. إن يعقوب في طريق الصعود، بينما من الواضح أن الابن الضال في طريقه للهبوط. فالخنازير، مقابل الماشية، والأغنام، والماعز، تكون جزءًا من ذلك الطريق اللولبي النازل. ولكن هناك المزيد.

إن التحول من الحيوانات الطاهرة إلى الحيوانات النجسة يعد أيضًا جانبًا هامًا في التفاعل بين يسوع وسامعيه الفريسيين. يسجل لوقا ١٥:٢ شكوى الفريسيين بالقول: «هذا يقبل خطاة ويأكل معهم». وكأنهم يقولون بالفعل ليسوع:

«أيها المعلم يسوع، نحن نرى أنك لا تتعامل بجدية مع الخطية. لابد أن تعليمك بشأن الخطية سطحي لأنك على استعداد للترحيب بل والجلوس والأكل مع هذه الأصناف الدنسة من البشر».

فيجيبهم يسوع بالقول:

«أيها السادة، أني أرى أنكم تعتقدون أن تعليمي عن الخطية ضحل. اسمحوا لي من فضلكم أن أشرح وجهة نظري عن الخطية. اعتقد أن الخطية شائنة فهي تتمثل في شاب يهودي يطلب ميراثه بينما أبوه في صحة جيدة. ويبيع نصيبه من الأرض التي مازال أبوه يضع يده عليها. ويترك أرض إسرائيل المقدسة وينفق ماله بتبذيره بين الأمم. وفي النهاية يعمل أجيرًا لديهم وهو يطعم الخنازير! في واقع الأمر، فإن انحطاطه فظيع لدرجة أنه يشتهي أن يكون خنزيرًا حتى يأكل طعام الخنازير! هذا هو تعليمي عن الخطية!»

فيكون الرد غير المنطوق لدى الجماهير كالآتي:

«شيء مذهل! هذا المعلم الشاب له تعليم رائع عن الخطية. إنه يفهم موقفنا. فنحن أنفسنا ما كان يمكننا أن نفسر هذا الموقف بأفضل مما فعل هو. إنه لم يعبر عن شيء خيالي. إن هذه القصة تصل إلى عمق رد فعلنا العنيف ضد الخطاة. إنه يفهم حقيقة مشاعرنا فلا شخص بار يمكنه أن يجلس ويأكل مع هذه الأنواع من البشر. فالإنسان يتنجس إذا فعل ذلك!»

إن أوجه التشابه والاختلاف مع قصة يعقوب واضحة. ففي كلتا القصتين فإن الشخصية الرئيسية ترعى الحيوانات. ولكن قصة يعقوب لا تعرف الخطية، بينما القصة التي يسردها يسوع تفعل ذلك ويقدم هذا الجزء من القصة النصف الأول من ذلك التعريف. إن يسوع مازال يعمل على إعادة تشكيل قصة يعقوب إلى نموذج لاهوتي، والتعريف الواضح للخطية جزء هام من تلك العملية.

## ١٢: ٤ حالة المجتمع في الكورة البعيدة (ج)

يعيش يعقوب مع عائلته في الكورة البعيدة. ففي الواقع، فقد أرسل هناك من قبل أمه، وكل ما يتعلق بتغربه بعيدًا يخضع لتصرف أقاربه.

والابن الضال، من الناحية الأخرى، لا يرسل إلى أي مكان من قبل أي فرد من أفراد العائلة، إنه وحده الذي يختار الهجر، وهو وحده الذي يقرر إلى أين يذهب، وما أن يصل إلى الكورة البعيدة، حتى يلتصق بأحد الأثرياء، والذي بسبب امتلاكه للخنازير، فمن الواضح أنه أممي. وعلى خلاف يعقوب، فالابن الضال لا يعمل عند أقاربه.

هذا الاختلاف في الكورة البعيدة هام. فالسامعون يعرفون أنه إذا تجاسر الابن الضال وعاد إلى البيت فسوف يواجه طقس ال Kezazal (المقاطعة) الذي فسرناه في الفصل التاسع. لقد كسر القواعد وفقد ميراثه لدى الأمم. وبإيضاح هذه التناقضات بين يعقوب والابن الضال، فإن يسوع يواصل تعريفه لتعليم الخطية.

## ١٢: ٥ النجاح مقابل الفشل في الكورة البعيدة (ج)

يتعامل هذا التوازي مع التناقضات الصارخة. فموضوع الثروة والفقر يظهر في كل قصة. ولكنها يظهران معكوسين في المثل. يبدأ يعقوب حياته في الكورة البعيدة وهو لا يملك شيئًا. إنه يعمل بجد، ويكافح، وبمعونة الله، يصبح غنيا. وبالاختصار، فهو ينجح ويعود إلى البيت رجلاً ثريًا. وبالإضافة إلى

ذلك، فهو يفوز في الصراع مع الزائر السماوي في رحلة العودة. ويمنحه ذلك الانتصار بركات أعظم.

وعلى النقيض مع ذلك، يصل الابن الضال إلى الكورة البعيدة كرجل غني. وبسبب فشله يفقد كل شيء، ويكافح، ويحاول أن يعوض ما فقد، ولكنه يفشل. وفي يأس قاتل، بعد أن يفعل المستحيل، يقرر أن يلعب بورقته الأخيرة بأن يكافح حتى يصل إلى بيت الأب ويتطوع لتعلم حرفة بهدف استعادة المال الذي أضاعه. يبدأ غربته في الكورة البعيدة كرجل غني ويعود إلى البيت حافي القدمين وفي أسمال بالية.

مرة أخرى نرى أن يسوع قد حول قصة يعقوب إلى مثل عالمي عن الجنس البشري. يحصد الابن الضال ثمار قراراته المدمرة له ولنظام حياته. ويُتهم يسوع بحق بأنه يجلس ويأكل مع هذه الأصناف من البشر. ولكنه لا يعتذر لهم بالقول: «هؤلاء الخطاة ليسوا أردياء كما تعتقدون». ولكنه، يرسم صورة لتدهورهم الأخلاقي بكل ما في ذلك من تفاصيل دموية.

يبدو أن يسوع يقول للسامعين:

«نحن يعقوب/ إسرائيل ومثل يعقوب فقد بدأنا من نقطة الصفر، وعملنا بجد، وعانينا وكافحنا ونجحنا بمعونة الله. هذا سجل جيد يمكننا من أن نفخر به بحق، ولكن هناك قصة أكبر من ذلك، قصة عالمية نحن أيضًا جزء منها، وتظهر هذه القصة الأكبر جانبًا أعمق عن حقيقتنا كأبناء لله تمردنا عليه وبددنا هباته. وبمعنى أكثر شمولاً فنحن مازلنا في السبي».

في هذا القالب المعكوس من الأسمال البالية إلى الغني (يعقوب) ومن الغني إلى الأسمال البالية (الابن الضال)، من الممكن أن نرى بوضوح أكثر ما يفعله يسوع وهو يبدع قصة جديدة موازية لقصة يعقوب القديمة الشهيرة.

## ١٢:٦ الخوف من ليلة العودة (أ)

في كل قصة، يقرر الابن الأصغر أخيرًا أن يعود إلى البيت ويفعل ذلك وهو خائف ومرتعب بشأن كيفية استقباله بسبب اغترابه. فقد قيل عن يعقوب إنه «خاف جدًا وضاق به الأمر» (تك ٣٢: ٧) وهو يقوم بالاستعداد للعودة، لأنه يعلم أن كل جماعته قد يتعرضون للذبح. ويعد الابن الضال حديثًا محسوبًا ليعطي الانطباع بأنه تحول إلى إنسان متواضع وأنه شغوف للعمل بجد، ودفع ديونه وكسب قوته بنفسه. وإذ يؤكد أنه ليس مستحقًا أن يكون ابنًا، فهو يعرض أن يكون حرفيًا يعمل بالأجر. وكما ذكرنا، فإن القصد من هذه التصرفات تهدئة غضب العائلة والمجتمع.[٣] والدافع لكل هذه الخطط الخوف من المجاعة (المعبر عنه) والخوف من الاستقبال العدائي الذي يتوقع أن يستقبله به أبوه وأخوه والمجتمع (وهو خوف

متضمن). ومع أن الخوف معبر عنه بطرق مختلفة، إلا أن وجوده في كل قصة يربط القصتين معا برباط آخر.

## ١٢: ٧ تغيير الاتجاه والعودة(ب)

يستخدم الفعل shub (يعود) في العهد القديم ليدل على كل من العودة إلى الله. يعود يعقوب إلى عائلته وإلى الأرض. ولا يتحدث النص عن عودة إلى الله. وفي حقيقة الأمر، فالقصة لا تشير كثيرًا إلى أن يعقوب يشعر بأنه فعل أي شيء يستحق أن يتوب عنه. والله معه عند كل منعطف يؤازره بالتشجيع والبركة فماذا يعود إلى البيت إذن؟

هناك ثلاثة أسباب لعودة يعقوب مقدمة في النص. السبب الأول يرجع لأنه يدرك الحقد من جانب بني لابان، الذين يقولون: «أخذ يعقوب كل ما كان لأبينا» (تك ٣١: ١) والثاني، لأن يعقوب يشعر أن لابان نفسه «ليس معه كأمس وأول من أمس» (تك ٣١: ٢). وأخيرًا، فإن الله يأمره بالقول: «ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك» (تك ٣١: ٣) ويخطط الابن الضال للعودة إلى أهل بيته ولكنه ينوي أن يعيش مستقبلاً كأجير يعول نفسه بنفسه. ودون وعدد من أي جهة يؤسس عليها خططه، فإنه يعود لأبيه أملاً بعد كل العثرات التي تعرض لها في الكورة البعيدة، أن يعوض كل ما فقده بنفسه. وفي النهاية فإنه يُعاد إلى الله من قبل الله. وليس إشارة إلى أرض إسرائيل.

## ١٢: ٨ غياب عنصر الندم (أ)

يعبر يعقوب عن الخوف وليس الندم. ومع أنه يفكر في أن «يستعطف» (تك ٣٢: ٢٠) أخاه، إلا أنه لا يقدم اعتذار لأحد.

وكما ذكرنا من قبل، فكثيرًا ما يفترض أن الابن الضال يتوب في الكورة البعيدة وأن حديثه المعد تعبير عن ندمه الصادق، ويعتقد أن ذلك الندم هام، وأنه جانب هام وضروري من توبته. إن وجهة النظر هذه تخلق مشكلات لا حل لها في إطار الأمثلة الثلاثة الواردة في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا. إن مناقشة كاملة لدراستي لهذه المشكلة متاحة.[٤]

هناك ثلاث حقائق أساسية متعلقة بهذا الموضوع. الأولى هي حافز الابن الضال في العودة والذي عب عنه في مناجاته لنفسه في الكورة البعيدة. إنه يقول «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك

جوعًا. (لو١٥: ١٧). إنه يريد أن يأكل. والحقيقة الثانية هي حقيقة أن حديثة المعد مسبقًا لأبيه «أخطأت إلى السماء وقدامك» (لو ١٥: ١٨)، اقتباس من فم فرعون وهو يحاول استمالة موسى ليرفع الضربات (خر ١٠: ١٦)، ويعرف جمهور الكتبة والفريسيين جيدًا أن فرعون لم يكن في حالة توبة. وكذلك الابن الضال. والحقيقة الثالثة، أنه بعد قبول المحبة الثمينة المفرطة من الأب على أطراف القرية، يقبل الابن الضال العثور عليه ولا ينتهز هذه الفرصة ليخبر أباه عن الطريقة التي سوف يحل بها مشكلة نفور كل منهما من الآخر. إن هذه الحجج الرئيسية الثلاث معًا تلفت نظر السامع/ القارئ إلى حقيقة أنه في الكورة البعيدة كان يخطط ليحل مشكلته بنفسه، آملاً أن يملأ بطنه. ولكنه استجاب لمحبة أبيه الثمينة والمضحية، فإن يقبل العثور عليه وينتقل من الموت إلى الحياة. وهكذا، فعند المزيد من الفحص، يتضح أن كلا من يعقوب والابن الضال يعودان إلى البيع دون أثر للندم.(٥)

وبالاختصار، فإن يعقوب يعمل بجد، ويكتسب الثروة ويستعد للعودة إلى البيت كالبطل الناجح للقصة، والابن الضال يفقد الثروة، ويطعم الخنازير، ويختار أخيرًا أن يعود إلى بيت أبيه فاشلاً، على أمل التدريب على وظيفة تدر عليه دخلاً ليعول نفسه بنفسه، وعن طرق أوجه التناقض والتشابه يواصل يسوع الاستعارة من القصة القديمة وهو يؤلف قصة جديرة ذات مغزى لكل من بني يعقوب وبني آدم، ومن خلال ذلك، يسلط الضوء على موضوعي الخطية والتوبة. أما بالنسبة لجمهور سامعيه فإن وجهات نظرهم تجاه كلا الموضوعين قد تم التعبير عنها تعبيرًا حقيقيًا.

لقد فشل الابن الضال. والآن عليه أن يعمل ويدفع الثمن. وتزداد الإثارة عندما يتساءل السامعون عما يمكن أن تؤول إليه القصة. ويتطلع السامع/ القارئ بشوق إلى المشهد التالي، الذي نتجه نحوه الآن.

# هوامش الفصل الثاني عشر

1. The Greek word *asōtōs* literally means "expensive, wasterful." The word carries no hint of immorality (see the discussion on p. 102).

2. Isaiah 42: 1-9; 49: 1-6; 50: 4-11; 52: 13-53: 12.

3. K. E. Bailey, *Finding*, pp. 129-33.

4. K. E. Bailey, *Cross*, pp. 37- 62; Poet, pp. 169-90; *Finding*, pp. 129-62.

5. K. E. Bailey, *Finding*, p. 133.

## الفصل الثالث عشر

# سلام للبعيد

### الأب يعثر على الابن الضال (لو ١٥: ٢٠- ٢٤)

تتعقد الحبكة، وتأخذ الدراما بعض المنعطفات المفاجئة. سوف نتابع هنا يعقوب والابن الضال في رحلتها نحو بيت الأب ونحاول أن نفهم مغزى أوجه التشابه والاختلاف بين القصتين.

«فقام وجاء إلى أبيه، وإذا كان لم يزل بعيدًا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبّله فقال له الابن يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقًا بعد أن أدعى لك أبنًا. فقال الأب لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتمًا في يده وحذاء في رجليه. وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح. لأن ابني هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد. فابتدءوا يفرحون» (لو ١٥: ٢٠- ٢٤).

يقول إشعياء ٥٧: ١٧-١٩:

«من أجل إثم مكسبه غضبت،

استترت وغضبت

فذهب عاصيًا في طريق قلبه،

رأيت طرقه وسأشفيه،

وأقوده وأرد تعزيات له...

سلام سلام للبعيد وللقريب قال الرب،

وسأشفيه.»

للأب ابنان. أحدهما بعيد والآخر قريب. ومهمة الأب هي جلب السلام لكل منهما، ولكل منها فإن ذلك سوف يأتي بعد دفع ثمن باهظ من قبل الأب. ومن أحد الجوانب، فإن المثل كله عبارة عن midrash أي تعليق على هذين العددين في إشعياء. وكما في إشعياء، هكذا في المثل فإن السلام للبعيد. مقدم أولاً.

ونحن نتجه الآن لهذا السلام الذي يهبه الأب العطوف.

## ١٣ : ١ الافتقاد الإلهي / التجسد (ج)

تحتوي كلتا القصتين على افتقاد إلهي (التجسد). يصارع يعقوب مع «إنسان» وسرعان ما يتم التعرف عليه بأنه هو الله (تك ٣٢: ٢٢-٣٢). وعن طريق عزم لا يلين يكسب يعقوب جولة الصراع ويتلقى بركات إضافية نتيجة لذلك. إنه «يجاهد مع الله والناس» وقدر (تك ٣٢: ٢٤-٣٢). وفي أثناء ذلك يلقب بإسرائيل، وهي تعني «الذي يجاهد مع الله» إن الصراع يتضمن الاحتكاك الجسدي.

وفي المثل، فالأب (رمز لله) يترك البيت، وبمحبة ناكرة للذات يحتضن ويقبل ابنه الدنس. والابن الضال هو الشخص الذي يقهر ويستسلم، ليس للقوة الجسدية بل للمحبة المضحية الباذلة. ومرة أخرى هناك التواصل الجسدي.

وهكذا، في كل قصة، فالابن الأصغر العائد يحتك احتكاكًا جسديًا مع الشخص الإلهي، الذي تجسد في صورة إنسان، ولكن طبيعة ذلك الاحتكاك والهدف منه شيء مختلف فالأول صراع، والثاني استسلام في إطار طقس المصالحة. يستسلم الابن الضال لمحبة الأب الباذلة المكلفة، وهو لا يطلب شيئًا ويقبل كل شيء ذا قيمة حقيقية.

لا يجلس الأب في البيت في عزلة حقيقية منتظرًا سماع ما يضطر ابنه البعيد ليقوله دفاعا عن نفسه. ولكنه، بدلاً من ذلك، يهب نفسه في محبة كلفته الشيء الكثير. وتتجسد تلك المحبة في الطريق عند أطراف القرية.

إن ظهور التجسد الإلهي في كل قصة حقيقية درامية قوية تربط القصتين معًا. وكما سنرى فيما بعد، فإن الاختلافات التي بينهما ذات أهمية كبرى.

## ١٣ : ٢ ركض، ووقع على عنقه وقبله (أ)

في كل أسفار الكتاب المقدس، لا يلقى هذا الترحيب الثلاثي سوى يعقوب والابن الضال. ومن المسلّم به، أن أبا الابن الضال هو القائم بهذا الترحيب وليس أخوه. [1]. ولكن تغيير القائم بعملية الترحيب لا يقلل من فاعلية أو أهمية تلك الحادثة الدراماتيكية كوسيلة لترابط القصتين في عقول السامعين/ القراء لهذا المثل.

وبالمناسبة، يجب أن نلاحظ أن يعقوب وعيسو كانا توأمين (تك٢٥: ٢٤-٢٦)، وأن يجري أحدهما إلى الطريق ويرحب بالآخر يعني أنه منهاج عاطفي وبالتالي فهو يندفع ليحتضن ويحيي أخاه التوأم. وبالإضافة إلى ذلك، فإنهما في الريف حيث لا شهود سوى رفاق السفر. ولكن جري الأب أمر مختلف. لقد قلت في موضع آخر أن الرجل الوقور صاحب الأملاك حين يجري أمام الناس يعني أنه يعرض نفسه لخزي علني. [٢] وهذه المعلومة الثقافية موثقة في الأدب اليوناني القديم والأدب اليهودي قبيل المسيحية. ويخبرنا كل من أرسطو وبن سيراخ أن الرجال المحترمين لا يجرون.[٣]. وبالنسبة للأب، فإن هذه اللفتة الزائدة عن الحد هي بيان عملي على حب ثمين ومكلف وغير متوقع.[٤]

## ١٣: ٣ كبير العائلة (ج)

في قصة سفر التكوين كان القائم بالمصالحة هو عيسو، الأخ الأكبر. أما الابن الضال فيرحب به أبوه. هذا التحول من الأخ إلى الأب يسهل تمييزه كعنصر هام في تحسين يسوع لصورة الأب، من أب شرقي إلى شخص جديد بأن يصبح على صورة الله. ويعمل يسوع أيضًا على عولمة القصة لتصبح مثلاً ذا مغزى للجنس البشرى قاطبة. إنه يقول «الله محبة»، وهذا مثل للطريقة التي يتعامل بها حتى مع أولئك الذين يخونونه.

## ١٣: ٤ الحديث المتسم بالمناورة للتأثير على الطرف الآخر(ب)

يشعر يعقوب بخوف لئلا يكون عيسو، أخوه، مازال عاقد العزم على قتله. ليس مع يعقوب جيش يدافع به عن نفسه لكن لديه الوعد الإلهي «أكون معك» ( إذا عدت، تك ٣١: ٣)، ولديه قدر من الذكاء والدهاء. كان مجرى الحديث الذي كان على يعقوب أن يقوله لعيسو كما يأتي (تك ٣٣: ١٠-١٧):

- تقديم التملق: «لأني رأيت وجهك كما يرى وجه الله» (تك ٣٣: ١٠).
- تقديم الهدايا: إذا قبل عيسو الهدايا، فسوف يواصل "المهادنة" من جهة خطته الواضحة لقتل يعقوب.
- التخلص من عيسو: يرفض يعقوب عرض عيسو بأن يرحلا معًا.
- التخلص من كل رجال عيسو: يصر يعقوب على أن يأخذ عيسو كل رجاله معه.
- الوعد بإتباع عيسو حيى سعير: بدلاً من ذلك، فبمجرد أن غاب عيسو عن الأنظار تقدم يعقوب

إلى سكوت.

ربح يعقوب الجولات الخمس. وتمكن من التغلب على عيسو عند كل جولة. في الكورة البعيدة يعد الابن الضال حديثًا يقوله لأبيه. والحديث مكون من ثلاث عناصر (لو ١٥: ١٨-١٩، ترجمة المؤلف):

- أنا مخطئ «أخطأت أمام السماء وأمامك».
- أنا غير جدير بالثقة: «لست مستحقا أن أدعى ابنك»
- هاك ما يجب أن تفعله لأجلي! «أجعل مني أجيرًا»

بهذه الأجزاء الثلاثة، فإن ذلك حديث ثان يتسم بالبراعة. التأكيد أن الحديثين السابقين بمثابة وضع الأساس، والثالث هو الهدف الذي يريد المناور (الضال) أن يحققه. ولكن كما رأينا، فبعد قبول الابن الضال لمحبة أبيه الثمينة، فإنه يتخلى عن البند الثالث في القائمة. وعندما يفعل ذلك، يتغير مجرى الحديث كلية. إنه يتحول من محاولة للاستفادة من الأب عن طريق المناورة إلى اعتراف حقيقي بعدم الجدارة. البندان الأولان، لوحدهما، يعبران عن الإخلاص التام.

## ١٣: ٥ المصالحة مع الأب (ج)

كان لقاء يعقوب مع أبية وليد فكرة جاءت متأخرة مصدرها يعقوب (تك ٣٥: ٢٧). فالأب سلبي تمامًا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كلاً من يعقوب وأبيه لا يعبران عن الحاجة للمصالحة. وليس هناك ذكر لهدايا أو احتفال بهذه المناسبة.

وفي لوقا ١٥، تتم المصالحة من خلال هبة الحب الثمين يقدمه الأب إلى ابنه. وما أن يتم قبول هذه الهبة، فإن هذه المحبة والمصالحة تختمان بعرض وقبول أربع هدايا: الحلة، والخاتم والحذاء والوليمة. إن المصالحة عميقة المعنى وشاملة. يكشف يسوع عن مكنونات فكره من جهة الخلاص كهبة يجب على الابن الضال أن يتعرف عليها ويقبلها.

## ١٣: ٦ مكان الالتقاء بالابن العائد (ب)

لا ينتظر عيسو يعقوب حتى يأتي إليه. ولكنه يرحل من أرض سعير بلاد أدوم (تك ٣٢: ٣)، ويخرج لملاقاة يعقوب من على بعد مسافة كبيرة. لا يقدم النص سببًا لتحركات عيسو. إنه يأخذ أربع مائة رجل معه، مما يوحي بأنه يخطط للقيام بعمل عنيف.

ربما يريد أن يقابل القوى المعادية في المناطق الريفية المكشوفة، يصور يوسيفوس يعقوب بأنه يتوقع معركة.[٥]. والقصة الكتابية تتيح لنا بأن نتخيل بأن عيسو لا يريد شهودًا على ما ينوى القيام به. على أي حال، فهو يخرج من سعير ويأخذ معه جيشًا صغيرًا، يعبر عن نواياه.

والأب لا ينتظر حتى يدخل الابن الضال إلى القرية وإلى بيت العائلة. ولكنه، بمجرد أن يراه «من بعيد» فأنه يجرى ليحييه. والدافع لذلك مدون في النص. فلما رآه أبوه «تحنن» هذه الكلمة الرئيسية تفسر عادة بأنه رآه في أسمال بالية وشعر بالأسى لحالته. لا شك أن ذلك صحيح، ولكن زد على ذلك، بأن الأب يعرف تمامًا أن الابن الضال قد تحدى عادات وتقاليد القرية عندما طلب ميراثه وباعه ورحل. والأب يعرف أيضا أنه إذا عاد الابن وحين يعود يخفي حنين مكللاً بالفشل، فإنه سوف يعامل معاملة سيئة. ومن جانبه، فالابن الضال يعرف كل ذلك. وعندما يعود، فإنه يصر على أسنانه ويتجلد لمواجهة المحنة التي سوف يضطر لمواجهتها وهو يدخل شارع القرية الضيق.

يصل الابن الضال إلى القرية أثناء النهار في وقت يستطيع فيه أبوة أن يراه إذ كان لم يزل بعيدًا، فإذا استطاع الأب أن يراه، فهكذا كان يمكن لأهل القرية أن يروه. وعند الوصول إلى أطراف القرية، فإنه يفاجأ ويصدم، فالابن الضال يشهد أباه شاهرًا قفاز التحدي في وجهه! وهكذا فإن عملية الخروج من البيت لملاقاة الابن المنهك، والمهان تتحول من مناورة للحصول على بعض المزايا (الحربية؟) إلى رغبة صادقة. من جانب الأب لقبول العار الذي يجلبه عليه أبنه الضال. إن إعادة تعريف يسوع للتوبة/الخلاص، والذي بدأ في القصتين الأوليين، يتكشف الآن بأحلى بيان.

## ١٣ : ٧ الخدم ودافع كبير العائلة (ج)

يرسل يعقوب رسلاً أمامه لأخيه عيسو في «سعير، بلاد أدوم». وتأتي الأخبار إلى يعقوب بأن عيسو في طريقة علاقاته ومعه جيش صغير. «خاف يعقوب جدًا وضاق به الأمر» (تك ٣٢: ٣-٨). ولما كان واثقًا من أن عيسو ينوي قتلهم جميعًا، يقسم يعقوب القوم الذين معه إلى جيشين، على أمل أن ينجو الجيش الثاني إذا ضرب الجيش الأول. يتمكن يعقوب بتقديم الهدايا وإظهار الاحترام وبعض الحوارات الذكية أن يتجنب نية القتل لدى أخيه، ولكن على الرغم من العناق الأول والقبلات، فإن الأخين لا يصلان أبدًا إلى مصالحة تامة، كما رأينا أن أحاديث يعقوب اللينة تدفع عيسو لترك كل رجاله، وينتهي خطر التهديد. والأوامر المتضمنة للخدم والأتباع/ الجيش جزء هام من التوتر الناجم عن اللقاء والحوار الذي دار بينهما.

وفي المثل فإن الأب أيضا له "أتباع" معه. وعلى الرغم من إهمالهم غالبًا، إلا أنهم موجودون. وعندما يغادر الأب البيت ويجري في الطريق لمصالحة أبنه الضال، فإن الخدم/ العبيد(٦) يتبعونه. وبعد أن يلقي الابن الضال حديثه المنمق، يتجه الأب إلى الخدم/ العبيد ويصدر لهم الأوامر بإحضار الحلة، والخاتم وإقامة الوليمة. وكما في قصة يعقوب، فالأوامر الصادرة إلى الخدم والأتباع، سواء كانت منطوقة أو مفهومة ضمنا، تكون جزءًا هامًا من القصة.

يخبرنا علماء الأجناس البشرية أن «ما يعرفه الجميع» لا يتم شرحه. فالإنسان يتعلم «ما يعرفه الجميع» بمعايشة مجتمع معين، فيتعلم لغته ويشترك في تفاصيل حياته. فلا يعرف الأجنبي في الشروق الأوسط أن وضع الإنسان لساقية فوق كل منهما الأخرى أثناء الجلوس أهانه لكل من في الحجرة. ولكن الجميع يعرفون هذه الأشياء! ويفاجئنا الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا باتجاهات وأفعال تعد جزءً من «التقاليد والعادات المتبعة» في مكان ما.

إن مثل هذه الاتجاهات الثقافية تكون «التراكيب اللغوية المقبولة» والتي ناقشناها سابقًا إن البحث عن تفاسير مكتوبة للأشياء التي يعرفها الجميع لأنها تعد من «التقاليد والعادات المتبعة» يعد من الأمور المستحيلة تقريبًا في بعض الأحيان يكون المرء محظوظًا، كما في الحالة، التي ذكرناها من قبل، حيث يؤكد من أرسطو وبن سيراخ أن الإنسان يُعرف من مشيئته، وفي معظم الأحيان، يكون الدليل الملموس غير متاح. والكتاب المقدس لا يخبرنا أن ال٤٠٠ رجل الذين كانوا مع عيسو كانوا مسلحين. ويشير يوسيفوس ومعلمو اليهود إلى هذه النقطة إشارة عابرة.(٧). ما الذي يمكن عمله عندما لا يكون هناك دليل وعندما تكون الأنماط الثقافية في الشرق وفي الغرب مختلفتين اختلافًا واضحًا عن بعضهما البعض؟

يقول هوشع ٢: ٩-١٣ إن الله قد ملّ من زوجته العاصية (أمة إسرائيل) وأنه سوف «يخرب كرمها وتينها... وأعاقبها [لعبادتها للبعل]». ثم يقول النص بعد ذلك:

«ولكن ها أنذا أتملقها،

وأذهب بها إلى البرية،

وألاطفها» (هو ٢: ١٤).

إن القارئ التقليدي في الشرق الأوسط يتوقع أن يكون النص هكذا:

«ولكن ها أنذا أتملقها،

وأذهب بها إلى البرية

وأقتلها لعدم أمانتها!

والدليل على هذا الافتراض غير متاح، فالقراءة الثانية هي وجهة نظر عميقة الجذور في الثقافة التقليدية للشرق الأوسط. والقراءة الأولى هي النص الكتابي الذي يرد كمفاجأة مذهلة لعيني/ أذني القارئ السامع التقليدي في الشرق الأوسط الذي تحدثنا عنه من قبل. وهذه حالة تتطلب من المرء أن يسأل عن أي " التراكيب اللغوية المقبولة" التي يجب أن تستخدم عندما يكون متاحا لنا تصوران متناقضان للنص، نابعان من ثقافتين مختلفتين (أحدهما شرق أوسطية).

يقدم خدام الأب في مثل الابن الضال حالة مماثلة. يذكر الفريد بلومر، في تعليقه، الكلاسيكي على إنجيل لوقا، الحديث إلى الخدم ويكتب قائلاً «ولكن الخدم ليسوا حاضرين. فهم لا يجرون مع الأب. فلا يمكن أن يصدر الأب لهم الأوامر إلا بعد أن يصل الأب والابن إلى البيت.»[٨]

إني لا أجد أي دليل أدبي قديم ليثبت أو ينفي صحة هذا القول، ولكن يعرف الجميع «إنه في قرية تقليدية في الشرق الأوسط فأنه يكون متوقعًا من الخدم أن يتبعوا سيدهم في الطريق (مع عدد كبير من الناس الآخرين). والشيء الواضح هنا أن الأب يقدم حبه المفرط، ويسمع حديث ابنه القصير، وعندئذ، دون ذكر لفاصل زمني، يصدر الأوامر لخدمه/ عبيده.[٩] والقصة، إذا قرأت ببساطة، تقدم كل هذا كما لو كان يحدث أمام الجمهور. إن الأب يرغب بشدة في الاحتفال بابنه في شوارع القرية وهو يلبس الحلة الأولى لوالده لأن مثل هذا الاستعراض سوف يسرع بعملية قبول الابن من قبل سكان القرية جميعًا. وهكذا فأن مشهد المصالحة يكون معدًا عن عمد ليضمن وجود الشهود. والإعلان عن الوليمة علنًا سوف يؤكد أن كلمة المصالحة، وأسباب الأب للاحتفال بهذه المناسبة سوف تصل إلى كل بيت في القرية في دقائق معدودات. إن أهل القرية لن يحضروا الوليمة لتهنئة الابن الضال. إنهم سوف يأتون لتكريم الأب.

من المؤكد أن خدام الأب معه في الطريق، ولكنهم ليسوا جيشًا يتحرك لمواجهة قوة معادية. إنهم جماعة تلقائية من خدام الأب على استعداد لتنفيذ مشيئته وهم يجهدون أنفسهم لتعزيز تعبيره المنظور عن المحبة الثمينة المكلفة. إن وكلاء الانتقام المحتمل الذين يخش أمرهم (في قصة يعقوب) يتحولون إلى وكلاء المصالحة (في الابن الضال).

إن هذا التغيير يمكن ملاحظته من قبل السامعين المولعين بالتأمل والتفكير والذين عرفوا القصة القديمة وكانوا يتابعون التعديلات التي أدخلت عليها في القصة الجديدة. فالخلاص، في مفهوم يسوع،

مازال يكشف النقاب عنه.

## ١٣: ٨ القبلة (ج)

يتخفى يعقوب في شكل أخيه ويتمكن من خداع والده. وفي الحوار الذي دار بينهما يطلب إسحاق من يعقوب أن يقترب منه ويُقبّله، ويفعل يعقوب ذلك (تك٢٧: ٢٦). فعلى يعقوب أن «يتقدم» نحو أبيه، وعليه أن يُقبّله. والقبلة نفسها تحث قبل إعطاء البركة مباشرة. ولذلك فقد كانت ذروة عملية الخداع.

تتوالى القبلات العديدة [١٠] في قصة الابن الضال، بين الأب والابن الضال. ولكن الظروف المحيطة تختلف بالكيفية التالية:

- يتقدم الأب نحو الابن الضال بدلاً من تقدم الابن نحو أبيه.
- الأب، وليس ابنه، هو الذي بدأ بالتقبيل.
- تحدث القبلة عند عودة الابن الضال، وليس عندما يأخذ ميراثه قبل الرحيل.
- القبلة التي يتلقاها إسحاق من يعقوب هي قمة الخداع. والأب في قصة الابن الضال لا يخدع ولم يخدع أبدا في الماضي. والقبلات المتلاحقة من الأب هي عرض غير مشروط بالمصالحة عن طريق المحبة المكلفة.

وهكذا، فإن القبلة بين الأب والابن الضال تتحول جذريًا لتصبح رمزًا هامًا لعمق المصالحة التي يقدمها الأب لابنه.

ومن المسلّم به، إن عيسو أيضًا قبل يعقوب في أول لقاء بينهما كجزء من العملية الثلاثية «ركض ووقع على عنقه وقبله». مرة أخرى هناك اختلاف بين القصتين. مصالحة يعقوب مع عيسو لا تستغرق زمنًا طويلاً لأن الأخين انطلقا في الحال في اتجاهين مختلفين ولا يظهران معًا مرة أخرى في القصة حتى يجتمعا معًا لدفن أبيهما. وبعد ذلك الاجتماع، ينفصلان انفصالاً دائمًا. وعلى النقيض من ذلك، فإن قبلة المصالحة بين الأب والابن الضال هي مقدمة لوليمة شهيرة وحياة ممتدة معًا أساسها تلك المصالحة.

## ١٣: ٩ الهدايا المقدمة عند العودة (ج)

يعود يعقوب غنيًا. ولذلك فقد استطاع أن يكرم عيسو بهدايا من القطعان من الحيوانات غالية الثمن (انظر تك ٣٢: ١٣-١٥). [١١] هذه الهدايا هي محاولة لتجنب المذبحة. يرفض عيسو أولاً. فهو يعرف

أن القبول يعني التنازل عن الخطة الواضحة لقتل أخيه لأنه ليس عملاً شريفًا أن يقبل الهدايا من أخيه ثم يتقدم مباشرة ليقتله. ولعلم يعقوب بذلك، فإنه يضغط على عيسو لكي يقبل، ويفعل عيسو ذلك على مضض.

ويعود الابن الضال دون أن يحمل تقدمة لأحد.[١٢]. هناك ذكر للهدايا، ولكن الابن الضال هو المتلقي وليس الواهب للحلة، والخاتم والحذاء. الحلة هي حلة والده. ومن المرجح أن الخاتم هو ختم الممتلكات والأراضي التي بحوزة والده،[١٣] والخدم/ العبيد لا يرتدون الأحذية. ولكن يرتديها أبناء الطبقة الثرية.

وبما أن يسوع يحول قصة قبلية إلى دراما الخلاص، فمن الضروري أن يكون هناك قلب للأوضاع بين الفقر والغنى. إنه يؤكد بوضوح أن الخطاة يعودون إلى الله صفر اليدين. وينطبق عليهم ما جاء في الترنيمة الشهيرة «ليس لي في يدي ما أقدمه لك»

## ١٣: ١٠ ارتداء الحلة الأولى (ج)

إن موضع ارتداء الحلة الأولى يظهر فقط في هاتين القصتين.[١٤] وبالإضافة إلى ذلك، ففي كلتا القصتين فإن هذه الحلة الأولى تؤخذ من مقتنيات واحد من أفراد الأسرة ليرتديها فرد آخر.[١٥] ولكن مرة أخرى، نتعامل مع هذا الموضوع بطريقة مختلفة.

في قصة يعقوب فإن الحلة الأولي لعيسو تسرق منه بواسطة أمه ثم يلبسها يعقوب كلباس هام لأجل تنفيذ الخديعة. وعلى النقيض من ذلك، فالأب في مثل الابن الضال يأمر الخدم عن طيب خاطر وبحماس ليخرجوا «الحلة الأولى» في البيت (من المفترض أنها مأخوذة من ثيابه) ويلبسوها للابن الضال وبالاختصار، فالخدم يؤمرون بأن يلبسوا الابن الضال هذه الحلة. ومثل هذا العمل المتعمد يرمز للطبيعة الشاملة للمصالحة التي تحدث. وكما ذكرنا من قبل، فالحلة تتضمن فعلاً قبول المجتمع للابن الذي تمت مصالحته مع أبيه سواء في الطريق أثناء عودتهما إلى البيت أو في أثناء الوليمة في تلك الليلة حين يحتفل الضيوف بعودة الابن الضال.[١٦]

## ١٣: ١١ الوعد بامتلاك الأرض (ج)

إن قصة يعقوب ذات صلة وثيقة بالوعد بامتلاك الأرض، يظهر هذا الوعد في ثلاث مرات في القصة. في المرة الأولى أثناء حديث إسحاق إلى يعقوب قبل أن يرحل مباشرة. في ذلك الحديث يقول إسحاق

«يعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم» (تك ٢٨: ٤).

ويردا الوعد الثاني بامتلاك الأرض في أثناء رحلة يعقوب إلى حاران، في أول ليلة يقضيها بعيدا عن البيت. ففي حلم سلمه الشهير، يعد الله بالأرض ليعقوب ولنسله (تك ٢٨: ١٣-١٤). وفي المرة الثالثة يعطي هذا الوعد بعد عودة يعقوب، ولكن قبل أن يلتقي بأبيه إسحاق مرة أخرى، يظهر الله ليعقوب، ويتكرر الوعد بالأرض (تك ٣٥: ١٢).

ويتعامل المثل مع موضوع الميراث، ولكن ذلك الميراث لا يرتبط بأي موقع جغرافي معين، ويكمل هذا ما سبق الإشارة إليه من إزالة صهينة التقليد. وذلك شأنه شأن الموضوعات الأخرى في القائمة، فإن هذه الفكرة تظهر أولاً في مثل الخروف الضال.

فكما رأينا، فمثل الخروف الضال يستمد جذوره من مزمور ٢٣. في ذلك المزمور فإن الراعي «يرد» خروفًا واحدًا. (المفترض أنه ضال). ويحول إرميا وحزقيال ذلك الخروف الضال إلى قطيع ضال. وتعاد كتابة قصة الشخص الضال كقصة لأمة ضالة وعند عودتها على الأرض وكما ذكرنا، فإن يسوع يدمج عناصر من كل قصة في قصته عن الخروف الضال. يسير يسوع على نهج داود، ويبحث موضوع الفرد الضال (مثل الابن الضال)، ويتبع نهج إرميا وحزقيال ويعيد تقديم فكرة القطيع، أي أن أل ٩٩ التي مازالت في البرية "وبنفس الطريقة ، فالابن الأكبر مازال ليس في البيت عند ختام المثل. وهو ضال أيضًا في «كورة بعيدة». وفي حالته فقط، فإن تلك الكورة تعني انعزاله عن أبيه وعائلته، بسبب مواقفه وأفعاله. إنه في «السبي» وهو يجسد ال ٩٩ خروفًا التي مازالت في البرية في المثل الأول. إن الراعي مسئول عن ال٩٩ في البرية، وهي تمثل غالبية القطيع وهكذا يخاطب الأب الابن الأكبر بكلمة «يا بني» (teknon) أي (ابني العزيز) على الرغم أنه في حالة تمرد خارج البيت. يبقى الاهتمام بكل العائلة، ولكن ليس هناك ضرورة للعودة إلى الأرض.

الابن الضال متغرب عن الله وليس عن الأرض، وعودته إلى الله، وليس إلى أورشليم. في كتابه «افتراق الطرق» ، يقول جيمس دون James Dunn إن عدم الرغبة هنا في تأكيد أهمية الهيكل والأرض واحد من أربعة أسباب رئيسية للانقسام الذي حدث بين الكنيسة ومجتمع اليهود في القرن الأول.[١٧] ووجود هذا الاهتمام بالمجتمع بدون اهتمام مصاحب بمبنى خاص أو أي جغرافية خاصة في اثنين من الأمثلة الثلاثة الواردة في لوقا ١٥ له دلالة خاصة لفهم كل من لوقا ويسوع. وبالنسبة ليسوع، فإن العودة إلى الله لا تتطلب الارتباط بجغرافية خاصة.

## ١٣: ١٢ بطل القصة (ج)

يتحمل يعقوب المتاعب، وينتصر، ويكتسب الثروة ويعطى اسمًا جديدًا. إنه يقهر الكثير من العقبات في تغربه وعودته وهو بطل القصة.

والابن الضال، من الناحية الأخرى، في المؤخرة، وليس بطلاً للمثل. إن دور البطل ينتقل للأب. فالذي يجد الضال ويسترده هو البطل. ويسري نفس هذا المفهوم على الأمثال الثلاثة في هذه الثلاثية.

يجد الراعي خروفه ويدعو أصدقاءه لاحتفالية ويقول لهم «افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال» (لو ١٥: ٦) إن الخروف الضال ليس بطلاً لقصة – ولكن الراعي هو البطل وفي المثل الثاني، تجد المرأة درهمها وتدعو صديقاتها، وبنفس الطريقة، تقول لهن: افرحن معي لأني وجدت الدرهم الذي أضعته (لو ١٥: ٩). فالمرأة، وليس الدرهم، محور الاهتمام. وفي القصة الثالثة، يجد الأب ابنه الضال ويأمر بعمل وليمة. وهذا الاحتفال ذاته طريقه للقول «افرحوا معي لأني وجدت ابني!» إنه بطل كل من القصة والوليمة.

وبحسب فكر يسوع، يتم العثور على كل من الأخوين من قبل الأب بعد دفع ثمن باهظ، أنه وحده بطل القصة ولا يحق لأي واحد من الابنين أن ينال شرف هذا المنصب أن جميع الالتزامات والتعهدات وأنماط الحياة يجب أن تصاغ وفقًا لسلوك هذا الأب، وليس وفقًا لحياة أي واحد من هذين الابنين، وهي حياة مليئة بالعيوب والثغرات. «كونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم» (لو ٦: ٣٦).[١٨]

## ١٣: ١٣ الصفات المميزة للابنين (أ)

يفعل عيسو ما هو متوقع منه، بينما يعد يعقوب متمردًا يخدع أباه ويترك البلدة وفي لوقا ١٥ يبقى الابن الأكبر في البيت، وعلى قدر معلوماتنا، فهو يحفظ الناموس. والابن الضال لا يحفظ الناموس. هذه المجموعة من التوازيات متقاربة إلى حد كبير، وهي تسهم بشكل فعال في ربط القصتين معًا.

## ١٣: ١٤ المحبة الثمينة المضحية (ج)

في قصة يعقوب لا توجد محبة مضحية بالذات بين أي من القائمين بالأدوار الرئيسية الثلاثة في القصة.[١٩] يرسل يعقوب هدايا ثمينة لأخيه عيسو وينحني له سبع مرات، ولكن الدافع المعبر عنه في النص هو الخوف، وليس الحب. ويجري عيسو في الطريق ويقبّل أخاه. ولكن كما ذكرنا، فإن المصالحة

بينهما قصيرة الأجل. ويعود عيسو لسعير، ولا يفي يعقوب بوعده في إتباعه، بل يرحل إلى سكوت. وبمجرد أن يموت أبوهما، يفترق الأخوان ولا يرى كل منهما الآخر ثانية. ويصبح نسل كل منهما عدوًا لدودًا لنسل الآخر.

وفي قصة الابن الضال يظهر الأب حبًا مكلفًا للابن الضال. إنه لا يأخذ معه أربعمائة رجل مسلح وهو يجري في الطريق! وبعد عدة ساعات قليلة، يقدم حبًا أكثر تكلفة للابن الأكبر! فالأخوان متغربان عن أبيهما بنفس المقدار وفي حاجة إلى محبته إذا كان لابد من استعادة علاقة كل منهما بأبيه وكل منهما بالآخر. وبدون إظهار مثل هذا الحب من جانب الأب، فإن الرجاء في المصالحة يصبح هباءً منثورًا.

## ١٣: ١٥ التوبة / الخلاص (ب)

هناك ارتباط وثيق الصلة بين التوبة والخلاص في اللاهوت الكتابي، وكلاهما بحاجة لتتبعهما في القصتين. إنهما يكونان معًا لؤلؤة عظيمة القيمة تسطع بنورها في مختلف الاتجاهات ويظهر هذا المثل وجهًا واحدًا من تلك اللؤلؤة.

أشار الفصل الثاني عشر لغياب عنصر الندم من جانب كل من يعقوب والابن الضال. ولكن التركيز هنا على الموضوعات المرتبطة والبارزة عن التوبة والخلاص.

لا يتوب يعقوب عن أي شيء. إنه يعمل بجد، وبمعونة الله ينجح. ولا تظهر مواقفه تجاه أخيه وأبيه أي إدراك بأنه قد فعل أي شيء يحتاج لأن يتوب عنه. إنه يعود (shub) إلى عائلته ووطنه – وليس أكثر من هذا (انظر تك ٢٨: ٢١، ٣١: ٣، ١٣).

ويأتي الخلاص إلى يعقوب وإلى الابن الضال بطريقتين مختلفتين. يتمكن يعقوب، بمعونة الله، من حل مشكلاته الخاصة. ويتم العثور على الابن الضال ويُسترد من قبل أبيه. هذا الفارق المحوري يتطلب المزيد من الإيضاح. لقد ذكرت من قبل أن الابن الضال في الكورة البعيدة يحاول تنفيذ خطة، وهي الخيار الأخير لديه، ليضع طعامًا في معدته، وعند استجابته لمحبة أبيه عند أطراف القرية، يقبل العثور عليه عن طريق المحبة المضحية والمكلفة. ولذلك، فهو عند أطراف القرية ما يزال ضالاً وميتًا.

يتضمن طقس العشاء الرباني لكنيسة إنجلترا سنة ١٩٨٠ صلاة بعد تناول هذا العشاء افتتاحيتها كالتالي: «يا أبانا كلنا، نقدم لك الشكر والحمد لأننا عندما كنا لا نزال بعيدين التقيت بنا في ابنك وأحضرتنا إلى البيت». [٢٠]. في هذه الصلاة، يفسر داڤيد فروست عامدًا المثل الوارد في لوقا ١٥. لقد

رأى الأب ابنه وقدم له السلام/المصالحة «إذ كان لم يزل بعيدًا» (انظر إش ٥٧: ١٩).

يقبل الابن الضال «العثور عليه» وذلك القبول يعني توبته. إن ما يقبله هو هبة مجانية من النعمة غير المكتسبة. ومثل هذا التعريف للتوبة مؤكد قبلاً في مثلي الخروف الضال والدرهم المفقود. ويصل هنا إلى التعبير عنه بأجلى بيان.

وتلخيصًا لما سبق نقول، إن يعقوب يتجه إلى المنزل بإرادته وهو ليس بحاجة للمساعدة من أي شخص عند الوصول، ويعد ذلك على النقيض من الابن الضال، الذي كان لا يزال، وهو على مشارف القرية ضالاً وميتًا، ومفلسًا، وحافي القدمين، تفوح منه رائحة الخنازير. ومع ذلك فهو ما يزال يؤمن أن باستطاعته حل مشكلاته الخاصة. عند تلك النقطة، تتجسد محبة الأب، ونتيجة لذلك، تقدم القيامة والشفاء مجانًا له. وهو يقبل، وبذلك ينتهر سببه الذي بدأ قبل تركه للبيت واستمر مدة طويلة.

يأمر الأب بإعداد الوليمة، وينتقل المثل إلى ذروته الثانية. يعرف المستمع/ القارئ أن الابن الأكبر (كعيسو) غاضب وينتظر متوقعًا نذر السوء وهو مختف وراء الكواليس وأن ظهوره سوف يكون أساسيًا للقصة إذ تتضح معالمها. ونحن نتجه الآن نحو هذا الهدف.

# هوامش الفصل الثالث عشر

1. These Dramatic actions will be revisited in chapter fourteen.

2. K. E. Bailey, Poet, pp. 181-82; *Finding*, pp. 43- 46.

3. Sirach 19: 30; Aristotle, *Nicomachean Ethics* 4.3.1125a (cf. R. McKeon, pp. 13-17).

4. In Luke's Gospel, Zeccheaeus runs, but he is running away from the crowd and climbs into a sycamore fig tree with large leaves. He does not want to be seen (Lk 19: 1-10).

5. Josephus, *Antiquities of the Jews* 1.20.3 (335).

6. The Greek wird is *doulos*, which was the common word for slaves.

7. *Jubilees* fails to report the entire scene and only says, "Esau, his brother, came to him and was reconciled to him" (*Jubilees* 29: 13).

8. A. Plummer, *Luke*, p. 375.

9. It seems only fair to suggest that the burden of proof is on plummer.

10. The verb for "to kiss" (*kataphileō*) in the Greek text of Luke 15: 20 suggests the repeated kissing of a standard Middle Eastern greeting; cf.K. E. Bailey, *Poet*, p. 183.

11. The list is impressive. It includes hundreds of goats, sheep, cows and donkeys.

12. Traditional custom requires that the traveler to a distant land return with gifts for the entire family. Theis is universal across the Middle East and beyond.

13. Cf. K. E. Bailey, *Poet*, p. 185.

14. A. J. Hultgren notes that Joseph receives a robe from Pharaoh in Gen 41: 42 (*The Parables of Jesus*, p. 79). This is correct. However, the robe is described as "graments of fine

linen," and it is not identified as "the best robe." Nor is it *Pharaoh's* robe.

15. The "best robe" in the house is the father's robe. who in the house would have a better one?

16. On a different theological level, this same robe can be understood to reflect the "robe of righteousness" of the Messianic age. Cf. J. Jeremias, *Parables*, p. 130 (cf. Is 61: 10).

17. J. D. G. Dunn, *The Parting of the Ways*, pp. 37-74.

18. Cf. H. Nouwen, *The Return of the Prodigal*, p. 123.

19.Jacob does place himself in front of his family as Esau approaches. Jacob thereby demonstrates a willingness to be the first killed with the hope that some of his family may survive. No doubt this is a sincere demonstration of potentially costly love, and offer that proves to be unnecessary. But this has little to do with his long-term relations with his brother and father. It is a part of his strategy for survival. He Knows he is destined to rule over his brother, and, by bowing to him, Jacobe is surely not surrendering that part of his blessign.

20. R. C. D. Jasper and p. F. Bradshaw, *A Companion to the Allernative Service Book*, p. 243.

# الفصل الرابع عشر

# سلام للقريب

## بحث الأب عن الابن الأكبر (لو ١٥: ٢٥- ٣٢)

بعد عودة يعقوب فإنه يتعامل مع كل من أخيه وأبيه. ونفس هؤلاء الثلاثة على مسرح الأحداث في المشهد الأخير في المثل أيضًا. ونحن بحاجة لفحص أوجه التشابه بين هذين المشهدين الأخيرين:

«وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصًا. فدعا واحد من الغلمان[١] وسأله ما عسى أن يكون هذا فقال له: أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالمًا.[٢] فغضب ولم يرد أن يدخل. فخرج أبوه يطلب إليه. فأجاب وقال لأبيه «ها أنا أخدمك سنين هذا عددها وقط لم أتجاوز وصيتك وجديًا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي. ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن» فقال له: يا ابني [٣] أنت معي في كل حين وكل ما لي فهو لك. ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥: ٢٥-٣٢).

في هذا المشهد فإن جمهور السامعين (الكتبة والفريسيين) يظهرون على المسرح في شخص الابن الأكبر، الذي يعبر عن وجهه نظرهم. ويسوع يظهر أيضًا على المسرح ممثلاً في شخص الأب، وهو يطلب مصالحة الابن الأكبر. إن الحنان الذي يظهره الأب في الطريق تجاه الابن الضال يعتبر الذروة الأولى للقصة. ويكون هذا المشهد مع الابن الأكبر الذروة الثانية الأكثر حدة، والأكثر تكلفة بالنسبة للأب والأكثر أهمية بالنسبة للمشهد الأكبر لأن يسوع والسامعين (الكتبة والفريسيين) مرموز إليهم جميعًا على المسرح. إن أوجه التشابه بين قصة يعقوب والمثل تتواصل. وما يأتي جدير بالملاحظة.

### ١٤: ١ الابن الأكبر يأتي من الحقل (أ)

في بداية قصة يعقوب، يستدعي الأب (إسحاق) ابنه الأكبر عيسو ويقول له. «اخرج إلى البرية

(الحقل) وتصيد لي صيدًا (تك ٢٧: ٣). وبعد قليل من الأعداد يقول النص «فذهب عيسو إلى (الحقل)» (تك ٢٧: ٥). وعندما عاد عيسو نجد هذا القول: «أن عيسو أخاه أتى من صيده» (تك ٢٧: ٣٠). ولا ذكر لكلمة (الحقل) في هذا العدد، ولكنه شيء مُسلّم به افتراضًا. فحيث أنه ذهب «إلى الحقل» ليصيد، فعندما يعود من رحلته فمن الطبيعي أن يعود «من الحقل».

إن المشهد الأخير في الأمثلة يفتتح هكذا «وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلما جاء وقرب من البيت...» (لو ١٥: ٢٥) إن المثل مألوف لدينا لدرجة تجعلنا نميل إلى عدم إدراك الفكرة جيدًا، ومن السهل أن نتغاضى عن أن المبدع الأصلي للمثل، عند كل منعطف، كان عليه أن يختار. كان يمكن ليسوع أن يجعل الابن الأكبر يدخل من الخارج «أو ببساطة» من «القرية» أو «من الباب» ولكنه لم يختر أيًا من هذه الأشياء. وبدلاً من ذلك قال إنه دخل «من الحقل» لقد لاحظ المعلقون مؤخرًا أنه، في المثل، فإن عبارة "في الحقل" تساعد على خلق رابطة بين الأخوين معاً.[٤]. وفي حقيقة الأمر ، يمكن ملاحظة العديد من التشابهات بين الأخوين. فكلاهما في الواقع يبدآن «من الحقل». وكل منهما يقوم برحلة إلى البيت. وكل ابن يرحب به من قبل أب يذهب إلى كل واحد منهما بالدور. وكلاهما اغتربا عن أبيهما. وكل منهما بحاجة لأن يقبل العثور عليه.[٥]. إن أوجه التشابه هذه قيّمة وهامة. وكل من يركز على المثل جيدا فلاشك إنه سوف يلاحظ هذا القائمة.

ولكن الإشارات إلى «الحقل» تربط أيضًا يعقوب بالابن الضال. فكما ذكرنا سابقًا، فإن عيسو قد أرسل من قبل أبيه إلى «الحقل» ، والابن الأكبر قد جاء إلى الأب «من الحقل» وجاء عيسو من الحقل بعد أن تعامل أبوه مع يعقوب بطريقة لم تعجب عيسو. وفي المثل اقترب الابن الأكبر من البيت بعد أن جاء من «الحقل» بعد أن كان أبوه قد تعامل مع الابن الضال بطريقة لم تعجب الابن الأكبر، وهذا التشابه يقدم حلقة أخرى في سلسلة الروابط التي تربط عيسو بالابن الأكبر معًا في عقول السامعين الأصليين للمثل.

## ١٤: ٢ عودة الابن الأصغر وموضوع الأمان/ السلام (ب)

تعبر كل قصة عن الاهتمام بسلامة الابن الأصغر عند العودة. فيعقوب يأمل أن يعود إلى بيت أبيه بسلام (تك ٢٨: ٢١). وتترجم الطبعة اليونانية للعهد القديم (السبعينية) هذه العبارة هكذا «ترجعني بأمان». والأمان جزء من تعريف السلام Shalom، ولكنه جزء فقط. من المسلّم به، إن العودة إلى البيت حيًا هو خلاصة حديث يعقوب، ولكن السلام يعني أشياء أكثر من مجرد الأمان، من الطبيعي، أن يعقوب يريد أيضًا أن يصل إلى نوع من التوافق مع عيسو لأنه يدون ذلك فإنه لا يستطيع إن يعود. وهو يذكر

أيضًا الخبز والملابس، ولكن لا يوجد ذكر لأي علاقات متوترة مع أبيه. ومن المؤكد أنه لا يوجد أي نوع من النفور من أمه، وليست هناك إشارة لأن العائلة غير سعيدة. ويركز النص على جهوده في البقاء على قيد الحياة أثناء غيابه.

وكما ذكرنا، ففي المثل يقترب الابن الأكبر من البيت ويستدعي واحدًا من الغلمان في الفناء الخارجي للدار ليوضح له بعض الأشياء. يخبر الغلام (Pais) الابن الأكبر الحقيقة: الوليمة هي احتفال بنجاح جهود الأب في إيجاد السلام Shalom. وما أن تم حل هذا اللغز، حتى اتضح رد فعل الابن الأكبر وأصبح مفهومًا. فهو ليس غاضب بسبب تقرير صحي. فإذا كانت الوليمة مجرد احتفال بعودة الابن الضال دون أن يمسسه سوء، فهذا يعني أن الأب لم يقرر بعد ما الذي سوف يفعله معه. وفي مثل هذه الحالة فإن الابن الأكبر يدخل البيت في الحال للتأكد من تمثيل وجهه نظره عند البدء في المناقشة الهامة للموضوع (ربما في وقت لاحق من تلك الليلة). إنه لا يريد مصالحة دون دفع الثمن. وهو لن يهين أباه علنًا بسبب موضوع يتعلق بصحة الابن الأصغر!

ولكن إذا كانت الوليمة احتفالاً بنجاح جهود الأب المضنية في خلق السلام، فإن الوقت يكون قد فات أوانه لمناقشة موضوع رد كل شيء كشرط أساسي للمصالحة. في هذا الضوء فقط يصبح غضب الابن الأكبر ذا مغزى. وبالاختصار، فالسلام عنصر أساسي في كل قصة.

وكما رأينا، فإن السلام بالنسبة ليعقوب كان يتركز على الطعام، والملابس، والأمان، ويأخذ يسوع نفس الموضوع ( والذي يتضمن فكرة العودة إلى البيت حيًا) ويؤكد مقصده بالقول «لأنه [الأب] قبله [الابن الضال] بسلام» (لو ١٥: ٢٧، ترجمة المؤلف). التركيز الجديد هنا على المصالحة، وليس على الصحة الجيدة/ الأمان.

## ١٤: ٣ عند الوصول إلى البيت يشعر الابنان الأكبران «بالظلم» (ب)

دخل عيسو إلى أبيه ليواجه الخبر الذي سبب له الذهول والصدمة وهو خبر فقدان بركته. وعندئذ «صرخ صرخة عظيمة ومرة جدًا» ( تك ٢٧: ٣٤). فبعد أن خُدع، فمن الطبيعي أن يغضب. وعلى غير توقع، ووجه الابن الأكبر في المثل أيضًا بخبر سيء، فهمه على أنه يعني ظلمًا كبيرًا. وقد أعطيت التفاصيل له من قبل الغلام السابق ذكره. أعلن الغلام أن الوليمة هي احتفالية لنجاح جهود الأب في صنع السلام مع ابنه الضال.

مرة أخرى، هناك تصور مختلف لرد فعل الابن الأكبر عند النظر بدقة إلى المثل في حد ذاته، على

نقيض فحص المثل في ضوء قصة يعقوب التي تقف من وراء المثل. وسوف نفحص حديث الابن الأكبر فيما يلي. إن تركيزنا هنا منصب على الإحساس بالظلم. كان لعيسو الحق في الصراخ بألم وغضب بسبب الظلم الفادح الذي تعرض له. ولكن، هل وليمة الأب في المثل احتفالاً بالسلام الذي صنعه يعد ظلما للابن الأكبر؟ لاشك إن الابن الأكبر يعتقد ذلك وهو يهاجم أباه باللفظ لأنه أمر بتلك الوليمة. ومع أن عيسو قد استشاط غضبًا وألمًا، إلا أنه لا يهاجم أباه، كان يمكنه أن يفعل ذلك. فالأب يتحمل نصيبًا من الخطأ لضياع بركة عيسو.

وعلى النقيض من ذلك يجب أن نسأل هذا السؤال: هل موقف الابن الأكبر سليم لا غبار عليه؟ كلا، إنه ليس كذلك حقًا، فالابن الأكبر يعتقد أنه يواجه ظلمًا، ولكن كما يبرز الأب له، فكل حقوقه محفوظة: «كل ما لي فهو لك» (لو ١٥: ٣١). هكذا يخبره الأب.

وهكذا فإن التوجه المعبر عنه بالقول «إني أعامل معاملة ظالمة» يظهر في كل قصة ولكن مع فارق هام. لا يمكن أن يوجه اللوم إلى عيسو لشعوره بأنه تعرض للظلم، ولكن أحساس الابن الأكبر بالظلم لا أساس له من الصحة وغير مبرر.

ومن الجانب الآخر، فإذا قبلنا فهم الابن الأكبر المغلوط للاحتفالية على علاته، فمن المؤكد أن تكون شكواه صحيحة. وإذا كانت الوليمة، كما يصر الابن الأكبر هي «للابن الضال»، ربما يكون على حق وعلى المستوى الشعبي في الكنيسة عامة، يعتقد معظم الناس أن الوليمة هي بالفعل للابن الضال. ولكن كما رأينا، فإن الابن الأكبر قد اختار عن عمد أن يتجاهل سبب الوليمة المقدم له توًا من الغلام في الفناء الخارجي للدار. ولذلك فإن ثورة غضبه مبنية على خداع للذات، وليست مبنية على حقيقة ما يحدث في قاعة الوليمة. الاحتفال في حقيقة الأمر هو للأب، وليس للابن الضال.

من الواضح، أن يسوع يخبر سامعيه أن شكواهم لا مبرر لها. صحيح، إنه يأكل مع خطاة. ولكن هذا لا يقلل من حقوق الفريسيين وامتيازاتهم أمام الله. فليس لهم مبرر شرعي يدعوهم للشكوى من أعمال النعمة.[٦] فيسوع لا يأكل مع خطاه ليحتفل بخطيتهم. إنه يفعل ذلك ليحتفل بعمل نعمته.

## ١٤: ٤ الابن الأكبر يغضب (ب)

من الواضح أن غضب الابن الأكبر، عامل هام في كل قصة. إننا يجب أن نتتبع ما يفعله كل من الأخوين الأكبرين بغضبهما في كل قصة.

في كلتا القصتين يظهر غضب الابن الأكبر مرتين. في قصة يعقوب يظهر يعقوب غضبه عندما تسلب منه البركة عن طريق الغش والخداع. وفي تلك المناسبة يصبح غاضبًا جدًا لدرجة أنه يخطط لقتل أخيه يعقوب. وكما ذكرنا، فليس هناك استياء معبر عنه ضد إسحاق، الذي سمح لنفسه بأن يخدع.(٧) إن كل غضب عيسو موجه نحو أخيه الأصغر.

الموقف الثاني لغضب الأخ الأكبر يحدث عندما يعود يعقوب ويخرج عيسو للقائه بجيش صغير مكون من أربعمائة رجل (من المفترض أنهم مسلحون).(٨) يكشف رعب يعقوب أنه يعتقد أن عيسو آت لقتله هو وكل الفريق الذي كان معه ( تك ٣٢: ١٧-٢١).

لا ينصرف غضب عيسو أبدًا. إنه يتخلى عنه مؤقتًا بسبب مفاوضاتهما المتوترة. ولكن، كما ذكرنا، فإن الأخين استمرا يعيشان كل بمعزل عن الآخر. كانت مصالحتهما سطحية، وقد فشلا في إيجاد علاقة طويلة الأمد.

وفي المثل، فإن غضب الابن الأكبر أيضًا يتكرر مرتين، مرة بالفعل والثانية بالقول. وعلى خلاف عيسو، فإن غضب الابن الأكبر له حدان. فهو غاضب من كل من أخيه وأبيه.

في بداية المثل، يظل الأخ الأكبر صامتًا، ونحن لا نعرف معنى ذلك الصمت، ولكن في المشهد الختامي فقط ينفس الابن الأكبر عن مشاعره الحبيسة. فقد اكتشف من صوت الموسيقى والرقص أن هناك احتفالاً في بيت العائلة. يشعر وكأن هناك رعدًا قاصفًا من على بعد ويقف بعيدًا ويطلب تفسيرًا لما يحدث من أحد الغلمان. إن رد الفعل الطبيعي والمتوقع أن يدخل البيت بفرح ويشترك في الحفل. وعندما اكتشف أن أخاه قد وصل وتصالح مع أبيه، يغضب بسبب تلك المصالحة التي تمت دون دفع الثمن. وأفضل فهم لهذا الغضب أنه موجه ضد كل من أخيه وأبيه، ولكن الأب تحمل وطأة غضبه.

يقرر الابن الأكبر أن يعاقب أباه علنا برفضه الدخول إلى قاعة الوليمة وتهنئة أبيه، والترحيب بأخيه وتحية ضيوف أبيه. تلك إهانة علنية خطيرة ومحسوبة، ويعرف كل الضيوف في المثل (والسامعين/القراء) ذلك. يذل الأب حينئذ نفسه علنًا بترك ضيوفه والخروج إلى الابن الأكبر، وهو يطلب (Parakaleō) منه المصالحة. عند هذه النقطة في القصة لا نعرف ما قاله الأب. نحن نعرف فقط الهدف من أفعاله المنكرة للذات.

كان رد فعل الابن الأكبر على محبة أبيه أن يشن هجومًا مريرًا على كل من أخيه وأبيه. يبدأ الابن الأكبر باتهام أبيه بالمحسوبية، التي يمكن تلخيصها في العبارة الآتية «إنك تذبح له عجلاً مسمنًا، وأنا

لا أحصل حتى على جدي صغير!! أنت تحبه. وأنت لا تحبني!»

وهو يرفض بعد ذلك أن يلقب الابن الضال بكلمة «أخي» ولكنه يشير إليه باحتقار بالقول "ابنك هذا" (لو ١٥: ٣٠). وأخيرًا يتهم الابن الضال بتبديد مال الأب «مع الزواني». إن القرويين في الشرق الأوسط يقتلون بعضهم بعضًا بسبب اتهامات علنية عنيفة كهذه. وفي الواقع، فإن الأخ الأكبر قد عاد لتوه من الحقل وهو لا يعرف حتى إن كان أخوه قد جاء أم لا، فكيف تسنى له أن يعرف كل تلك التفاصيل؟ لقد خرج غضبه عن نطاق السيطرة.

ولكن الوليمة التي تجعله يستشيط غضبًا. وكما ذكرنا من قبل، فالغلام قد أخبره للتو أن الوليمة كانت احتفالاً بنجاح مسعى الأب في تحقيق المصالحة مع أخيه. إنه أصم تجاه هذه الرسالة. ويقوده هذا الصمم إلى ذروة حديثه، وهو هذا الإدعاء الزائف بأن الوليمة مقامة تكريمًا للابن الضال. إنه يصيح قائلاً «ذبحت له العجل المسمن!» (لو ١٥: ٣٠). إن المستمع غير المتحير يعرف أن ذلك ليس صحيحًا. فالضيوف لن يكونوا هناك لو أن الوليمة أقيمت لتكريم الابن الضال. إن هذا الادعاء المدوي بأن الوليمة مقامة للابن الضال كانت الطعنة الأخيرة من هجومه العلني ضد نزاهة أبيه. إن الكلمات المصاغ بها هذا الهجوم الغاضب والعنيف توحي بأن الابن الأكبر يحاول أن يُعرّف الابن الضال بأنه «الابن المعاند المارد» فإذا استطاع إثبات هذا الاتهام، فإن الابن الضال يجب أن يرجم وفقًا للوصية المذكورة في تثنية ٢١: ١٨-٢١.[٩] ومثل هذا الموقف يقرب عيسو من الابن الأكبر كثيرًا. فكل منهما غاضب على أخيه الأصغر لدرجة أن عيسو يفكر في قتل أخيه والابن الأكبر يحاول تأسيس اتهام يقضي بأخيه إلى الإعدام.

وبالجملة، فإن الغضب المكبوت من جانب الابن الأكبر عامل هام في كل قصة، وهو يقوي الرابطة التي تربط بين الاثنين. إن عيسو لم يتوصل إلى مصالحة دائمة مع يعقوب إطلاقًا، وعند ختام المثل، فإن دعوة الأب للأخ الأكبر للمصالحة تذهب أدراج الرياح. ما الذي سوف يفعله الأب؟

## ١٤: ٥ رد فعل الأب تجاه ابنه الغاضب (ج)

لابد أن يكون لكل أب رد فعل تجاه غضب ابنه الأكبر. إن يعقوب يخدع عيسو. ويطلب عيسو بركة وتعطى له بركة تخبره بأنه سوف يعيش بالسيف وليس «بدسم الأرض» (تك ٢٧: ٢٨) وأنه سوف يستعبد لأخيه ولكنه سوف يتمكن أخيرا من أن «يكسر نيره عن عنقك (عنقه)» (تك ٢٧: ٣٤-٤٠). هذه هي آخر

الكلمات المسجلة التي دارت بين إسحاق وعيسو. إنه حديث يقول «لم يتبق أخيرًا شيء، ولكن خذ هذه البركة. سوف تقضي حياتك مقاتلاً، وتصبح مستعبدًا لأخيك وفي النهاية سوف تكسر نيره عن عنقك». وعندما يعود يعقوب، فلا يجد الأب ما يقوله لأي منهما.

وفي المثل لابد للأب أن يكون له رد فعل تجاه السلوك الوقح للابن الأكبر، فمع وجود وليمة كبيرة معدة، وبيت مليء بضيوف من وجهاء القوم وعازفين وراقصين قد تم الاتفاق معهم لإحياء حفل كبير، لا يمكن للأب أن يتظاهر بأن أبنه الأكبر لا يقيم معهم في ذلك البيت. فلابد من رد فعل تجاه غضبه.

لقد أخبرني بعض الكهنة الأمريكيين من الكاثوليك والذين قضوا حياتهم في الصين إنه في ذلك البلد يمكن للأب أن يقتل ابنه بسبب مثل هذه الإهانة العلنية. وفي الشرق الأوسط من المرجح أن يستمر الأب في تقديم الوليمة بوجه متجهم.[١٠] وفيما بعد فأن الابن الأكبر يمكن أن يتعرض لعقوبة قاسية، وربما يضرب. وكما رأينا سابقًا، فالأب في هذه القصة ليس أبًا شرقيًا. إنه رمز لله وهو يجسد ويعمم تلك الصورة الأبوية عن الله والتي نراها في هوشع ١١: ١-٩. إن المسافة التي قطعها من مائدة الوليمة إلى الابن الأكبر في الفناء الخارجي للدار كانت أليمة على قلبه، فالأب يواجه جفوة قاسية في علاقته مع أبنيه كليهما، ويحصل كل منهما على بيان عملي بالمحلة المكلفة غير المتوقعة. وفي واقع الأمر، فإن المسافة التي قطعها الأب من قاعة الوليمة إلى الفناء الخارجي لأجل أبنه الأكبر أكثر تكلفة من جريه العلني المهين طوال الطريق لأجل أبنه الأصغر لأن الإهانة وقحة وقد حدثت أثناء مناسبة رسمية وعلنية.

لا يظهر الابن الأكبر تأثره بالمحبة المقدمة له. وبدلاً من ذلك، فهو يوجه الهجوم الذي ناقشناه من قبل. وبعد سيل من الإهانات، كان من حق الأب أن يصيح بصوت عال قائلاً «كفى! إني لست مضطرًا لتحمل المزيد! احبسوه! سوف أتعامل معه فيما بعد!» ولكنه لا يفعل ذلك، بل يدعوه برقة لأن يفرح ويسر.

## ١٤: ٦ الحديث الغاضب المتسم بالعداء (ب)

مضى بعض الوقت بعد نجاح يعقوب في الكورة البعيدة، حين بدأ يستشعر العداوة من بني لابان (تك ٣١: ١-٢). وفي نفس الوقت، يتكلم الله معه ويأمره بالعودة إلى أرضه وعشيرته. فيفعل هكذا دون أن يخبر حماه، لابان. وتسرق زوجة يعقوب راحيل أصنام أبيها وهي خارجة وتأخذها معها. مضت ثلاثة أيام قبل أن يكتشف لابان غياب يعقوب وراحيل والأصنام. فأخذ لابان يتعقب يعقوب وأدركه مع كل من كان معه. أخذ لابان يفتش كل مقتنيات يعقوب بحثًا عن الأشياء المسروقة، ولكن بفضل خدعة قامت بها راحيل، فإنه يفشل في العثور عليها. يوجه يعقوب بعد ذلك، حديثًا غاضبًا إلى لابان

في مواجهته. وخلاصة هذا الحديث هو «لقد خدمتك طوال هذه السنين ... ولكنك عاملتني بقسوة» (تك ٣١: ٣٦-٤٢).

ويلقي الأخ الأكبر حديثًا مشابهًا في مواجهة أبيه، يحتوي عددًا كبيرًا من البنود المستعارة من حديث يعقوب. من بينها ما يأتي:

- الخدمة الشاقة: لقد خدمتك سنين عديدة.
- البراءة: إني بريء من أي ذنب.
- الظلم: لقد عوملت معاملة ظالمة.
- الكرامة: لقد تم التعدي على كرامتي الشخصية.
- الفهم المغلوط: سرقت زوجة يعقوب من أبيها، ولذا فإن تصنيف يعقوب لحميه فيه الكثير من التجني عليه.

وبالمثل، ففي بداية المثل، تلقى الابن الأكبر أيضًا ميراثه («فقسم لهم معيشته»)، ولذلك فإن شكواه بأنه لم يأخذ شيئًا يحمل أيضًا الكثير من التجني.

هذه البنود الخمسة توحي بقوة أن حديث الابن الأكبر في المثل مصاغ عمدًا وفق حديث يعقوب الغاضب. ومع ذلك هناك عدد من أوجه الاختلاف الهامة: في قصة يعقوب، فإن الابن الأصغر، هو الذي يلقي الحديث، بينما في المثل فالابن الأكبر هو الذي يفعل ذلك ويتحدث يعقوب إلى حميه، بينما في المثل يتحدث الابن الأكبر إلى أبيه، ليس هناك مقارنات بين شخص وآخر في حديث يعقوب. ولكن في المثل يقارن الابن الأكبر الطريقة التي عومل بها في مقابل الطريقة التي يرى أن أخاه الأصغر يعامل بها.

وعلى الرغم من هذه الفروق، فالموقف الأساسي لكل متحدث لا يتغير. فكل من يعقوب والابن الأكبر يعبر عن الغضب النابع من إحساس بالإهانة للكرامة الشخصية. إن موقف يعقوب هو «لقد اتهمتني ظلمًا بالسرقة!» ووجهة نظر الابن الأكبر هي:

«الابن الضال مبذر غير أخلاقي، وقد اهتممت به أكثر مما ينبغي. وأنا مطيع وأعمل بجد واجتهاد دون أن أحصل على شيء!»

إن التشابه مع حديث يعقوب لا يربط القصتين معًا فقط، ولكن تكرار موضوع «الفهم المغلوط» في المثل يشجع الفريسيين على البحث عن خداع النفس في هجوم الابن الأكبر على أبيه، فإذا حدث ذلك، فقد يتمكنوا من رؤية فهمهم المغلوط في هجومهم على يسوع!

## ١٤: ٧ ذبح العجل المسمن للوليمة (أ)

تحتوي كلتا القصتين على موضوع تقديم لحم الجدي كطعام. فتأمر رفقة يعقوب بأن يحضر «جديين جيدين» من المعزى لتطعيم إسحاق (تك ٢٧: ٩) ويعبر الابن الأكبر عن رغبته في الحصول على جدي "ليفرح" مع أصدقائه (لو ١٥: ٢٩) الوجبة الأولى تمت، ولكن الثانية لم تتم.. ومع ذلك فكلاهما يضمان لحم الجدي في قائمة الطعام، وكلاهما يتم الحديث عنهما في إطار العلاقات المحطمة.

كان لحم الجدي يستخدم بين آن وآخر لتقديم الذبائح. ولكن في الكتاب المقدس كله، فإن تقديم لحم الجدي كطعام لبشر لا يرد سوى في هاتين القصتين. إني لا أرى أي سبب لاهوتي يستدعي ذكر لحم الجدي. كان يمكن للابن الأكبر أن يقول: «وحملاً لم يعطني!» [١١]. إن الإشارة إلى لحم الجدي يقدم المزيد من الروابط الدرامية لربط النصين معًا.

## ١٤: ٨ «كل ما أنت ترى فهو لي» «مقابل كل مالي فهو لك» (ج)

يجيب لابان على حديث يعقوب الغاضب بالقول «البنات بناتي والبنون بني والغنم غنمي وكل ما أنت ترى فهو لي» (تك ٣١: ٤٣). إنه يقول "كل مالك فهو لي". ولكن لابان يعرف أنه لا يمكن أن يتوقع أن تترك ابنتيه زوجيهما يعقوب وتعودان إليه. إنه يقول باختصار: كل شيء لي- ولكني لا أستطيع اكتساب حقوقي. وهكذا فأن لابان يعرض أن يعقد عهدًا مع يعقوب يعد بمثابة تعهد لاحترام "وقف إطلاق النار" بينهما. ولختم العهد، يقدم يعقوب ذبيحة، ويأكلان طعامًا معًا.

وفي الصباح ينهض لابان مبكرًا، ويبارك ابنتيه وأولادهما (ولكن ليس يعقوب) ويختفي عن مسرح الأحداث فلا يظهر مرة أخرى في أي قصة في العهد القديم. ويترك القارئ ليستنتج أن كلا من يعقوب ولابان قد احترما هذا العهد وبذلك أنهيا انفصال (وليس مصالحتهما) كل منهما عن الآخر.

هل هناك رد على الحديث الغاضب في مثل يسوع؟ في المثل، يستمع الأب إلى الهجوم اللفظي للابن الأكبر ويعرف أنه يجب أن يرد عليه. وهكذا يفعل، وقد كان رده مضادًا لما قاله لابان. فبدلاً من القول «كل ما لك فهو لي»، يقول «كل ما لي فهو لك» (لو ١٥: ٣١) تمشيًا مع مجرى أحداث القصة فكان الأب يقول:

«سوف لن أعتدي على حقوقك. نصيبك آمن. فلتطمئن! لن آخذ شيئًا مما سبق أن تعهدت بتقديمه لك وأعطيه لأخيك».

يؤكد العالم السرياني العظيم موسى باركيفا هذه النقطة وهو يتخيل ما يقوله الأب بالفعل للأخ الأكبر. وكحديث يدلي به الأب، يكتب باركيفا قائلاً:

«يا بني، هل جردتك من الملابس وكسوته هو؟ هل أخذت منك خاتمك من إصبعك ووضعته في إصبعه؟ أو هل خلعت حذائك من قدميك وألبسته له؟ ألم أعطه مما لي، تماما كما أعطيتك؟»[١٢]

وعلى المستوى اللاهوتي، يؤكد يسوع لسامعيه من الفريسيين إن حقوقهم وامتيازاتهم أمام الله لا تنتقص أو تقل قيمتها عندما يتم الترحيب بالخطاة في ملكوت الله عن طريق عمل النعمة المكلف. هناك نعمة تكفي الجميع. ومن الواضح، أن يسوع «يجري تغييرات» في القصة القديمة. وهو يؤلف المثل لكي يضفي عليه قدرًا من الإثارة.

## ٩:١٤ المصالحة مع الأخ الأكبر (ب)

مرة أخرى نرى العديد من أوجه التشابه المميزة وأوجه الاختلاف الكبيرة. ففي قصة سفر التكوين، فإن عيسو هو الرجل المرموق في العائلة. ومع أنه قد تمت مصالحته رسميًا، إلا أن هذه المصالحة هشة (تك ٣٢: ٢٠). وعند مقابلته لأخيه، فإن عيسو يركض، ويقع على عنق يعقوب ويقبله. ولكن التقليد الرباني كان متشككًا إزاء ما تعنيه هذه القبلة.

نحن نعرف من ال Genesis Rabbah إنه عندما تأمل معلمو اليهود في مشهد التقبيل لاحظ بعضهم أن الكلمة العبرية مقابل «يقبّل» وتلك مقابل «يعض» لها نفس الحروف الساكنة.[١٣] ولذا بالاعتماد على التشكيل الذي يضيفه القارئ، يمكن أن يقرأ النص «قبله»، أو «عضة».[١٤] ويسجل ال Genesis Rabbah إن الربّي سمعان بن اليعازر (القرن الثاني أو الثالث) أشار إلى اللغة العبرية في النص بطريقة تؤكد أن النص يقول: «قبّله بكل إخلاص». ولكن. جاناي[١٥] قال:

«ولكن النص يعلم بأنه أراد أن يعضه... ولكن عنق ابينا يعقوب قد أصبحت حجرًا، وآلمت أسنان ذلك الرجل الشرير [عيسو]. [اتفاقا مع وجهة النظر بأن عيسو عض رقبته، ولكن رقب يعقوب تحولت إلى حجر.] وبكى هذا بسبب عنقه، وبكى ذاك بسبب أسنانه.»[١٦]

تجمع المدراش ربه Midrash rabbah في التعليق على نشيد الأنشاد مادة من تلمود أورشليم ومصادر يهودية مبكرة أخرى. يقول نشيد ٧: ٤ «عنقك كبرج من عاج». لقد فهم «المدراشي ربه» هذا النص بأنه يشير إلى لقاء عيسو ويعقوب ويفسر المشهد كالتالي:

«إنه يعلمنا بأنه (عيسو) لم يخرج ليقبله (يعقوب) بل ليعضه، وقد أصبحت رقبة أبيك يعقوب رخامًا وأن أسنان ذلك الرجل الشرير كانت تتحرك تدريجيًا وذابت مثل الشمع. فلماذا يقول النص «إذن إنهما بكيا»؟ لقد بكي أحدهما من أجل رقبته وبكى الآخر لأجل أسنانه».[١٧]

هذان التقليدان الربانيان الأوليان لم يريا أن الاثنين قد صولحا. وهذان التفسيران الخياليان يخبراننا كيف فهم المجتمع هذه القصة الخيالية، ولكن القصة نفسها توضح الفكرة نفسها. فأسلوب يعقوب يفضح خوفه الدائم. إنه يقول: «لأني رأيت وجهك كما يُرى وجه الله» (تك ٣٣: ١٠، إنه لا يزال خائفًا لئلا يقتله عيسو، ولذلك فهو يستخدم هذه المبالغة المفضوحة، وإن كانت تنم على التملق) . ولكن عيسو يرفض قبول الهدايا. فالرفض كان من الممكن أن يسهل ارتكاب جريمة قتل أخيه، بينما قبولها يعني أن يبدأ في التراجع عن خطة القتل. ولكن يعقوب، والذي يدرك ذلك جيدًا، يضغط على عيسو ليقبل نفس تلك الهدايا، ومرة أخرى، ينتصر على أخيه. كانت الحركة الاستراتيجية التالية لعيسو أن يعرض على يعقوب أن يسافر معه، ولكن الأخير يرفض. وإذ نتنقل بين سطور القصة، نجد أن يعقوب مازال خائفًا لئلا يكون عيسو مازال يتآمر ضده. وأخيرًا، يقترح عيسو أن يترك وراءه بعض رجاله المسلحين. ويعلم يعقوب أن عيسو يمكن بسهولة أن يصدر أوامر سرية لقواته بقتلهم جميعًا بمجرد أن يصعد كبيرهم إلى أول تل. وعندئذ سوف ينكر عيسو أي صلة له بتلك المذبحة ويزعم أن رجاله فعلوا ذلك دون إصدار الأوامر لهم.[١٨]. ولعلم يعقوب بهذه اللعبة ، فإنه يضغط على عيسو بأن يرحل مع جميع رجاله. وأخيرًا، يعد يعقوب بالقول حتى أجيء إلى سيدي إلى سعير» (تك ٣٣: ١٤). سعير في أدوم. وبمجرد أن يرحل عيسو، يتجه يعقوب إلى سكوت على الضفة الأخرى لنهر الأردن. بعد أن تخلص نهائيًا من أخيه وجيشه الخطير، يتضح أنه ليست لديه أي نية في إتباعه إلى سفير. وكما ذكرنا، فإنه في نهاية القصة يموت الأب ويفترق الأخان افتراقًا دائمًا.

في لوقا ١٥ فإن المصالحة مع الابن الأكبر تظل معلقة، منتظرة استجابته للبيان العملي لمحبة أبيه المضحية لأجله! يبدو أن يسوع غير مقتنع بختام قصة يعقوب. إنه يأمل ويعمل لأجل المزيد، مجاهدًا بقوة ليأتي بكل من الأبرار (في أعين أنفسهم) والخطاة إلى التوبة، وهو يسعى جاهدًا ليجد كلا النوعين من الضالين مع رجاء أن يقبل كل منهم العثور عليه. وتنتهي القصة نهاية غير متوقعه.

## ١٤: ١٠ الوليمة (ج)

قبل لقاء عيسو بوقت قصير، يقطع يعقوب عهدًا مع حميه، لابان. وقد تم «ختم» اتفاقهما بذبيحة ثم اشتركوا جميعًا في تناول الطعام (تك ٣١: ٥٤) قدم يعقوب الذبيحة. ولكن مصالحة «يعقوب مع عيسو لم تختم» ولم يحتفل بها بأي شكل من أشكال الولائم الرمزية.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الأب في المثل يحث الابن الأكبر (بعد حديثه الغاضب) على الدخول، والانضمام إلى الوليمة والاشتراك في «ختم» مصالحتهما، لا انفصالهما. إن الشخص الذي يقدم الدعوة (الأب) هو الشخص الذي أمر بتقديم الطعام الطقسي (العجل المسمن) وأقامه الاحتفالات. وقد تم حض الابن الأكبر على الاشتراك في الوليمة، ولابد من اتخاذ القرار من جانبه. فإما أن يقبل أو يرفض الاشتراك.

وبالإجمال، فإن قصة يعقوب تخبرنا عن ذبيحة "تختم" الانفصال ويأخذ يسوع هذا العنصر الدرامي من القصة ويشكل منه الاحتفال بمشهد الوليمة التي يقصد منها أن تنشئ المصالحة «وتختمها».

وكما ذكرنا من قبل، فإن مائدة الشركة مع يسوع موضوع هام يتخلل كل أنحاء إنجيل لوقا. إنها جزء لا يتجزأ من خدمة يسوع وجانب هام من فهم لوقا لتلك الخدمة. يمكننا أن نسمع بوضوح نغمات الفكر اللاهوتي للعشاء الرباني (الأفخارستيا) من خلال قراءته.

## ١٤: ١١ الفرح (ج)

يرجع يعقوب إلى البيت ويلتقي بعيسو. وعند اللقاء، عيسو يقبل يعقوب، ويبكي كلاهما، وفي الحال تقريبا يفترقان، ولا يصطلحان مصالحة جادة أبدًا. ليس هناك ما يدل على أي شكل من أشكال الفرح في قصة عودة يعقوب، ولا حتى في مناسبة اللقاء الختامي ليعقوب مع أبيه ، إسحاق في ممرا (تك٣٥: ٢٧).

ولكن في كل الأمثلة الثلاثة، نجد أن نغمة الفرح للعثور على الأشياء المفقودة والضالة «عالية وواضحة». ويظهر هذا الموضوع كالتالي:

- يمسك الراعي الصالح بالخروف الضال بفرح.
- يبتهج الراعي مع أصدقائه في احتفال.
- السماء تفرح للعثور على الضال.

- تفرح المرأة مع صديقاتها.
- تفرح السماء مرة أخرى للعثور على الضال.
- يأمر الأب بإقامة وليمة حيث يستطيع الجميع أن يفرحوا.
- يبدأ الجميع يفرحون.
- يدافع الأب عن فرحة وهو يحث الابن الأكبر على الاشتراك في الوليمة.

من الواضح، أن هذا الموضوع عنصر جديد في غاية الأهمية أدخله يسوع في قصته الجديدة، والمبنية على القصة القديمة. ينطلق الفرح من الشخص الذي يدفع الثمن للعثور على الضال ويغمر الشخص الذي يقبل العثور عليه. ونفس هذا الفرح يتردد صداه في السماء أمام ملائكة الله.

## ١٤ : ٢ تحول الرمز من الأب إلى الرمز ليسوع (ج)

كما ذكرنا من قبل، فإن إسحاق في قصة يعقوب أب شرقي غير كفؤ وليس أكثر من ذلك وفي المثل، فإن الأب رمز لله، ولكن في نهاية القصة يتحول هذا الرمز بهدوء إلى رمز ليسوع. ويتضح هذا التحول من النص نفسه. يتذمر الفريسيون قائلين «هذا الرجل يقبل خطاة ويأكل معهم» (لو ١٥:٢). ويرد يسوع وكأنه يقول لهم:

«إن الأمور أردأ مما تتصورون. فأنا لا آكل مع الخطاة فقط، بل أجري في الطريق، وأمطرهم بالقبلات وأخذ بهم حتى يمكنني أن آكل معهم. دعني أقول لكم مثلاً من ثلاث فقرات لأوضح كيف يكون ذلك.»

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الغلام في الفناء الخارجي، عند الحديث مع الابن الأكبر، يؤكد هذا التطابق بين دور الأب ودور يسوع. فهو يقول: «أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله [بسلام]» الكلمة الرئيسية هنا هي «قبله». فالأب قبل الخاطئ/ الضال وهو يخطط للجلوس والأكل معه. وكما ذكرنا، فإن هذا بالضبط ما اتهم الفريسيون يسوع بعمله. ولذلك، فمن النص نفسه، يتضح أنه عند هذه النقطة في القصة، يتحول الأب بهدوء إلى رمز ليسوع. في القرن التاسع الميلادي، لاحظ موسى باركيفا في الموصل شمال العراق هذا التحول.[١٩] وذكر أيضًا أن المرأة هي كلمة الله التي صارت جسدًا «وبحثت عن الخطاة الذين أضلتهم الخطية" وفيما بعد يدمج باركيفا محبة الله للخطاة بأعمال يسوع للوصول إليهم. وهو يكتب فيقول:

«لقد نشأ المسيح هذه [الثلاثة] أمثال والتي استطاع [يسوع] من خلالها أن يظهر محبة أبيه للجنس البشرى وعنايته بالناس والاهتمام بهم».[٢٠]

وفي القرن الحادي عشر، التقط ابن الطيب من بغداد فكرة باركيفا وأضاف عليها وهو يركز على ما قام به الأب. ففيما يتعلق بقبلة الأب، يكتب ابن الطيب فيقول:

«نتعلم من هذا العمل مقدار الفرح الذي يشعر به يسوع عند توبة الخاطئ... ونرى في هذا التعبير أيضا علامة على إرسال الله لكلمته من السماء إلى هذا العالم لفداء الجنس البشرى.»[٢١]

وفي القرن الثاني عشر توصل يواقيم إرمياس من ألمانيا إلى نفس هذا الاستنتاج لوحده عندما كتب قائلاً:

«يدافع يسوع عن سلوكه الثوري بقوله في المثل إن محبة الله للخاطئ العائد لا تعرف حدودًا. وما أفعله أنا يمثل طبيعة الله ومشيئته». وهكذا فإن يسوع يقول إنه بأفعاله فإن محبة الله للخاطئ التائب تصبح ذات فاعلية... إن يسوع ينادي بأنه يقوم مقام الله، أي أنه يمثل الله».[٢٢]

في ثلاث مرات في لوقا١٥ تتحول الرموز عن الله بهدوء إلى رموز عن يسوع. وهذا التحول في غاية الأهمية. في قصة يعقوب نجد أن الأب شخص ذو هيبة ولكنه غير قادر على جمع شمل عائلته. وفي نهاية القصة نادرًا ما يظهر ويختفي بسرعة. والأب في المثل ، عندما يتحول إلى رمز ليسوع، يقدم للسامع/ القارئ واحد من أسمى تأكيدات العهد الجديد فيما يتعلق بشخص يسوع. [٢٣]

## ١٤: ١٣ الابنان والسامعون / القراء المقصود توجيه الرسالة إليهم(ج)

عندما يقدم لوقا الأمثلة الثلاثة عن الراعي الصالح، والمرأة الصالحة والأب الصالح فإنها تتحدث جميعها عن أولئك الذين يحفظون الناموس وبالتالي فإنهم أبرار في أعين أنفسهم وأولئك الذين لا يحفظونه ويدعون خطاة. ومن الطبيعي أن ينشأ التوتر في أي مجتمع بين هذين النوعين الأساسيين من البشر، وقد كان ذلك التوتر معروفًا في وقت يسوع.

لقد رأينا من قبل أن الحبريم (haberim) (الأصحاب) والـ آم ها-اريتس (am ha- arets) (شعب الأرض) كانوا يتعايشون معًا في العقيدة اليهودية في مدة الهيكل الثاني. كان الأولون هم العلماء الحافظون للناموس، والآخرون هم الذين لا يحفظون الناموس من عامة الشعب. ويتضمن التلمود البابلي مناقشة مطولة عن التوتر الذي كان قائمًا بين عامة الناس والعلماء.

كتب Pesahim بحثًا في التلمود البابلي يقول فيه:

قال الرّبي حيا Hiyya :... إن الكراهية الكائنة في قلب عامة الشعب (amm ha arez) تجاه العلماء الدارسين أعظم من كراهية الوثنيين لإسرائيل، وزوجاتهم [يضمرن كراهية] أعظم مما يضمرونها هم."[٢٤]

ولكن الشعور بالكراهية كان متبادلاً. إن نفس القسم يقول أيضًا:

قال أحبارنا: «هناك ستة أشياء تقال عن عامة الشعب: نحن لا نشهد لصالحهم، ولا نقبل شهادة منهم، ولا نفضي إليهم بسر من أسرارنا، ولا نُعيّنهم كأوصياء على أيتام، ولا نختارهم كوكلاء على الأموال الخيرية، ولا يصح أن نصطحبهم في الطريق».[٢٥]

وقبل يسوع بجيل قال المعلم العظيم هليل: «الرجل الوحشي لا يخشى الخطية والإنسان الجاهل [من عامة الشعب: am ha-arets] لا يمكن أن يكون قديسًا».[٢٦]

إن مثل هذه العداوة بين المتعلمين وغير المتعلمين يمكن أن توجد في معظم المجتمعات، ولكن يسوع يعطى لهذا التوتر القائم فيما بينهما معنى خاصًا.

إن الكتبة والفريسيين الذين جاءوا إلى يسوع اعتبروا أنفسهم على قدم المساواة مع يعقوب (كما كان يفعل كل إسرائيل). إن يعقوب، الابن الأصغر، كان إسرائيل في التقليد المقدس، وعيسو، الابن الأكبر، أصبح أدوم، عدوًا لإسرائيل. ويسري هذا التعريف في كل أجزاء العهد القديم وفي كل الأدب الرباني للعقيدة اليهودية. وفي ضوء ذلك، يحدث انقلاب مذهل وجرئ للأوضاع في المثل.

في لوقا ١٥ فإن الخروف الضال، والدرهم المفقود والابن الضال رمز للخطاة الذين يقبلهم يسوع ويأكل معهم. وفي نفس الوقت، «ففي ثلاثية يسوع، فإن الـ ٩٩ خروفًا، والتسعة دراهم، والابن الأكبر رمز لجمهور الفريسيين «الذين [يعتقدون] إنهم لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥: ٧). أن هذا الجزء لا ينطوي نسبيًا على نوع من التهديد ولكن إذا كان يسوع يعيد سرد قصة يعقوب، ففي تلك القصة فإن الابن الأكبر هو عيسو (أي أدوم). ويتبع ذلك أن الجمهور الذي يستمع ليسوع، إذا رفض الخطاة، يصبح عيسو بالتالي أدوم. وتباعًا، فنفس الخطاة التائبين، الذين يرفضهم الفريسيون، يصبحون يعقوب/ إسرائيل. وبطريقة أخرى، فإذا كان الابن الضال (بعد أن صولح مع ابيه) هو يعقوب المولود ثانية (أي إسرائيل)، إذن فالابن الأكبر (إذا رفض أخاه) يصبح عيسو، الذي ينفصل في نهاية المطاف انفصالاً دائمًا عن أخيه الأصغر.

كل ذلك بداخل العائلة الواحدة. فنحن مازلنا نتحدث عن حافظي الناموس (الفريسيين) والذين لا يحفظون الناموس (الخطاة). إلا أنه، في قصة يسوع، فإن يعقوب (الإنسان الطيب في نظر الجمهور) تعاد الكتابة عنه بشكل جديد ويظهر كالابن الضال (الإنسان الشرير)، في قصة يسوع الجديدة يمثل الابن الأكبر إنسانًا شريرًا ثانيًا، ويحطم كل من الابنين علاقتهما مع أبيهما، والفريسيون، الذين كانوا دائما ينظرون إلى أنفسهم كيعقوب، يجدون أنفسهم فجأة في المثل ممثلين في شخص الابن الأكبر، الذي، إذا رفض أخاه، يصبح عيسو.

في قصة يعقوب، فإن لحظة عودة يعقوب تعد لحظة هامة لأنه في تلك اللحظة أنهى عيسو ويعقوب الانفصال الذي كان بينهما. إن يسوع يحاول أن يجمع شمل العائلة. فهناك دعوة متميزة مقدمة لكل من الابن الضال (الخطاة) والأبرار (الفريسيون والكتبة) للاشتراك في الوليمة. هذه العلاقة الرمزية بين القصتين توضح السبب الذي يجعل الأب في المثل يبذل جهدًا كبيرًا وهو «يطلب إلى» الابن الأكبر أي يناشده لكي يتصالح مع أخيه الأصغر. فيسوع لا يريد للعزلة التي كانت قائمة بين يعقوب وعيسو أن تتكرر.

وعلى النقيض من ذلك، فإنه يتوق لعائلة واحدة تفرح وتبتهج معًا على مائدة واحدة. إن هذه الدراما والاشتياق المصاحب لها قد تكرر كثيرًا حيثما أصبح المثل جزءً من هوية المجتمع المؤمن.

وفي نفس الوقت، فإن الصورة في المثل عن الابن الأكبر الذي يعكس شخصية عيسو تحتوي بداخلها على رسالة عن النعمة المقدمة. ففي المثل، يناشد الأب الابن الأكبر بألا يتبع مثال عيسو وينسحب إلى مكان قصي مع أصدقائه (سعير؟) والمحتمل بأن يكون عيسو الجديد (الفريسيون) ليس بحاجة أن يبقى خارج قاعة الوليمة، فالآن إذن يمكن لكل من الخطاة الضالين الأبرار (في أعين نواتهم) والخطاة الضالين غير الأبرار أن يقبلوا العثور عليهم وأن يشتركوا مع المضيف في نفس الوليمة. وينتهي الاغتراب حقًا (النفور والجفوة) عندما يدخل كلا الأخين إلى قاعة الوليمة ويفرحان مع أبيهما.

## ١٤ : ١٤ الأمم (ج)

بعد عودته، وقبل رؤية أبيه، احتك يعقوب بعائلة أممية هي عائلة حمور وشكيم وكان ابن لهذه العائلة قد اغتصب ابنه يعقوب وهي دينة. وقُدمت وعود معسولة ليعقوب، ولكنها كانت مشوبة بإشارات عن السرقة من وراء ظهره. وعن طريق حيلة ماكرة، تمكن أخا دينة من نفس الأم، شمعون ولاوي، من قتل المغتصب،

وأبيه وكل الذكور في المدينة. وتحول المشهد بسرعة إلى عمليات من السلب والنهب (تك ٣٤: ١-٣١).

إن صورة الأمم نراها في المثل أقل فظاظة. فالابن الضال يذهب إلى السبي وسط الأمم. ويهوى إلى مرتبة رعي الخنازير عند مواطن في تلك "الكورة البعيدة". ولكن ليس هناك عنف ولا ينتقد هذا المواطن لإرساله ابن عائلة تبدو ثرية لكي يرعى الخنازير دون أن يعطيه أجرًا. لا يتجه الابن الضال إلى العنف بسبب هذه المعاملة الظالمة، ولا يذكر شيء آخر عن أي أممي. ولكن هل من الممكن لخيال القارئ أن يذهب خطوة أبعد من ذلك؟ عند العودة إلى البيت، فإن الولد المهلهل الثياب، والنجس بسبب احتكاكه بالأمم وخنازيرهم، يفاجأ بترحيب حار ينتظره وهو في هذه الحالة الدنسة. إن مثل هذه الحقيقة تثير على الأقل مسألة حالة أصحاب الخنازير في عقل الأب المضحي بذاته. هل هناك ترحيب ينتظرهم أيضًا؟ ليس هناك ذكر لذلك. ولكن هذا السؤال يثار بكيفية ما، ويترك معلقًا دون إجابة. في قصة يعقوب، بعد موضوع الاغتصاب وجريمة الثأر، فالمزيد من العلاقات بين العائلتين تعد مستحيلة، على الأقل لمدة طويلة. ولكن في المثل، فإن الباب لمزيد من العلاقات بين المجتمعين يظل مفتوحًا بطريقة ما.[٢٧]

## ١٤: ١٥ هل توجد خاتمة أم لا؟ (ج)

لقصة يعقوب خاتمة، فالقصة تنتهي، ولو بانهيار العائلة النهائي. فالأب (إسحاق) يموت ويدفن من قبل عيسو ويعقوب،الذين ينفصلان انفصالاً دائمًا كل عن الآخر يقول تكوين ٣٦: ٨ «عيسو هو أدوم» لقد كان هذا البد محتقرًا لدرجة أن أدوم صار رمزًا في الأدب الرباني لروما.

وعلى خلاف مثل الخروف الضال، فقصة الأب الحنون وابناه الضالان لا تنتهي، أنها تتوقف فقط. في المشهد الأخير يقف الممثلون الرئيسيون كلهم على خشبة المسرح، والمصالحة البهيجة بين ثلاثتهم لا تزال احتمالاً يمكن حدوثه. إن حقيقة مجيء «الخطاة التائبين»، و«الأبرار» ويسوع جميعهم إلى الوليمة البهيجة المعدة بثمن باهظ من قبل الأب/ يسوع شيء يمكن حدوثه ويحدث في ثقافات وبيئات لا حصر لها.

## ١٤: ١٦ هوية المجتمع الذي يتذكر القصة أو المثل (أ)

بالانتقال إلى ما وراء النص إلى سامعيه/ قرائه، فكل قصة ذات أهمية بالنسبة لهوية المجتمع الذي يتذكرها ويرددها. إن مجتمع العهد القديم استمد اسمه، إسرائيل، ٥ن قصة يعقوب. وبالنسبة للأنبياء والمعلمين، فقد ساعد يعقوب وقصته على تكوين فهم المجتمع لذاته. والكلمتان يعقوب وإسرائيل

تحل كل منهما محل الأخرى، كما ذكرنا من قبل في إشعياء ٤٩: ٥-٦. إن عبارة «بيت يعقوب» تظهر مرارًا وتكرارًا كلقب لجماعة الإيمان ككل. وإن تذكر الاسم يعد تذكرًا للقصة. إن إسرائيل لا يتذكر فقط تسلسله العنصري من هذا الجد. ولو لم يكن الحال هكذا، لكان من الممكن أن يكون النص هكذا "بيت إبراهيم" أو «بيت إسحاق». فبتذكر عبارة "بيت يعقوب"، يؤكد المجتمع أن قصة يعقوب هي قصته.

ومع أنه من الضروري أن نذهب إلى ما وراء مدة العهد الجديد لفهم المثل، إلا أن قصة الأب مع ابنيه الضالين ظلت لعدة قرون تدعى «الإنجيل بداخل الإنجيل» (Erangelium in Erangelio). فإن هذا المثل جنبًا إلى جنب مع النص الشهير الوارد في يوحنا ٣: ١٦ كان ينظر إليه كموجز لرسالة يسوع التي يمكن للمجتمع الذي يحمل اسمه أن يكتشف هويته من خلالها. إن فهم المثل كقصة جديدة مصاغة على منوال قصة يعقوب ربما يمكن أن يساعد في إلقاء الضوء على يسوع كلاهوتي ويكشف الجوانب المحورية في فكرة اللاهوتي.

تنتهي بذلك أوجه المقارنة بين هاتين القصتين العظيمتين. وعند هذه النقطة في النقاش يبدو مناسبًا أن نتفاعل مع التفسير اللماح. الذي يقدمه ن.ت رايت Wright لمثل الابن الضال. ونحن نتجه الآن لتلك المهمة.

# هوامش الفصل الرابع عشر

1. The Greek word pais can mean "young boy." This translation, universal in Middle Eastern versions, is in harmony with the culture and with the story. Servants are in the house busy with the banquet. Young boys are gathered outside playing among themeselves.

2. Hygiainō translates the Hebrew word *shalom* in the Greek Old Testament. It can be translated "Peace" as we have seen above.

3. *Teknon* (son) carries the meaning of "beloved son."

4. P. Perkins, *Hearing the Parables of Jesus*, p. 55.

5. K. E. Bailey, *Finding*, p. 182.

6. The Parable of the laborers in the vineyard in Matthew 20: 1-15 deals with the same topic. The laborers who toiled all day are upset at the grace given to those who came late in the day. The householder then sharply criticizes the angry laborers, pointing out that he has treated them *justly* and that his grace to others is none of their business!

7. THe *Genesis Rabbah* consistently attacks Esau, but it grants that he had one point of merit: he honored his father. The same text claims that "Jacob carried out the whole of the Torah" ((cf. *Genesis Rabbah*, trans. J. Neusner, 3: 176).

8. The *Genesis Rabbah* refers to these four hundred men as "armed warriors" (cf. *Genesis Rabbah*, trans. J. Neusner, 3: 105). Josephus also assumes that they are armed. He mentions Jacob's fear of the likelihood of armed conflict (*Antiquity of the Jews* 1.19.3 {335}).

9. K. E. Bailey, *Finding*, p. 179.

10. Therer is a story from fifth-century Yemen that is built on a father's declaration that he must kill his son after the son insults the father at a public banquet. In the story the guests

grant the father's right to do so but prevent him from exercising that right (cf. K. E. Bailey, *Poet*, pp. 195-96).

11. Abraham offers "a calf, tender and good" to his angelic visitors (Gen 18: 7).

12. Musa bar Kepha, *Luke*, trans. A. M. Saadi, fol. 80b.

13. In Hebrew as in Arabic the consonants are weitten, and the reader is expected to supply the vowels.

14. J. Neusner comments, "The words for bite and kiss share consonanats in common," in *Genesis Robbah*, 2: 129.

15. More than one rabbi had this name. The first is a Tanna (first to second century) and the second is a Palestine Amora (second to third century). It is impossible to determine which one is here quoted.

16. *Genesis Rabbah*, trans. J. Neusner, 2: 129-30.

17. *Midrash Rabbah, Song of Songs* 3.5.1, 3d. Freedman and Simon, 9: 284-85.

18. A. Well-known Middle Eastern proverb says, "When the wolf came, the sheep dog went behind a bush to erlieve himself." The point is: If you are out of sight, no one can blame you for what you did not witness, Never mind the details. Herod the Great married into a powerful prominent Jewish family. His wife's brother was popular and good looking. Herod felt threatened. The brother-in-law "drowned" in the palace pool at a party. Such a shame! Herod was not there.

19. Musa bar Kepha, *Luke*, trans, A. M. Saadi, fol. 77b.

20. Musa bar Kepha, *Luke*, trans, A. M. Saadi, fol. 77b (emphasis added).

21. Ibn al-Tayyib, *Tafsir*, 2: 272 (auther's translation).

22. J. Jeremias, *Parables*, p. 132 (emphasis original).

23. In Colossians 1: 15 Paul writes concerning Jesus, "He is the image of the invisible God." This language is in harmony with the symbolism of the parable befor us.

24. Babylonian Talmud, Pesahim 49b.

25. Babylonian Talmud, Pesahim 49b.

26 Mishnah, *Avot* 2: 6, trans. Danby, p. 448.

27. As noted, *Jubilees* allows for no such contact between Jews and Gentiles (*Jubilees* 22: 16-22; 29: 13).

## الفصل الخامس عشر

# راقصان في حلبة رقص واحدة

## تأملات في تفسير ن.ت رايت لمثل الابن الضال

في كتابه الخالد. «يسوع والانتصار الإلهي»، يناقش ن. ت رايت N.T Wright مثل الابن الضال بطريقة ملهمة وباعثة على التفكير.[١] وبسبب اتساع مجال ما كتبه، فمن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن نتفاعل مع الأصداء اللاهوتية العديدة التي تتردد على مستويات عديدة من واقع تأملاته. ومع ذلك، فالقليل من الملاحظات الوجيزة قد يكون مفيدًا لمناقشات دائمة أوسع مجالاً.

إن فكرة رايت الأساسية، فيما يتعلق بمثل الابن الضال، هو أنها قصة عن «السبي والعودة»، قصد بها، نسف القراءة المعتادة للتاريخ اليهودي في القرن الأول للميلاد وإحلال قراءة مختلفة بدلًا منها.[٢] إن تاريخ إسرائيل في كل من الخروج والسبي كان عبارة عن قصة عن «*السبي والعودة*»، والابن الضال رمز لنفس *تلك الحركة* الكلاسيكية. يقول رايت، «إنه في المثل، فإن السبي الحقيقي والعودة يحدث في أثناء خدمة يسوع *ذاتها*». وإني أتخيل أن رايت وأنا نصعد (ونصف) نفس الجبل ولكن من جوانب مختلفة.

إن دعوة رايت «*لمعيار من التشابه المزدوج*» يجب أن تؤخذ بمنتهى الجدية، أنه يقول بأنه عندما يكون فهم نصوص الإنجيل متلائمًا مع عالم الديانة اليهودية في القرن الأول للميلاد وفي نفس الوقت يؤدي دوره «بطريقة جديرة بالثقة كنقطة البداية المتضمنة (*على الرغم* أنها قد لا تكون صورة طبق الأصل منها) لما حدث في وقت لاحق في المسيحية، فإن هناك احتمالاً قويًا بأننا على دراية بتاريخ يسوع الحقيقي».[٣]

وكما بينا في المقدمة، فإن اهتمام هذا الكتاب منصب على الفكر اللاهوتي ليسوع في الإطار اليهودي الذي كان يعيش فيه في القرن الأول للميلاد. إن نقطة البداية اليسوعية هذه من الواضح والثابت أنها أساس المسيحية الأولى.[٤] لا أحد قد خلص تمامًا بالنعمة (رسالة الرسالة إلى أهل رومية) أكثر من الابن الضال. ولكن اللاهوت المسيحي المتطور للرسائل ومؤرخي الأناجيل واللاهوتيين أبعد من متناول هذا البحث. ومع ذلك، ففي إطار حدود هذا البحث، يكون من المناسب أن تسأل سؤالين

مترابطين: (أ) ما الذي يقوله يسوع في هذا المثل لأفراد وجماعات المستمعين وهو يجيب على شكوى الفريسيين: هذا الرجل يقبل خطاه ويأكل معهم؟» (ب) هل يتحدث يسوع أيضًا إلى إسرائيل ككل وهو يؤلف هذا المثل، وإن كان الأمر كذلك، فما الذي يقوله للأمة؟

من خلال هذا الكتاب حاولت الإجابة بالتفصيل على السؤال الأول من هذين السؤالين. على مستوى الخطاة الذين يحفظون الناموس والخطاة الذين لا يحفظون الناموس، يقدم يسوع وجهتي نظر:

- الابن الضال (في الكورة البعيدة) يقول: «سوف أعمل وأدفع الثمن - وبذلك يمكن تصويب كل شيء».
- الابن الأكبر يقول: «لقد عملت وأطعت، وكل شيء على ما يرام طالما حافظت على مثلي العليا».

كلاهما على خطأ، وكلاهما ضالان وفي حالة من «السبي». يجب على الأب أن يدفع ثمنًا باهظًا لاسترداد كل واحد من ابنيه. ينطبق هذا على المستوى الشخصي وعلى مستوى الجماعات العديدة المحيطة بيسوع، مثل الكتبة، والفريسيين و «شعب الأرض» (عامة الناس) ومع ذلك فالمثل أيضًا له تطبيق أوسع وهو يصور أزمة الأمة، كما أوضح رايت باقتدار.

ولكن إسرائيل ليست مجرد الابن الضال العائد إلى البيت من السبي. إسرائيل تضم ابنين، وكل منهما يبدأ «من الحقل»، وكل يتحرك صوب البيت، وكل يحطم العلاقة مع الأب على مستوى عميق جدًا. ويعاني الأب لمصالحة كل واحد. وكلاهما يجب أن يقبلا العثور عليهما، لأنه حينئذ فقط يمكن تحقيق العودة الحقيقية من السبي. واغترابهما ليس عن الأرض بل عن قلب أبيهما. مازال الابن الضال مغتربًا على مشارف القرية بينما الابن الأكبر مغترب في الفناء الخارجي للدار وعودة الابن الضال «من الحقل» مع الخنازير لا تعني شيئًا، إذا كان مصرًا وهو على مشارف القرية، أن يصبح أجيرًا وبذلك يرفض العثور عليه والانتقال من الموت إلى الحياة. وبالمثل، فإن عودة الابن الأكبر «من الحقل» لا تعني شيئًا إذا رفض قبول محبة أبيه وواصل «سبيه» (غربته) في الفناء الخارجي لبيت العائلة.

وكما ذكرنا، فإن يسوع لا يخاطب الأفراد والجماعات فقط بداخل المجتمع، مثل الفريسيين، بل الأمة كلها، وكل من قصة يعقوب ومثل الأب الحنون يتعاملان مع عائلة. إن تكوين ٢٧ : ١-٣٦ : ٨ يركز على أب وابنين، كما يفعل المثل. وكل نص مهتم اهتمامًا كبيرًا بالعائلة كلها. ولذلك فموضوع معزي مثل يسوع بالنسبة للأمة يتطلب بحثًا.

يفحص رايت أهمية المثل للأمة. إنه يرى أن هذه القصة تنطبق على كل من الخروج (الغربة في مصر

والعودة من مصر) وعلى السبي (سبي بابل والعودة من ذلك السبي) ويكتب قائلًا:

«الخروج نفسه يمثل الخلفية البعيدة، فإسرائيل يرحل إلى بلد وثني، ويصبح عبدًا، ثم يعود إلى أرضه. ولكن السبي ورد السبي هو الموضوع الرئيسي. هذا ما يركز عليه المثل».[٥] إني أسلم بالفعل بأن السبي والعودة هو الموضوع الرئيسي لمثل الابنين الضالين. ولكن أي محاولة لإيجاد تشابه زائد عن الحد (أو مجموعة من التشابهات) بين الخروج، والسبي والمثل تخلق مشكلات في التفسير. لقد رحل يعقوب وعائلته إلى مصر بسبب مجاعة، أنهم لم يتركوا وطنهم تحت ضغط خطية متعلقة بتوتر وطموحات داخل العائلة، كما فعل الابن الضال ويعقوب. ولم يدفعهم الله للسبي بسبب عبادتهم للأصنام.

هناك رابطة وثيقة أكثر مما ينبغي بين المثل وتفاصيل الخروج تعمل على زيادة تعقيد التفسير الكلي للمثل. ويقترح رايت بأن الابن الأكبر (الذي يعارض قبول الابن الضال في البيت) يمكن تشبيهه بفرعون (الذي يحاول أن يمنع إسرائيل من العودة إلى الوطن)[٦]. ولكن الابن الأكبر لم يحاول أن يمنع الابن الضال عن ترك الكورة البعيدة كما حاول فرعون أن يفعل مع إسرائيل. فمثل هذا الدور كان يمكن أن يلعبه بسهولة ذلك المواطن في الكورة البعيدة الذي استأجر الابن الضال لإطعام خنازيره. كان يمكن لهذا المواطن أن يظهر على المسرح ويبذل كل ما في وسعه لمنع الابن الضال من العودة إلى البيت. فمن المعقول أن مثل هذا المواطن لا يرغب أن يفقد راعيًا للخنازير لا يضطر لدفع أجر له، ولكن على خلاف فرعون، فإن هذا المواطن لا يعارض عودة الابن الضال. وفي حقيقة الأمر فلا أحد يحاول أن يمنعه عن العودة. إن محاولة إيجاد أوجه تشابه لصيغة بين الخروج والسبي تجلب تعقيدات أخرى. ومن بينها ما يأتي.

أ- **هناك مشكلة متعلقة بالسبي في بابل،** حيث يتشابه الابن الأكبر، في رأي رايت، مع السامريين.[٧] فالسامريون يعارضون اليهود العائدين. وليس هناك جماعة ترحب بعودة اليهود. وعلى النقيض من ذلك، فالابن الأكبر يعترض على الأب وأفعاله. يعرف القارئ أن الابن الأكبر لا يحب أخاه، ولكن غضب الابن الأكبر مسلط على ترحيب الأب، وليس على حقيقة عودة الابن الضال.

ب- **يقول رايت إن الابن الضال قد «أُسترجع» مثل إسرائيل من مصر.** وهذه أيضًا مشكلة أخرى. في الواقع، إن التقليد يؤكد أن إسرائيل قد «استرجع» من قبل الله، ولكن لا توجد أدنى إشارة مشابهة لذلك في قصة الابن الضال. فالابن الضال لم يسترجع، ولم يساعده أحد على العودة من الكورة البعيدة، سواء من قبل والده أو من قبل أي شخص آخر.

ج- **حقيقة توبة الابن الضال في الكورة البعيدة تشكل مشكلة أخرى.** يقول رايت: «لذلك عندما تعود إسرائيل إلى وعيها، وتعود بكل قلبها، يكون هناك ترحيب مدهش ووافر بلا حدود في انتظارها.»[8] وفي هذا افتراض بأن عبارة «رجع إلى نفسه» (لو ١٥: ١٧)، المستخدمة لوصف الابن الضال في الكورة البعيدة، تعبر عن التوبة الحقيقية التي علمها يسوع. وكما ذكرت باستفاضة في هذه الدراسة، إنه إذا كان الحال هكذا، يكون مثلا الخروف الضال والدرهم المفقود تعبيرين زائفين عن آراء يسوع. ففي كلتا هاتين القصتين يجب على الشخصية الرئيسية أن تعمل بجد لاسترجاع ما فقد. فالضال في هذين المثلين لا يرجع إلى البيت من ذاته.

هل القصة الثالثة (مثل الابن الضال) تتعارض مع المثلين السابقين لها مباشرة؟ لا. بالتأكيد. ففي حقيقة الأمر، فمثل الابن الضال يقدم وجهتي نظر عن التوبة. الأولى هي وجهة نظر السامعين عن التوبة، والذي يبين يسوع أنها غير حقيقية. والثانية هو وجهة النظر الجديدة الحقيقية التي يقدمها يسوع. إن وجهة نظر السامعين يعلنها الابن الضال في الكورة البعيدة، والذي يقول في الواقع:

«سوف أحل مشكلتي الخاصة. سوف أعتذر، وأتدرب على وظيفة معينة، وأصبح حرفيًا ماهرًا، وأكسب مالاً وأرد ما أضعته من أموال. إن مشكلتي الوحيدة هي افتقادي للسيولة النقدية والحقيقة المترتبة على ذلك وهي أني أهلك جوعًا».

إن وجهة النظر الثانية عن التوبة تقدم عند مشارف القرية، حيث يتعرض الابن الضال لسيل جارف من المحبة العملية غير المتوقعة، والذي يدرك أخيرًا أن المال ليس هو المشكلة الحقيقية. فعندما يرى أباه وهو يتألم لأجله، فإنه يكتشف فجأة أنه قد حطم علاقة يجب استعادتها. إنه «يقبل العثور عليه» عن طريق المحبة المكلفة، وينفتح على عالم جديد يمكن أن يوصف بحق بلفظ مثل القيامة. وهذه القيامة لا تحدث في الكورة البعيدة. إنها تحدث على مشارف القرية عندما يقبل النعمة المتفاضلة المقدمة له من قبل أبيه. عندما وصل إلى مشارف القرية، كان الابن الضال لا يزال في السبي!

أعادت «اليوبيلات» (Jubilees) كتابة قصة يعقوب، كما فعل يوسيفوس. وقد علق معلمو اليهود على النص بحذافيره. واختار فيلون فلسفية النص. ويكتب يسوع قصة جديدة، ولكن تلك القصة الجديدة تعيد استخدام ومراجعة وقلب أوضاع العناصر الأساسية في القصة القديمة. وفيما يتعلق «بالسبي والعودة» فإني أعتقد أن رايت على صواب في ملاحظة أن مثل يسوع ذو صلة بالحركة الكلاسيكية. وربما يكون من المفيد أن نتبين أربع رحلات بارزة عن السبي والعودة، ولكل منها عناصرها الفريدة.

وهي:

- تغرب يعقوب بدافع الخوف إلى حاران وعاد إلى سكوت.
- هاجرت عائلة يعقوب إلى مصر بسبب المجاعة، وبعد قرون لاحقة، وبمعونة الرب، عادت في وقت الخروج.
- إسرائيل يطرد من قبل الله إلى السبي في بابل، ويعود فريق منه أثناء حكم كورش.
- يسرد يسوع قصة جديدة عن السبي والعودة، والذين حوله يسمعون قصته كإضافة فريدة إلى هذه السلسلة، وهي إضافة قد صيغت على نمط قصة يعقوب. وهم يفهمون أيضًا هذه القصة الجديدة باعتبارها تحوي وصفًا لشخصه ورسالته.

ومن الطبيعي أن يكون «للإضافة الفريدة» لون جديد وتطور غير متوقع. ويؤكد رايت بصدق أن «العودة الجديدة من السبي... تحدث بطريقة متناقضة ظاهريًا إلى أبعد الحدود، من خلال خدمة يسوع.»[٩]

ومن الواضح أنه بالنسبة ليسوع فإن مشكلة الأمة ليست ببساطة موضوع «امتيازات» لم تتحقق فيما يتعلق بالوعود التي وعد بها الأنبياء الشعب عند العودة من السبي. ولكن في حقيقة الأمر فإن يسوع يرى أن الأسينيين، والفريسيين، والكتبة والغيورين في جانب واحد يأخذون الناموس مأخذ الجدية الكاملة، وهو يرى أيضًا شعب «شعب الأرض» الذين كانوا مهملين في حفظ الناموس ولذلك كانوا محتقرين، على الجانب الأخر. كلا الفريقين كانوا يزعمون أن وجودهم الجسدي في الأرض دليل على أنهم قد عادوا بالفعل من السبي. ولكن رؤية يسوع "للسبي والعودة" كانت تؤرقهم وتتوعدهم:

«كلاكما مازال في السبي! كلاكما خاطئ! كلاكما يعيش دون مصالحة مع الله! إن الحضور الإلهي معكم فيّ، وأنا في وسطكم أدعوكم للمصالحة معه. إني شغوف بالترحيب بكم والأكل مع كلا النوعين من الخطاة. سوف آكل مع سمعان الفريسي وأدافع في مواجهته عن امرأة خاطئة أصلحت أخطاءه. وسوف آكل أيضا مع متى العشار وأصحابه. وأنا معكم في شخص صاحب الأرض الذي يدفع لكل العمال الأجر بغض النظر عن ساعات العمل التي يعملونها. عندما تقبلوا العثور عليكم من قبل محبتي الثمينة، تكونون قد استرجعتم بالحق من سبيكم الحقيقي، ويكون الضال قد وجد والميت عاد إلى الحياة عندما تصالحون مع الله.» وكما يقول رايت بأسلوب بليغ:

«بسرد هذه القصة، فإنه [يسوع] يشرح ويدافع عن ممارسته للأكل مع الخطاة، فإن تناوله للطعام

علانية معهم، في الحياة اليومية، معادل للوليمة المقامة ابتهاجًا برجوع الضال إلى بيت الأب في القصة. إنها بمثابة احتفال بالعودة من السبي، وبالإضافة إلى ذلك، فإن يسوع ينادي، بأنه عندما يفعل كل ذلك، فإن إله إسرائيل هو الذي يعمل، مرحبًا بالخطاة بغض النظر عن اجتيازهم لكل اختبارات العضوية المعتادة، طالما أنهم يقبلون ترحيب يسوع بهم».(١٠)

وأني أقترح تعديلًا واحدًا فقط على هذا البيان. ربما يستحسن وصف الوليمة في المثل بأنها احتفال «بالعودة من السبي». هذه «العودة من السبي» تحدث عند مشارف القرية وينجزها الأب (كما يوضح الأب والغلام في المثل). ويؤكد المثل أيضًا أن حالة السبي تنطبق على الابن الأكبر كما تنطبق على الأصغر. والجهود الجبارة للأب قبل وأثناء الاحتفال موجهة أولاً إلى واحد من الاثنين ثم إلى الابن الآخر في محاولات بطولية لاسترجاع كليهما من السبي، واستعادة كل منهما من الموت إلى الحياة.

إن يسوع بحق يخاطب الأمة كلها. وكما ذكرنا، فإن كلا من حافظي الناموس، والمتعدين على الناموس في السبي. وهو يذهب إليهم في سبيهم وهو على استعداد في النهاية إن يدفع ثمنًا باهظًا بتقديم حياته لإرجاعهم من السبي.

ومثل الخروف الضال يحمل نفس العناصر الأساسية الديناميكية: هناك ثلاثة عناصر في القصة: الغنم، والراعي والخروف الضال. من المستحيل أن نتصور أن الراعي غير مبال بمصير الغنم ككل. وفي المثل فهو يحمل الخروف الضال عائدًا به إلى القرية. تتوقف القصة: وال ٩٩ خروفًا مازالوا في البرية. وهنا يتساءل المستمع بالبداهة: «ألا يذهب الراعي للبحث عنها أيضا؟» الإجابة على هذا السؤال يظهر في القصة الثالثة عندما «يرجع» الأب أولًا الابن الأصغر الضال ثم يبذل كل ما في وسعه لإنقاذ الابن الأكبر وكلاهما معًا يمثلان قطيع الغنم/ إسرائيل/ العائلة. إن لم شمل العائلة/ في البيت/ حول مائدة الوليمة معه هو هدفه. هذه هي العودة الحقيقية من السبي.

إن المعركة الوشيكة مع روما نوع من التضليل. فمن بين الاثنى عشر رسولًا يختار يسوع عشارًا (جامعًا للضرائب/ أردأ الخطاة) وغيورًا (أشد حافظي الناموس عدوانية).(١١) وقد تم ذلك عن طريق الاختيار! ليست هناك أيه إشارة في أي موضع في تقليد الإنجيل بأن هذين الاثنين لم يتصالحا مع الله. إن رؤية يسوع الجديدة للسبي والعودة يمكن أن تنقذ الأمة بإعادة توجيه طاقاتها لحل مشكلتها الحقيقية، وهي اغترابها عن الله.

وعندما لا تقبل الأغلبية الحل الذي يقدمه يسوع، فهو يعلم أن النتيجة سوف تكون مأساوية للأمة.

فهو قادر تمامًا على «تمييز هذا الزمان» (لو ١٢: ٥٦). وهذا الإدراك يجعله يبكي على أورشليم، وأن يتنبأ ضدها، وفي الطريق إلى صليبه، يحذر النساء من العواقب الوخيمة التي لا يمكن تجنبها في حالة رفض الأمة للحل الذي يقدمه لاغترابها المستمر عن الله.

إن «السبي والعودة» نموذج للب رسالة يسوع – للفرد، وللجماعات بداخل الأمة وللأمة نفسها. إن يسوع يتحدث إلى الثلاثة في هذا المثل، والذي صاغه من جديد على نمط قصة يعقوب، وهو، في نفس الوقت، إضافة جديدة في سلسلة الإحداث التاريخية المترابطة من السبي والعودة والتي اجتاز فيها الشعب في الخروج وفي السبي.

إني أتصور أن ما اقترحه وما يقترحه ن. ت رايت، يكمل كل منهما الآخر إلى حد بعيد. إن دراساتنا المستقلة ربما تكمل كل منهما الأخرى مثل راقصين يؤديان في حلبة رقص واحدة.

كل ما تبقى هو أن نكتب بعض السطور الختامية ونلخص ما تعنيه هذه التوازيات وأوجه التشابه التي يصل عددها إلى ٥١ تشابها لفهم أقوى ليسوع كلاهوتي.

# هوامش الفصل الخامس عشر

1. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, pp. 125- 44.

2. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 126.

3. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 132.

4. Cf. C. H. Dodd, *The Founder of Cbristianity.*

5. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 126.

6. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 130.

7. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 130.

8. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 129 (emphasis added).

9. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 127.

10. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 130.

11. Functioning between A. D. 6 and 70, the Zealots were founded by a scribe (Judas the Galilean) and a Pharisee (Saddok). Martin Hengel demonstrates that this movement was "firmly rooted in the Jewish and Pharisaical tradition" and "may be regarded" as the extreme left wing of the Pharisees. Part of their agenda involved killing Jews who cooperated with the Roman authorities (cf. M. Hengel, *The Zealots*, pp. 87, 76-145).

# رابعًا: أهمية هذه الدراسة لفهم الفكر اللاهوتي ليسوع



الفصل السادس عشر

# موجز لأهمية أوجه المقارنة بين يعقوب والابن الضال بحثًا عن جوانب الفكر اللاهوتي ليسوع

بعد التأمل في طرق وأصالة البحث، بدأت هذه الدراسة بفحص أمثال الراعي الصالح، والمرأة الصالحة الأب الصالح في ضوء العالم الثقافي واللاهوتي ليسوع. ثم أشرت بعد ذلك إلى ما فعله فيلون، ويوسيفوس، وكتاب اليوبيلا Jubilees ومعلمو اليهود الأوائل بما ورد في تكوين ٢٧: ١-٣٦: ٨. وأخيرًا، عقدت مقارنة بين مثل الابن الضال وقصة يعقوب. وقد اكتشفت ٥١ عنصرًا دراميًا شائعًا (بصورة أو بأخرى) في القصتين.

ومن الملائم الآن أن نحاول تقديم إجابة مختصرة على السؤال التالي: كيف يتأثر فهمنا للمحتوى اللاهوتي الكامن في المثل الذي قدمه يسوع عندما نلاحظ أن قصة يعقوب من وراء هذا المثل؟ ما هي الأفكار النيرة التي نستمدها من فكر يسوع عندما نقف مع الكتبة والفريسيين ونسمع يسوع يجيب على تحدياتهم بسرده قصة جديدة مبنية على قصة يعقوب؟

ليس من السهل أن نفحص ماسة من جميع الزوايا مرة واحدة؟ كما أنه ليس من الممكن أن نقدر جمال وروعة جبل شاهق الارتفاع حين نتسلق الجبل من جهة واحدة. ولكننا سوف نحاول. إن بعض العناصر الدرامية التي تظهر في كل قصة تبدو أنها على الحياد من الناحية اللاهوتية. بعد إعطاء فكرة عامة عن هذه العناصر، سوف أركز على أربعة موضوعات تعرض نفسها بقوة ملحوظة في المثل مع وجود قصة يعقوب كخلفية لها. وهذه الموضوعات هي:

- **الخطية** (ما هو تعريف الخطية في المثل؟)
- **طبيعة الله** (ما الذي يقوله يسوع عن الله؟)

- **التعليم المتعلق بحقيقة المسيح** (ما الذي يؤكد المثل عن شخص يسوع؟)
- **التوبة / الخلاص** (ما الذي قيل في المثل عن هذين الموضوعين الكبيرين المتشابكين؟)

مبدئيًا، ما هي العناصر الدرامية التي تظهر في المثل وتعمل أساسًا كخيوط لتساهم في نسج القصتين معًا؟ إن ثلاثة من المشاهد الأربعة تحتوي على هذه الروابط المحايدة نسبيًا من الناحية اللاهوتية.[1]

في المشهد الأول يتضح على الفور إن كل قصة تحتوي على أب وابنين. فنموذج موسى وهرون ومريم لا يصلح. كان لإسحاق ابنان. والمثل يضاعف مثلث الأب الواحد والابنين (١١: ٥). وفي كل قصة يكتسب الابن الأصغر البركة/ الميراث باستخدام وسائل ماكرة. والفروق هامة وسوف نوجزها فيما بعد. ومع ذلك فكل قصة تفتتح بهذا الموضوع (١١: ٨). والحاجة للسرعة هامة جدًا في القصة الأولى. ولكن كان يمكن حذف هذا العنصر في الثانية. ويبدو أن الارتباط مع قصة يعقوب هو السبب الرئيسي لظهور هذا العنصر في المثل (١١: ٩).

في المشهد الثاني لا تقدم أي قصة منها أي معلومة عن الابن الأكبر أثناء غياب الابن الأصغر في الكورة البعيدة. وفي كلتا الحالتين فإن الابن الأكبر يكون ببساطة في البيت، يفعل ما يؤمر به (١٢: ٢). وكل من الابنين الأصغرين خائف في ليلة عودته. إنهما يحاولان أن يتغلبا على مخاوفهما بطرق مختلفة، ولكن كليهما خائفان (١٢: ٦).

وفي المشهد الأخير يأتي الابنان الأكبران «من الحقل» (١٤: ٧). وظهور لحم الجدي كطعام في القصتين ليس له أي مدلول لاهوتي ظاهر. وكموضوع فإنه يساعد فقط على ربط القصتين معًا (١٤: ١). وفي كل قصة نرى الأمم. ومع أنهم يتفاعلون مع الشخصيات الرئيسية بطريقة مختلفة تمامًا، إلا أن وجودهم يخلق ارتباطًا (١٤: ١٣). يبدو أن يسوع يدرج هذه التفاصيل ليتأكد من سامعيه من اليهود يعرفون أنه يؤلف قصة جديدة تمثل حياة إسرائيل. وهذا يأتي بنا إلى الموضوعات اللاهوتية الأربعة المذكورة من قبل.

## الخطية: ما هو تعريف الخطية في المثل؟

يبدأ المثل بالابن الأصغر وهو يرغب في موت أبيه (١١: ١)، ويتناقض هذا تناقضًا صارخًا مع قصة يعقوب لأن يعقوب ليست لديه مثل هذه الرغبة. إن يسوع في المثل يحول قصة تقليدية إلى قصة تنطبق على كل من الأمة والجنس البشري. وهذه الرغبة في موت الأب عنصر هام في تلك المعالجة للقصة. فعلى المستوى الأكثر عمقًا، فالخطاة يرغبون في موت الله واستبعاده من حياتهم. وبالتعبير عن تلك الرغبة، يسبب الابن الضال شرخًا عميقًا في علاقته بأبيه (١١: ٢). والخطية، كما عرفها يسوع هنا، هي في الأساس علاقة مقطوعة مع شخص وليست مجرد مخالفة لقانون في لائحة شرعية. فالابن الضال يقطع جسور العلاقات (١١: ١٢). ولكن يعقوب لا يفعل ذلك. مرة أخرى نواجه بالتطرف كسمة جوهرية للخطية. فالخطاة يبتعدون عن الله دون تفكير في العودة إليه.

إن رحلة الابن الضال إلى الكورة البعيدة توسع الفجوة بينه وبين عائلته. ولكن يعقوب، حتى وهو في الكورة البعيدة، فهو مع عائلته (١٢: ٤) وحين كان الابن الضال في تلك الأرض البعيدة، فإنه يهوي إلى هاوية إطعام الخنازير للأمم بل ويرغب في أن يصبح خنزيرًا حتى يأكل من طعام الخنازير (١٢: ٣). إن الاشمئزاز التام للفكر اليهودي من مثل هذه الفكرة يوضح بجلاء الجدية التي يتعامل بها يسوع مع مشكلة الشر.

إن الابن الضال يفشل فشلًا ذريعًا في الحصول على عمل نظير أجر حتى يستطيع أن يكون لديه المال الكافي الذي يمكنه من مصالحة العائلة (١٢: ٥). وبعد خسارته للمال، ولكن قبل ذهابه لإطعام الخنازير، كان الابن الضال في نفس الموقف المالي الذي كان فيه يعقوب حين وصل إلى حاران. أي، أن يعقوب بدأ فقيرًا، وعمل بجد واجتهاد حتى أصبح غنيًا. ولكن الابن الضال لم يهو فقط من الثروة إلى الفقر بل إلى الذل والهوان. فلم يكن قادرًا على تحقيق النجاح بنفسه. فالخطية، كما عرفها يسوع، مشكلة لا يستطيع الخطاة أن يحلوها لوحدهم.

وفي المشهد الختامي في المثل يقدم يسوع نمطا ثانيًا للخطية. في قصة يعقوب يوجد «إنسان طيب» (يعقوب) و«إنسان سيء» (عيسو)، بينما في المثل يوجد «شخصان رديئان». فكل الذين لم يحفظوا الناموس (مثل الابن الضال) والذين يحفظوا الناموس (مثل الأخ الأكبر) يقطعون علاقتهم مع الله أبيهم.

وهذه العلاقة المقطوعة تسبب «تغربهم» المستمر عن الله (١٣: ١٣). وعن طريق تأكيد هذه التغييرات، يكشف يسوع عن الجوانب الهامة من فهمة للشر. فماذا إذن عن طبيعة الله؟

## طبيعة الله: ما الذي يقوله يسوع عن الله؟

إن صورة الله كأب مرسومة هنا في أبهى صورة تمثل قمة الحنان الواهب والمغير للحياة. فليس هناك أدب مقدس في أي تقليد معروف لي يتفوق عليه (١١: ٣).

إن طبيعة الله مجهولة تمامًا لدى العديد من العقائد والديانات. ولكن على النقيض من ذلك، فإن هذا المثل يضفي الكثير من المعاني على جزء هام من التأكيد الكتابي "الله محبة" فقط عن طريق تدخل الله في مسار التاريخ عن طريق التجسد وآلام يسوع، نجد أكمل تعبير عن محبة الله، وكلا هذين الموضوعين متضمنان في المثل (١٣: ١٥).

ونحن نجد عملية التنقيح واضحة في كل أجزاء المثل، فيستبدل بالأب الشرقي غير الكفء (إسحاق) الأب الحنون ومحبته الثمينة - وهي محبة تنطوي على رقة حنان الأم (١١: ٤). وكلا الابنين يسيئان إلى الأب، ولكن إساءتهما لا تقلل من حبه وأمانته نحوهما بأي حال من الأحوال. وكما ذكرنا، فالأب في المثل يتحول إلى رمز ليسوع. فما هو التعليم الذي يقدمه لنا المثل عن شخص المسيح؟

## التعليم عن شخص المسيح: ما الذي يقوله يسوع عن نفسه؟

تحتوي كل قصة على افتقاد إلهي وأوجه الخلاف بين الاثنتين قد ذكرناه من قبل (١٣: ١). لقد تخلى الأب عن كبريائه الشخصي مرتين ليقدم حبًا ثمينًا لابنيه المتمردين (١٣: ٢، ١٤: ٥). ولا يمكن لأي عمل آخر أن يحقق هدف المصالحة مع ذاته والمصالحة بين الأخين. وهذه المصالحة لم تتم في قصة يعقوب. والمثل يقدم اختيارات جديدة يمكن أن تجعل مثل هذه المصالحة ممكنة. إن يسوع هو أساسها (١٣: ٥). إنه الشخص الذي يأكل مع الخطاة (كما يخطط الأب أن يفعل) وبعمله هذا يؤكد أنه يمثل الحضور الإلهي في المجتمع (١٤: ١٠).

وعندما يركض عيسو، ويقع على عنق يعقوب ويقبله، فإنه يتجنب التهديد بالعنف ويتم تحقيق هدنه مؤقتة ولكن الصلح الدائم لا يتحقق بينهما. وفي المثل يأخذ الأب على عاتقه تحقيق ذلك الدور الهام،

ومن خلال ذلك يخبرنا يسوع عن هويته (١٣: ١٤). والغلام في الفناء الخارجي لبيت العائلة يؤكد ذلك التعريف (١٤: ١١).

وفي حقيقة الأمر، فإن هذا المثل، بما فيه من مقارنات مع قصة يعقوب، يقدم صورة واضحة ليسوع الناصري، اللاهوتي. إن حدة الذكاء، والحكمة، ونفاذ البصيرة والجرأة المتمثلة في هذه القصة الجديدة المصاغة على نمط القصة القديمة توقظ الفكر وتحرك المشاعر القلبية. إن هذا الإنجاز يلقي الضوء على هوية يسوع، والفكر اللاهوتي الذي أبدعه والمهمة التي أنجزها.

إن المصالحة البشرية والإلهية التي يسعى يسوع لتحقيقها ليست للأفراد والجماعات البشرية في المجتمع فقط، ولكنها أيضًا للأمة ككل. إن يسوع يرى الأمة (العشارون والفريسيون) لا تزال بعيدة عن الله. ويتضمن هدفه دعوة الأمة (متمثلة في الاثنين) إن تقبل استرجاعها من ذلك السبي. إن كلًا من الخروف الضال وقطيع الغنم الضال بحاجة للإتيان بهما من البرية.

## التوبة / الخلاص

في ضوء قصة يعقوب، ما الذي قيل في المثل عن هذين الموضوعين المترابطين؟ مرة أخرى، فإن تسلسل أحداث القصة سوف تقودنا لهذا الملخص الوجيز. وكل من الأحداث الدرامية التالية لها جذور في قصة يعقوب.

### ١- التمرد الكبير

الابنان في المثل لبسا شخصيتين تاريخيتين وليس لهما أسماء، أنهما أكثر من مجرد «فريسيين» و«خطاة». إنهما يمثلان أنماطًا من البشر وبذلك يصوران الجنس البشري (١١: ٦). إن عولمة هذه الدراما المتعلقة «بالسبي والعودة» ثابت من طبيعة البركة/الميراث (١١: ٢). والابن الضال يُعطى «حياة» الأب، ومطلوب من القارئ أن يتأمل في حياة الله المعطاة للبشر المخلوقين على صورة الله (تك ١: ٢٧). وفي كلا القصتين، في عشية رحيل الابن الأصغر نجد الابن الأكبر هادئًا، ويعكس ذلك الصمت عدم رضاه (١١: ١١). وهكذا، فإن «دراما الخلاص» تفتتح بخطاة مغتربين تمامًا عن الله وعن «البار» الذي يقف بعيدًا ومنذرًا بأوخم العواقب. هذان الصنفان من الناس موجودان في كل ثقافة. إنهما يتمثلان أيضًا في «الخطاة» و «الكتبة والفريسيين» الذين أحاطوا بيسوع.

### ٢- الكورة البعيدة

بعد أن فرض الابن الضال على نفسه اغترابًا عن الله، فإنه يصطلح معه في نهاية المطاف في شخص الأب. إن الدراما الكبرى للسبي والعودة مقدمة كرحلة محتملة للشخص، والجماعة والأمة نحو السبي الروحي، وليس كهجرة كبير العائلة أو قائد العشيرة (١٢: ١، ١٢: ٧). وتتعقد الحبكة الدرامية عندما يخطط الابن الضال (مثل يعقوب) لعودته من الكورة البعيدة، ولكنه لا يختبر أي نوع من الندم (١٢: ٨). إنه يعد حديثًا مقتبسًا من فم فرعون محاولاً أن يتلاعب بموسى (١٣: ٤) ولكن يعقوب لا يعد حديثا لأبيه أو لعيسو، ولكن عند لقائه بالأخير فإن الحديث الذي يلقيه بنجاح يؤثر على عيسو ويحقق غرض يعقوب، في البقاء على قيد الحياة.

لا يعبر يعقوب عن حاجته للتوبة، ولكن عند مشارف القرية، وبعد قبول محبة الأب، فإن حديث الابن الضال يتحول بصورة دراماتيكية من محاولة محسوبة للتأثير على أبيه إلى اعتراف مخلص بالخطية وعدم الجدارة (١٣: ٤). إن حديث الابن الضال، كما تم إعداده في الكورة البعيدة، يبدو أنه يتجاوب مع الفهم الشعبي للتوبة كما كانت معروفة في وقت يسوع. إنه سوف يعترف بالخطية ويقدم تعويضًا عما ارتكبه من ذنب (١٣: ٤).

### ٣- مشارف القرية

يخرج عيسو للقاء يعقوب. ويخرج الأب أيضًا، ولكن بطريقة مختلفة تمامًا فإنه لا ينتظر حتى يصل الابن الضال إلى البيت ولكنه يترك البيت ويجري في شوارع القرية ليلتقي بالابن الضال (١٣: ٦). وعندما رأي الابن الضال «إذ كان لم يزل بعيدًا» (لو١٥: ٢٠)، يدفع الأب ثمنًا باهظًا عندما يعرض نفسه لمهانة علنية ليقدم حبًا ثمينًا له (١٣: ٣) ويتصالح معه (١٣: ٥). ويريد الأب أن يحدث ذلك علانية حتى يرى القرويون أفعاله ويصطلحوا هم أيضًا مع الابن الضال (١٣: ٦). إن عبيد الأب يتبعونه في الطريق ويصبحون أدواته في تنفيذ الخطة الكبرى لاسترداد الابن (١٣: ٧). إنهم ليسو جيشًا صغيرًا يحتشد لتنفيذ إرادة الأب كما هو الحال مع عيسو. والقبلة لم تعد عملًا من أعمال الخداع، مثل قبلة يعقوب على خد إسحاق، ولكنها عمل يدل على الحب المتسم بالعطف كما يقبل الأب ابنه الضال الميت (١٣: ٨). يتقبل الابن الضال الهدايا بدلًا من تقديمها، كما فعل يعقوب (١٣: ٩). والحلة الأولى للبيت ليست ثوبًا

مسروقًا للخداع ولكنه ثوب المصالحة والاسترداد المقدم (١٣: ١٠). والاحتكاك الجسدي بالأب الرائع، ليس مباراة في المصارعة بل عمل من أعمال الخضوع (١٣: ١٠). يعود الابن الضال لاسترداد علاقته، وليس ليحصل على ميراث أرضي من رئيس العشيرة (١٣: ١١). إن دور البطل (يعقوب) ينتقل إلى الأب الذي قدم ذاته (١٣: ١٢). إن قبول العثور عليه يصبح النموذج والمعنى للتوبة الحقيقية للابن الضال، (١٣: ١٥). والخلاص بالنسبة له موجود في المحبة الناكرة للذات والثمينة والمقدمة مجانًا من أبيه الحنون، والذي أخذ على عائقه القيام بدور العبد عندما أخلى نفسه في الطريق أمام القرية. يقبل الابن الضال المحبة المقدمة، ويأمر الأب بتقديم وليمة للاحتفال بنجاح جهوده المضنية (١٣: ١٥). إن الوليمة هي ختم للمصالحة، وليس للانفصال كما في حالة يعقوب ولابان.

## ٤- الابن الأكبر

الابن الأكبر (البار) يكتشف إن السلام/ المصالحة قد قدمت وقبلت من قبل أخيه الضال (١٤: ٢)، فيغضب (١٤: ٤) بسبب "ظلم" النعمة (١٤: ٣). عندئذ يقدم الأب نفس تلك النعمة للابن الأكبر، ولكن بثمن أكثر تكلفه (١٤: ٣). إن مصالحة عيسو الجديدة لها ثمنها أيضًا. فبدلًا من قبول الحب المقدم وإثبات إدراك قيمته، فإن الابن الأكبر يقدم ثورة غضب مريرة، متهمًا الأب ومهاجمًا إياه (١٤: ٦، ١٤: ٧، ١٤: ٨). وبذلك يؤكد عدم فهمه التام لطبيعة الوليمة (١٤: ١٠) عندئذ يقدم الأب حبًا أكثر تكلفة عندما يبتلع تلك الإهانة العلنية (١٤: ٩) ويطلب منه أن يفرح – وهذا جزء محوري في القصة (١٤: ١١). إن هذين النوعين من الخطاة في حاجة لنفس المجانية، والحب الثمين حتى يخلصوا.

هل ستكون هناك «عودة من السبي» للابن الأكبر؟ هل سوف يقبل الابن الأكبر «العثور عليه» من قبل تلك المحبة الثمينة؟ هل سوف ينوب ويقبل المصالحة؟ هل سوف يسمح ال٩٩ في البرية للراعي بأن يجدهم؟ الإجابة تظل معلقة لأن المستمعين/ القراء مضطرون لإنهاء الرواية في أعماق قلوبهم.

إن الأفراد الذين كانوا ضمن جمهور سامعي يسوع كانوا ينتمون إلى جماعات بعينها. وكانت هذه الجماعات جزءً من أمة أكبر، فكانت المعاني التي ضمنها يسوع لكل من «الخطاة» و«الأبرار» واضحة للفرد السامع، وللجماعات في ذلك المجتمع وللأمة. إن إسرائيل في عيني يسوع كانت لا تزال في السبي بحاجة للرجوع إلى الله أبيها المحب. وكان الصراع المسلح مع روما مؤديًا إلى الموت. والرد من السبي

الروحي كان ليجلب القيامة.

إن السبي والعودة – رحلة يعقوب، ورحلة الابن الضال، والرحلة المأمولة للابن الأكبر كلها موضوعات يتردد صداها في مثل الأب الحنون.

# هوامش الفصل السادس عشر

1. I will continue to use the number designations from the previous chapters to make it possible for the reader to check the fuller discussion if desired.

2. K. Cragg, *The Call of the Minaret*, p. 55.

# الخاتمة

فحصنا من قبل أربعة كتب يهودية عن قصة يعقوب. إن مؤلف اليوبيلات، وقد كتب بالعبرية، أعاد كتابة القصة مضيفًا عليها آراءه الخاصة. وفيلون، الذي كتب باليونانية، وجد فيها رموزًا فلسفية. ويوسيفوس، كتب أيضًا باليونانية، محاولًا أن يجد من بين الثقافات الأخرى والقراء من الأمم من يتعاطف مع التاريخ اليهودي. وفي القرن الأول للميلاد، وفي القرون التي جاءت بعد ذلك، أعاد معلمو اليهود استخدام مادة كتابية قديمة لأغراض جديدة. ونحن نردد تشبيه نيوسنر، فنقول إن الأسفار المقدسة كانت بمثابة ألوان على لوحات الحكماء وهم يرسمون صورًا جديدة خاصة بهم. فما الذي يفعله يسوع إذن بهذا التقليد؟

في إطار ذلك العالم عمومًا، وفي إطار عالم اليوبيلات وحكماء إسرائيل بنوع خاص، يسرد يسوع قصة جديدة تسير في ركاب القصة القديمة. إنه يبدع مثل الابن الضال في تناغم مع الفكرة العامة لقصة يعقوب. ومثل كاتب اليوبيلات، فهو لا يتقيد بالقصة القديمة، ومثل الحكماء فهو يستخدم الألوان القديمة لخلق قصة جديدة. ولكن ما هو مذهل حقًا، إنه على خلاف كاتب اليوبيلات والحكماء، فإن يسوع يضع نفسه في القصة الدرامية كبطل لها وكالشخصية الأساسية. فيسوع هو الراعي الصالح، والمرأة الصالحة والأب الصالح. والراعي الصالح مشار إليه في مزمور ٢٣، وإرميا ٢٣: ١-٨ وحزقيال ٣٤: ١-٣١، كما رأينا. وتعكس قصة المرأة الصالحة. الراعي الصالح وتحوي في خلفيتها نصوصًا عديدة في الأسفار العبرية يوصف فيها الله بعبارات أنثوية. إن مثل الأب الصالح وابناه الضالان مستعار من قصة يعقوب بعد إعادة صياغتها. فالماضي كأساس يبني عليه يقدم الإمكانية لإعادة الحيوية من جديد لأجل الحاضر والمستقبل.

من الممكن أن نرى لنكولن في جتسبرج يفعل نفس الشيء بصورة مصغرة. وفي حديثة الشهير عند تدشين المقبرة في جتسبرج في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٣، أعاد لنكولن صياغة فهم أمريكا لذاتها. ولكي يفعل ذلك، فقد افتتح حديثه بقطعة مختارة من قصة ماضي أمريكا. إنه لم يبدأ بالدستور- على الرغم

إنه كان معيبًا لإفساحه المجال للعبودية. ولكنه بدلًا من ذلك، اختار وثيقة إعلان الاستقلال بعبارته المدوية «خلق جميع البشر على قدم المساواة». بدأ لنكولن هكذا: منذ ٨٧ سنة أوجد آباؤنا أمة جديدة على هذه القارة، وقد تفانت في الإخلاص لقضية أن جميع الناس قد خلقوا على قدم المساواة.

أخذ لنكولن حينئذ حجر الأساس المختار بعناية هذا وهو جزء لا يتجزأ من التاريخ الأمريكي وبنى عليه بناء جديدًا. والصرح الجديد الذي أقامه على ذلك الأساس كان عبارة عن قصة جديدة كان هو الذي يقوم بالدور الأساسي فيها. قال «نحن منهمكون الآن في حرب أهلية كبرى، تضع هذه الأمة، أو أي أمة بهذا التصور والتكريس لقضية المساواة أمام امتحان لنرى إن كان بمقدورها أن تصمد طويلًا أم لا».

واختتم حديثه بالقول: «نحن نقرر هنا قرارًا نبيلًا وساميًا بأن الذين ماتوا في سبيل هذه الأمة سوف لن يكون موتهم عبثًا – وأن حكومة الشعب هذه، التي أقامها الشعب، لأجل الشعب، سوف لن تبيد من على سطح الأرض». وبناء على مختارات من قصة تأسيس الأمة، خلق رؤية جديدة للحاضر والمستقبل. وكان الاختيار والإبداع هامين للحقيقة الراسخة، والتي كما يؤكد جاري ويلز «أعادت خلق أمريكا»[1]. ألم ينخرط يسوع في القيام بشيء مماثل لذلك؟

من السهل أن ننسى أن المبدع لقصة جديدة له حرية اختيار البداية التي يريدها. إن يسوع يرى نفسه ممثلًا للحضور الإلهي في المجتمع يقوم بمهمة دعوة إسرائيل للرجوع إلى الله. إن إسرائيل «ضالة في السبي» وبحاجة للعودة. وإذا اختار منهج الفلسفة مثل فيلون فسوف لن يفلح في المهمة. عليه أن يسرد قصة، ولكي تكون القصة الجديدة مقالة مؤثرة، فإنها يجب أن تردد صدى قصة قديمة من الماضي تحظى بقدر كبير من الاحترام. وقصة إبراهيم لن تفلح. فقد هاجر إبراهيم من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان. وقصة إسحاق أيضا غير ملائمة. فإسحاق لم يذهب إلى أي مكان. وولد يوسف في حاران، على نهر الفرات ومات في مصر. ولذلك فإن رحلته لا تعكس تاريخ إسرائيل.

ولكن قصة يعقوب هي قصة الإقامة في الوطن متبوعة بالسبي والعودة النهائية. إن قصة يعقوب تحتوي على الشكل الضروري، ويعقوب هو إسرائيل. إنه شيء رائع أن يسوع يختار عن عمد هذه القصة دونًا عن سائر القصص الهامة الأخرى المتاحة له ويعيد تشكيلها ليجعل منها قصة توضح حقيقة وما آل إليه حال إسرائيل، وكيف أنه جاء ليرد سبيها وينهي هذا السبي. والمحصلة النهائية لذلك بتلك القصة التي درسناها.

وعندما يعيد يسوع صياغة قصة يعقوب/إسرائيل في المثل، نجد أن هناك القليل من البنود الدرامية

القليلة الفريدة بالنسبة لقصة أو أخرى. إن الأغلبية الساحقة للعناصر التي لاحظناها وناقشناها من قبل تظهر أولًا في قصة يعقوب ثم تتكرر، وتراجع أو توضع على شكل معكوس عندما تظهر في القصة الثانية، وبسبب كل ذلك، فالعديد منها قد ورد بشكل عرضي. من الواضح أن مؤلف المثل يخلق قصة جديدة لمجتمع معروف وهو يتبع إطار القصة القديمة ويبني عليها. ويمكننا أن نؤكد بكل ثقة أن يسوع الناصري هو اللاهوتي الذي أبدع هذه القصص الثلاث ذات النصوص المحنكة رفيعة المستوى. والمتشابكة التراكيب والبنيان.

وهذا التأكيد لا يحتاج لدليل قاطع بل يتطلب ترجيحًا ساحقًا. إن مؤلف قصة الخروف الضال، والدرهم المفقود والابنان الضالان يجب أن يكون يهوديًا جيد الإلمام بالأسفار العبرية ويجمع أحداث هذه القصص الثلاث لمستحقين يهود ذوي ثقافة رفيعة المستوى. لقد استوعب هذه المؤلف تمامًا القصص الثلاث عن الراعي الصالح (مز ٢٣؛ إر٢٣: ١-٨ ؛ حز ٣٤: ١-٣١) وقصة يعقوب (تك ٢٧: ١-٣٦: ٨) حتى أصبحت جزءًا لا يتجزأ من دماء الحياة التي تجري في شرايينه. ولا فائدة ترجى من تبديد تلك الطاقة الإبداعية الهائلة في تأليف قصة جديدة متقنة تمامًا تحتوي على العشرات من العناصر الدرامية المأخوذة والمعاد تشكيلها من قصة قديمة، ما لم يكن جمهور السامعين الذين أعيد تشكيل هذه التحفة الفنية لأجلهم قادرين على الاستيعاب والتفاعل مع ما يفعله المؤلف. إن ثاؤفيلس، الذي كتب أنجيل لوقا لأجله (لو ١: ١-٤)، لا يمكنه أن يستوعب سوي القليل، هذا إذا استطاع أن يستوعب شيئًا على الإطلاق، من هذه النصوص المعقدة المبنية على نصوص أخرى. إن القصة تنطبق عليه بمعنى عام ولكنها ليست مبتكرة لأجله بالمعنى التاريخي الأصيل وفي الحقيقة، فإن كنيسة الأمم لم تدرك هذا الترابط العميق مع قصة يعقوب. صحيح، إن للقصة جاذبية عالمية، ويمكن أن نستشعر تأثيرها في كل ثقافة، ولهذا السبب كان لها مثل هذا التأثير العظيم على مر الأجيال. ولكن من المسئول عن هذا التناغم - مزج كلمات القصتين معًا، يعقوب والابن الضال - هذا الإيقاع المقدس المهيب؟ إن الاستنتاج المنطقي الوحيد هو أن نؤكد أن لوقا قد أُعطيّ هذه المادة من قِبَل المجتمع الرسولي وأنها كانت من تأليف يسوع الناصري.

هذه الأمثلة الثلاثة تظهر يسوع وهو يستجيب لتجد من معاصريه. إنه يأخذ قصة عن عشيرة معينة ومفهومها الخاص ويحولها إلى دراما تنسب إلى الأمة ككل وإلى الجنس البشري. وقلب قصته الجديدة، المبنية على القصة القديمة، يصل إلى الذروة عند تدخل إلهي معين يظهر حبًا ثمينًا نحو ذلك الجنس. وكما رأينا، فإن يسوع يقدم نفسه كواسطة هذا التدخل الإلهي: كالراعي الصالح، والمرأة الصالحة،

والأب الصالح. ونحن نردد العبارة المتميزة ل ن. ت رايت التي يقول فيها: «إن يسوع يُدخل تغييرات هامة ذات مغزى على نظرة البشر للأب».[٢]

وبالاختصار، ففي هذا المثل العظيم، يقدم يسوع قصة يبتكر فيها شخصيات جديدة يمكن أن تتطابق مع كل مجتمعه وهو يعلم أيضًا أنها تصلح لكل أبناء وبنات آدم، وليس فقط لبني يعقوب.

«فالخطاة العصاة» يصبحون «يعقوب»، و«الخطاة المتبررين في أعين أنفسهم» يقدمون «كعيسو» الجديد. والأب، وهو رمز لله، يتحول إلى رمز ليسوع، والذي يقدم المصالحة بثمن باهظ لكل نوع من أنواع الخطاة على حدة. وإذا تم قبول، هذه القصة ذات الشخصيات الجديدة، فإنها سوف تقلل من أهمية سياسة «القتال حتى الموت ضد روما» التي يناصرها غيورو هذا الزمان. إن يسوع قادر تمامًا على سماع صوت هدير عاصفة هوجاء وهي تقترب. وقصته الجديدة، إذا تم قبولها، سوف تبدد تلك العاصفة، وبذلك سوف تخلص الأمة. وعندما يتضح ليسوع أن قليلين فقط فهموا رؤيته للقصة الجديدة، فإنه يبكي- على أورشليم! وحتى في طريقه إلى الصليب، كانت تصوراته للأيام العصيبة القادمة على الأمة لا تزال في فكره وهو يرد على عويل النساء (لو ٢٣: ٢٨-٣١).

وعندما يبتكر يسوع مثل الراعي الصالح فإنه يعيد كتابة مزمور ٢٣. وفي مثل الأب الحنون والابنين، فهو يقوم نسخة معدلة لثمانية إصحاحات من التوراة بحيث يكون هو محور القصة. إن المقولة اللاتينية القديمة صحيحة – «إن هذا المثل يحتوي على الإنجيل بداخل الإنجيل. إنه بحق Evangelium in Evangelio».

# هوامش الخاتمة

1. G. Wills, *Lincoln at Gettysburg: The Words That Remade America.*

2. N. T. Wright, *Jesus and the victory of God*, p. 139.

# ملحق

*فهرس للأنماط المختلفة من أوجه التناقض والتشابه بين قصة يعقوب (تك٢٧-٣٥) ومثل الابن الضال (لو١٥: ١١-٣٢).*

النقاط ال ٥١ التي تشكل أوجه الاتفاق والاختلاف والتي ذكرناها في المناقشات السابقة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع.

١- مادة درامية تظهر في كل قصة تقريبًا بنفس الطريقة.

٢- مادة درامية تظهر في كل قصة حيث يبين إعادة استخدامها في المثل بعض التنقيح.

ج- مادة درامية تظهر في كلتا القصتين ولكن في وضع معكوس أو حدث بها تغيير جذري عند إعادة ظهورها في المثل.

في كلتا القصتين يسافر الابن الأصغر إلى كورة بعيدة. بينما يبقى الابن الأكبر في البيت. تظهر مثل هذه العناصر الدرامية في كل قصة تقريبًا بنفس الطريقة وتظهر في القائمة (أ).

وفي نفس الوقت، يتلقى يعقوب بركة، ويُعطى الابن الضال ميراثًا. الحالتان متشابهتان، ولكن هناك اختلافات هامة. وهذه البنود يكتب قبالتها (ب). وأخيرًا، يبدأ يعقوب تغربه في الكورة البعيدة وهو لا يمتلك شيئًا ولكنه يصبح غنيًا. ويسافر الابن الضال أيضا إلى الكورة البعيدة ولكنه يبدأ مدته هناك كرجل غني ثم يهبط إلى هاوية الفقر وفي هذه الحالة فإن نفس موضوع «الغنى/ الفقر» يظهر في كل قصة، ولكن هناك تناقضًا حادًا. وتظهر مثل هذه البنود في القائمة قبالة الحرف (ج).

ليست هذه فروق واضحة المعالم، ولم يكن من السهل دائمًا أن نختار أنسب فئة والتصنيفات التي تظهر فيما بعد هي اقتراحات للفئات التي قد يجدها القارئ مفيدة. ولغرض المزيد من المراجعة. فإن نظام الترقيم المتبع في البحث السابق نؤكده هنا. والقوائم الثلاث كما يأتي:

**١. مادة درامية تظهر في كل قصة مع قليل من التغيير**

١١: ٥ أب وابنان

١١: ٩ الحاجة للسرعة

١١: ١١ الاغتراب

١٢: ١ الابن الأصغر المتمرد في الكورة البعيدة (السبي والعودة)

١٢: ٢ الابن الأكبر يبقى في البيت (بعيدًا عن مسرح الأحداث)

١٢: ٦ الخوف في عشية العودة

١٢: ٨ غياب عنصر الندم

١٣: ٢ ركض، ودفع على عنقه، وقبله

١٣: ١٣ الصفات المميزة للابنين

١٤: ١ الابن الأكبر يأتي من الحقل

١٤: ٧ الجدي كطعام

١٤: ١٦ هوية المجتمع الذي يتذكر القصة أو المثل

**ب. مادة درامية تظهر في كل قصة حيث يظهر إعادة استخدامها في المثل بعض التنقيحات الهامة**

١١: ١ موت الأب

١١: ٢ الابن الأصغر يقطع العلاقة مع أبيه

١١: ٦ هوية الابنين

١١: ٧ طبيعة البركة/الميراث

١١: ٨ طريقة اكتساب الميراث

١١: ١٠ الخديعة والخيانة

١٢: ٣ رعاية الحيوانات الطاهرة مقابل رعية الحيوانات النجسة

١٢: ٧ تغيير الاتجاه والعودة

١٣: ٤ الحديث المتسم بالمناورة للتأثير على الطرف الآخر

١٣: ٦ مكان الالتقاء بالابن العائد

١٣: ١٣ الخلاص/ التوبة

١٤: ٢ عودة الابن الأصغر وموضوع الأمن/السلام

١٤: ٣ عند الوصول إلى البيت يشعر الابنان الأكبران "بالظلم"

١٤: ٤ الابن الأكبر يغضب

١٤: ٦ الحديث الغاضب المتسم بالعداء

١٤: ٩ المصالحة مع الابن الأكبر

**ج. مادة درامية تظهر في كل قصة مع تغيرات جذرية**

١١: ٣ طبيعة الأب

١١: ٤ الأم

١١: ١٢ قطع أو عدم قطع جسور العلاقات

١٢: ٤ المجتمع في الكورة البيعدة

١٢: ٥ النجاح مقابل الفشل في الكورة البيعدة

١٣: ١ الافتقاد الإلهي/ التجسد

١٣: ٣ كبير العائلة

١٣: ٥ المصالحة مع الأب

١٣: ٧ الخدم ودافع كبير العائلة

١٣: ٨ القبلة

١٣: ٩ الهدايا المقدمة عند العودة

١٣: ١٠ ارتداء الحلة الأولى

١٣: ١١ الوعد بامتلاك الأرض

١٣: ١٢ بطل القصة

١٣: ١٤ المحبة الثمينة المضحية

١٤: ٥ رد فعل الأب تجاه ابنه الغاضب

١٤: ٨ «كل ما أنت ترى فهو لي» مقابل «كل ما لي فهو لك»

١٤: ١٠ الوليمة

١٤: ١١ الفرح

١٤: ١٢ تحول رمز الأب إلى رمز ليسوع

١٤: ١٣ الابنان والسامعون/القراء المقصود توجيه الرسالة إليهم

١٤: ١٤ الأمم

١٤: ١٥ هل توجد خاتمة أم لا؟

# BIBLIOGRAPHY

Abrahams, Israel. *Studies in Pharisaism and the Gospels.* 2 vols. 1917, 1924. Reprint, New York: Ktav, 1967.

Allison, Dale. "Books and the Book." An Installation Address Delivered May 9, 2000. Pittsburgh Theological Seminary (616 North Highland Avenue, Pittsburgh, PA 15206-2596), 2001.

*The Anchor Bible Dictionary.* Edited by David Noel Freedman. 6 vols. New York: Doubleday, 1992.

*The Alternative Service Book 1980.* Oxford: Oxford University Press, 1980.

Aristotle. *The Basic Works of Aristotle.* Edited by Richard McKeon. New York: Random House, 1941.

Bailey, Kenneth E. *The Cross and the Prodigal: The 15th Chapter of Luke, Seen Through the Eyes of Middle Eastern Peasants.* St. Louis: Concordia, 1973. Reprint, Acorn Press: Melbourne, 2000. Cited as *Cross.*

———. *Finding the Lost: Cultural Keys to Luke 15.* St. Louis: Concordia, 1992. Cited as *Finding.*

———. "The Historical Jesus: A Middle Eastern View." Four thirty-minute videocassette lectures. Crossways International (7930 Computer Avenue South, Minneapolis, MN 55435; phone: 800-257-7308), 2001.

———. "Informal Controlled Oral Tradition and the Synoptic Gospels." *Tamelos* 20 (1995): 4-11. Revised version of "Informal Controlled Oral Tradition and the Synoptic Gospels." *Asia Journal of Theology* 5 (1991): 34-54. Cited as "Informal."

———. "Jacob and the Prodigal: A New Identity and a New Vision of Atonement." *The Presbyterian Outlook,* April 24, 2000, pp. 23-24. Cited as "Jacob."

———. "Jacob and the Prodigal Son: A New Identity Story." *Theological Review* (Beirut) 18 (1997): 54-72. Cited as "A New Identity Story."

———. "Middle Eastern Oral Tradition and the Synoptic Gospels." *The Expository Times* 106 (1995): 363-67. Cited as "Oral Tradition."

———. *Poet and Peasant* and *Through Peasant Eyes*. 1976, 1980. Reprint (combined edition), Grand Rapids: Eerdmans, 1983. Cited as *Poet*.

———. "Psalm 23 and Luke 15: A Vision Expanded." *Irish Biblical Studies* 12 (1990): 54-71.

———. "The Pursuing Father." *Christianity Today* 42, no. 12 (1998): 34-40. Cited as "Pursuing."

———. "Recovering the Poetic Structure of I Corinthians i17-ii2: A Study in Text and Commentary." *Novum Testamentum* 17 (1975): 265-96. Cited as "Recovering."

———. "Women in Ben Sirach and in the New Testament." In *For Me to Live: Essays in Honor of James L. Kelso*, edited by Robert A. Coughenour. 56-73. Cleveland: Dillon/Leiderbach, 1972.

———. "Women in the New Testament: A Middle Eastern Cultural View." *Anvil* 11 (1994): 4-24. Also published in *Theology Matters* (Presbyterians for Faith, Family and Ministry, P.O. Box 10249, Blacksburg, VA 24062-0249) 6, no. 1 (Jan/Feb 2000): 1-11.

Batey, Richard A. *Jesus and the Forgotten City: New Light on Sepphoris and the Urban World of Jesus*. Grand Rapids: Baker, 1991.

Bauer, Walter, with William F. Arndt, F. Wilbur Gingrich, and Frederick W. Danker. *A Greek-English Lexicon of the New Testament*. 2d ed. Chicago: University of Chicago Press, 1979.

Blomberg, Craig L. *Interpreting the Parables*. Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1990.

Bonhoeffer, Dietrich. *Meditations on the Cross*. Louisville: Westminster John Knox, 1998.

Borgen, Peder. "Philo of Alexandria." In *The Anchor Bible Dictionary*, 5:333-42. Edited by David Noel Freedman. New York: Doubleday, 1992.

Corbo, Virgilio C. *The House of St. Peter at Capharnaum*. Translated by Sylvester Saller. Jerusalem: Franciscan, 1969.

Cragg, Kenneth. *The Call of the Minaret*. New York: Oxford University Press, 1956.

Danby, Herbert, trans. and ed. *The Mishnah*. 1933. Reprint, Oxford: Oxford University Press, 1980.

Derrett, J. Duncan M. "Law in the New Testament: The Parable of the Prodigal Son." *New Testament Studies* 14 (1967): 56-74.

Dodd, C. H. *The Founder of Christianity*. New York: Macmillan, 1970.

Dunn, James D. G. *The Parting of the Ways: Between Christianity and Judaism and Their Significance for the Character of Christianity*. Philadelphia: Trinity Press International, 1991.

———. *Romans.* Word Biblical Commentary 38-39. Dallas: Word, 1988.

Eisenmann, Robert H., and Michael Owen Wise, trans. and int. *The Dead Sea Scrolls Uncovered.* Rockport: Element, 1992.

Feldman, Louis H. "Josephus." In *The Anchor Bible Dictionary,* 3:981-98. Edited by David Noel Freedman. New York: Doubleday, 1992.

Fitzmyer, Joseph. *The Gospel According to Luke.* Anchor Bible 28B. New York: Doubleday, 1985.

———. *Luke the Theologian: Aspects of His Teaching.* London: Geoffrey Chapman, 1989.

Flusser, David. *Judaism and the Origins of Christianity.* Jerusalem: Magnes, 1988.

Flusser, David, with R. Steven Notley. *Jesus.* Rev. ed. Jerusalem: Magnes, 1997.

Ford, Richard Q. *The Parables of Jesus: Recovering the Art of Listening.* Minneapolis: Fortress Press, 1997.

Gerhardsson, Birger. *Memory and Manuscript: Oral Tradition and Written Transmission in Rabbinic Judaism and Early Christianity.* Translated by Eric J. Sharpe. Acta Seminarii Neotestamentici Upsaliensis 22. Lund: Gleerup, 1961.

Hatch, Edwin, and Henry A. Redpath. *A Concordance to the Septuagint and the Other Greek Versions of the Old Testament (Including the Apocryphal Books).* 2 vols. 1897. Reprint, Graz: Akademische Druck, 1954.

Hengel, Martin. *The Zealots.* Edinburgh: T & T Clark, 1989.

Holgate, David A. *Prodigality, Liberality and Meanness in the Parable of the Prodigal Son: A Greco-Roman Perspective on Luke 15:11-32.* Sheffield: Sheffield Academic Press, 1999.

Horowitz, George. *The Spirit of Jewish Law.* New York: Central Book, 1953.

Hultgren, Arland J. *The Parables of Jesus: A Commentary.* Grand Rapids: Eerdmans, 2000.

Jasper, R. C. D., and Paul F. Bradshaw. *A Companion to the Alternative Service Book.* London: SPCK, 1986.

Jeremias, Joachim. *The Parables of Jesus.* Rev. ed. London: SCM Press, 1963.

*The Jerome Biblical Commentary.* Edited by Raymond E. Brown, Joseph A. Fitzmyer, and Roland E. Murphy. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1968.

Jewett, Robert. *Dating Paul's Life.* London: SCM Press, 1979.

Josephus. *The Works of Josephus: Complete and Unabridged.* Translated by William Whiston. Peabody, Mass.: Hendrickson, 1987.

Jülicher, Adolf. *Die Gleichnisreden Jesu.* 2 vols. Tübingen: J. C. B. Mohr, 1899.

Kelber, Werner H. *The Oral and the Written Gospel.* Philadelphia: Fortress, 1983.

Kittel, Gerhard, and Gerhard Friedrich, eds. *Theological Dictionary of the New Testament.* 10 vols. Translated by Geoffrey W. Bromiley. Grand Rapids: Eerdmans, 1964-1976.

Klimkeit, Hans-Joachim, trans. and ed. *Gnosis on the Silk Road: Gnostic Texts from Central Asia.* San Francisco: Harper, 1993.

Lachs, Samuel Tobias. *A Rabbinic Commentary on the New Testament: The Gospels of Matthew, Mark and Luke.* Hoboken, N.J.: Ktav, 1987.

Levison, Nahum. *The Parables: Their Background and Local Setting.* Edinburgh: T & T Clark, 1926.

Maly, Eugene H. "Genesis." In *The Jerome Biblical Commentary*, pp. 7-46. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1968.

Marshall, I. Howard. *The Gospel of Luke: A Commentary on the Greek Text.* The New International Greek Testament Commentary. Exeter: Paternoster, 1978.

McLean, Bradley H. *Citations and Allusions to Jewish Scripture in early Christian and Jewish Writings Through 180 C.E.* Lewiston, N.Y.: Mellen, 1992.

Moore, George Foot. "The *Am Ha-aares* (the People of the Land) and the *Haberim* (Associates)." In *The Beginnings of Christianity*, 1:439-45. Edited by F. J. Foakes-Jackson and Kirshopp Lake. London: Macmillan, 1939.

———. *Judaism in the First Centuries of the Christian Era, the Age of the Tannaim.* 2 vols. 1927, 1930. Reprint, New York: Schocken, 1971.

Neusner, Jacob. *Genesis Rabbah: The Judaic Commentary to the Book of Genesis, A New American Translation.* Vols. 1-3. Atlanta: Scholars Press, 1985.

Neusner, Jacob, with William Scott Green. *Writing with Scripture: The Authority and Uses of the Hebrew Bible in the Torah of Formative Judaism.* Minneapolis: Fortress, 1989.

Newbigin, Lesslie. *The Gospel in a Pluralist Society.* Grand Rapids: Eerdmans, 1989.

———. *A Word in Season: Perspectives on Christian World Missions.* Grand Rapids: Eerdmans, 1994.

Nouwen, Henri J. M. *The Return of the Prodigal Son.* New York: Doubleday, 1992.

Perkins, Pheme. *Hearing the Parables of Jesus.* New York: Paulist, 1981.

Philo. *The Works of Philo: Complete and Unabridged.* Translated by C. D. Yonge. Peabody, Mass.: Hendrickson, 1993.

Plummer, Alfred. *A Critical and Exegetical Commentary on the Gospel According to S. Luke.* 5th ed. Edinburgh: T & T Clark, 1951.

Radzinsky, Edvard. *The Last Tsar.* London: Arrow Books, 1993.

Reisenfeld, Harald. *The Gospel Tradition.* Philadelphia: Fortress, 1970.

Safrai, Shemuel, and M. Stern with D. Flusser and W. C. van Unnick, eds. *The Jewish People in the First Century: Historical Geography, Political History, Social Cultural, and Religious Life and Institutions.* Vol. 2. Philadelphia: Fortress, 1976.

Sandys, Celia. *Churchill Wanted Dead or Alive.* New York: Carroll and Graf, 2000.

Scott, Bernard Brandon. *Hear Then the Parable: A Commentary on the Parables of Jesus.* Minneapolis: Fortress, 1989.

Temple, William. *Readings in St. John's Gospel.* 1945. Reprint, London: Macmillan, 1955.

Thoma, Clemens. "Literary and Theological Aspects of the Rabbinic Parables." In *Parable and Story in Judaism and Christianity,* ed. C. Thoma and M. Wyschogrod. Mahwah, N.J.: Paulist, 1989.

Urbach, Ephraim E. *The Sages: Their Concepts and Beliefs.* 2 vols. 1975. Reprint, Jerusalem: Magnes, 1987.

Walls, Andrew F. *The Missionary Movement in Christian History: Studies in the Transmission of Faith.* New York: Orbis, 1996.

Wansbrough, Henry, ed. *Jesus and the Oral Gospel Tradition.* Journal for the Study of the New Testament Supplement Series 64. Sheffield: JSOT Press, 1991.

Wills, Garry. *Lincoln at Gettysburg: The Words That Remade America.* New York: Simon & Schuster, 1992.

Wintermute, O. S. "*Jubilees:* A New Translation and Introduction." In *The Old Test ment Pseudepigrapha,* 2:35-142. New York: Doubleday, 1985.

Wolfson, Harry Austryn. *Philo: Foundations of Religious Philosophy in Juda tion of Christianity and Islam.* 2 vols. Cambridge: Harvard University Press, 1947.

Wright, N. T. *Jesus and the Victory of God, Christian Origins and the Ques God.* Vol. 2. Minneapolis: Fortress Press, 1996.

**Arabic Christian Sources**

Barsoum, I. Ephrem. *al-Lu'lu' al-Manthur* (History of Syriac Sciences and . [Arabic]). Baghdad: al-Sha'b, 1976.

Hibatallah ibn Al-Assal. *The Four Gospels (Arabic).* British Museum Oriental manuscript no. 3382. This critical edition of the four Gospels was composed by Hibatallah in Cairo in 1252. It contains more than ten thousand marginal notes.

Ibn al-Salibi, Diyunisiyus Ja'qub [d. 1171 A.D.]. *Kitab al-Durr al-Farid fi Tafsir al-'Abd al-Jadid* (The Book of Unique Pearls of Interpretation of the New Testament [Arabic]). 2 vols. (Written in Syriac ca. 1150 A.D. Translated from Syriac into Arabic in the Syrian Orthodox monastery of al-Za'faran in 1729. The Arabic was edited and corrected by 'Abd al-Masih al-Dawalani and published in Arabic.) 2 vols. Cairo: n.p., 1914. Cited as *Durr.*

Ibn al-Tayyib, Abdallah [d. 1043]. *Diatessaron de Tatien* [Arabic and French]. Edited and translated by A. S. Marmardji. Beyrouth: Imprimerie Catholique, 1935.

———. *Tafsir al-Mishriqi* (The Interpretation of the Four Gospels by the Rev. Abu al-Faraj Abdallah Ibn al-Tayyib al-Mishriqi [Arabic]). 2 vols. Edited by Rev. Yousif Manqariyus. Cairo: al-Towfiq Press, 1908. Two manuscript copies of this work are held in Paris (Bibliotheque Nationale), Arabic 85 and 86. Cited as *Tafsir.*

Mount Sinai Arabic MSS #72 (Four Gospels). This manuscript, translated from the

Greek, is dated A.D. 897 and is the oldest of eight extant copies of the important early Arabic version.

Musa bar Kepha [d. 905]. *Commentary on St. Luke.* Unpublished Syriac. A microfilm of this manuscript is held in the Syriac Institute of the Lutheran School of Theology, 1100 E. 55th Street, Chicago, IL, 60615. A preliminary translation into English ᴧs been made by the director of the Syriac Institute, Dr. 'Abd al-Masih Saadi. All ɔtations of this work are based on the translation by Saadi. The folio references ؛ to the original Syriac microfilm. Its shelf number in the Syriac Institute is Mar- ˋ 102. Cited as *Luke.*

ɪrahim. *Sharh Bisharat Luqa* (Commentary on the Gospel of Luke [Arabic]). Reprint, Beirut: Near East Council of Churches, 1970. Cited as *Luqa.*

Library Arabic manuscript no. 18. This copy of the Gospel of Luke was made ɔt in 993.

with notes, *ian Talmud: Hebrew-English Edition.* 32 vols. Translated into English glossary and indices by Maurice Simon. Edited by Isidore Epstein. New York: Sonci... no, 1960, 1965, 1972, 1980. Cited by tractate and folio.

... *Dead Sea Sc...rolls in English.* Translated by Géza Vermès. Baltimore: Penguin, 1973.

... *The Judaic Commentary to the Book of Genesis, A New American* ...anslation and commentary by Jacob Neusner. 3 vols. Atlanta: Schol- ... 5.

*Midrash Rabbah.* Edited by H. Freedman and Maurice Simon. 3d ed. 10 vols. New York: Soncino, 1983. Cited by biblical book, chapter, and verse and by volume and page number in this edition.

*The Mishnah.* Translated from the Hebrew with introduction and brief explanatory notes by Herbert Danby. 1933. Reprint, Oxford: The University Press, 1980. Cited by tractate, chapter and, verse and by page number in Danby translation.

...*d of the Land of Israel.* Translated by Jacob Neusner. 35 vols. Chicago: University of C...ago Press, 1982-1987. Quoted by tractate and folio.

*The Tosefta.* Edited by Jacob Neusner. 6 vols. Hoboken, N.J.: Ktav, 1986.

- هل قصة الابن الضال هي انعكاس لقصة يعقوب وإسحاق في العهد القديم؟

- ما هي نقاط التشابه والاختلاف بين القصتين؟

- لماذا لم يبحث الآب عن الابن الضال مثلما فعل في مثلين الدرهم المفقود والراعي الصالح؟

- ما هو البعد الجديد الذي كان في عقل يسوع أثناء روايته لقصة الابن الضال؟

سرد يسوع قصة الابن الضال كمثال عظيم لإظهار محبة الله الثابتة لأبنائه، وقد كانت هذه القصة محور عظات وتأملات لا حصر لها على مر قرون.. ولكن هل هناك خلفيات أخرى لهذا المثل العظيم. فإن يسوع الناصري يخاطب الكتبة والفريسيين ومن خلالهم يتحدث إلى الأمة بأكملها ويتلامس مع خلفيات وخبرات الجمهور الذي كان يستهدفه وفي ... الوقت ذاته يظهر لكل الأجيال جانب جديد في معرفة طبيعة الآب ...

هناك أبعاد لقصة الابن الضال أكثر مما تحمله السطور، وهو ... الكاتب في دراسته للإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا ... العثور على كنوز مدفونة داخل كلمة الله المتجددة.






١٠١٠٤٧١٣